جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المرأة والسياسة في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي

Woman and politics in the literature of Early Islam and Umayyad period

إعداد الطالبة

نبيلة عاكف نايل المقبل

إشراف الدكتور

سالم الهدروسي

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

الفصل الدراسي الأول

2016-2015

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المرأة والسياسة في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي

Woman and politics in the literature of Early Islam and Umayyad period

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد الطالبة

نبيلة عاكف نايل المقبل

وافق عليها

الدكتور سالم مرعي الهدروسي..... مشرفًا ورئيسًا

الأستاذ الدكتور موسى سامح ربابعة..... عضوًا

الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس..... عضوًا

الأستاذ الدكتور مخيمر صالح..... عضوًا

الأستاذ الدكتور قاسم المومني..... عضوًا

تاريخ المناقشة

2015/12/27م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى. . . . . أبي وأمي

إلى. . . . . إخوتي وأخواتي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الدكتور سالم مرعي الهدروسي، الذي رعى البحث حتى اكتمل بصورته النهائية، وأحسبني لا أستطيع أن أوفي هذا الأستاذ حقه، فقد كان مثلًا في غزارة العلم، وسعة الصدر، وحسن الخلق، فجزاه الله عني خير الجزاء. وأتقدم أيضًا إلى الأساتذة المناقشين الأستاذ الدكتور قاسم المومني والأستاذ الدكتور موسى ربابعة والأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس والأستاذ الدكتور مخيمر صالح، على استعدادهم لمناقشة رسالتي وعلى ما بذلوه من جهد كبير في قراءتها ورفع سويتها العلمية. وأسجل شكري وامتناني إلى عائلتي التي قدمت لي العون طوال فترة إعداد البحث، فلهم مني أعظم المحبة والتقدير.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الملخص باللغة العربية	و
المقدمة	1
الفصل الأول: أدب المرأة السياسي في صدر الإسلام	6
أ–موقف المرأة من الإسلام	7
ب–موقف المرأة السياسي من الفتنة الكبرى بين النص الأدبي والرواية التاريخية	49
ج– المرأة والفتوح	82
الفصل الثاني : أدب المرأة والأحزاب السياسية في العصر الأموي	87
أ–المرأة والاتجاه العلوي	89
ب– المرأة والاتجاه الأموي	109
ج– المرأة والاتجاه الخارجي	114
الفصل الثالث: المرأة وتوظيفها السياسي في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي **(تحليل نماذج مختارة)**	127
الفصل الرابع: الظواهر الأسلوبيّة والفنيّة في خطب المرأة السياسيّة	175
الخاتمة	205
المصادر والمراجع	208
الملخص باللغة الإنجليزية	222

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص

المرأة والسياسة في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي، المقبل، نبيلة عاكف نايل، إشراف الدكتور سالم الهدروسي، 2015.

تسعى هذه الدراسة إلى فهم دور المرأة السياسي في الأدب الإسلامي والأموي، وذلك اعتمادا على إسهامها في أدب هذه المرحلة منتجةً للمادة الأدبية ذات الاتصال السياسي، أو بوصفها عنصرًا موظَّفًا في أدب تلك المرحلة توظيفا سياسيًا، سواء في ما نسب إليها من أدب لأغراض سياسية، أم ما وُظفت فيه المرأة ضمن الهجاء السياسي.

وتسعى الدراسة إلى الكشف عن هوية المرأة السياسية المنبثقة من أدبها الذي أنتجته، والأدب الذي وظفت فيه، في تلك الحقبة التاريخية، سواء في حضورها الفاعل للوقائع المبكرة، في بداية تشكل الدولة الإسلامية وفي حركة الفتوح، أم حضورها لاحقا في حركة التشكيل السياسي لنظام الدولة الإسلامية في ضوء الفتنة الكبرى، على خلفية الصراع السياسي بين الأمويّين والهاشميّين؛ تلك الفتنة التي بلغت ذروتها بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم بعد ذلك امتلاكها هوية سياسية محددة، إذ عبّرت بأدبها عن عقيدة سياسية تبلورت بانتمائها الحزبي؛ أموية أو علوية أو خارجية.

وتسعى الدراسة، أيضا، إلى البحث في توظيف المرأة في أدب تلك المرحلة شعرا ونثرا، وكذلك توظيفها السياسي في الأدب الهامشي، والكشف عن قيمته الفنية والموضوعية. فضلا عن الكشف عن القيمة الفنية والموضوعية لأدبها السياسي، لاسيّما نثرها، إذ لم يحظ بدراسة مطلقا، كاشفة عن القيمة الموضوعية والبلاغية والجمالية لما أنتجته في تلك المرحلة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد اعتمدت الباحثة المنهج التاريخي، فربطت النص الأدبي بالحدث التاريخي، ووظفت النص الأدبي لفهم الأحداث السياسية في تلك الحقبة التاريخية. واعتمدت كذلك المنهج الوصفي التحليلي في تناولها النصوص الأدبية موضوعيًا وفنيًّا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

مارست المرأة دورًا فاعلًا في العصر الإسلامي والأموي في ظل المكانة والأهلية التي منحها إيّاها الإسلام، فقد كانت فاعلة في النواحي الأدبية والسياسية والحربية والاجتماعية والدينية على حد سواء. وقد أسهمت بقوة في الحركة السياسية في صدر الإسلام والعصر الأموي. فكانت أديبة ذات مواقف سياسية؛ تنشد الشعر، وتلقي الخطب، وتكتب الرسائل.

وقد توالت الأديبات في تلك الحقبة التاريخية؛ فحضرن حضورًا بارزًا في وقائعها المبكرة، وساهمن في حركة التشكيل السياسي لنظام الدولة الإسلامية في بداية ظهور الدعوة، ثم حضرت المرأة في حركة الفتوح، وأسهمت إسهامًا فاعلًا في خضم أحداث الفتنة الكبرى المتقلة بالصراع بين الأمويين والهاشميين؛ تلك الفتنة التي بلغت ذروتها بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان للمرأة دور بارز في تلك الأحداث. وقد أنتجت المرأة أدبًا يعكس رؤية سياسية عميقة، ويؤكد دورًا بارزًا اضطلعت به في تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ الدولة الإسلامية. ولذلك تحاول هذه الدراسة استجلاء دور المرأة الحقيقي في توجيه سياسة العصر، وذلك بالاعتماد على النص الأدبي لتحديد موقفها السياسي، وتعرية المواقف المشوّهة والمزيَّفة التي ألحقت بها، وذلك من خلال العناية بالتحليل الدقيق لروايات العصر المتصلة بدورها السياسي. إذ إنّ الرواية تحتاج إلى تمحيص وتدقيق، للتأكد من مدى الانسجام بين الرواية التاريخية والنص الأدبي.

وقد نشطت المرأة كذلك حين نشأت الفرق المذهبية السياسية بعد ذلك، وحين ظهرت الحركات المناوئة لخلافة الأمويين، فتركت بصماتها على أنشطتها وفعالياتها. وكانت أديبة ذات

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مواقف سياسية واضحة، معبرة في أدبها عن معتقد سياسي ناضج، وعن وعي سياسي عميق، يتجاوز ما عُرف عن المرأة من مشاركة محدودة.

وبالإضافة إلى دور المرأة بوصفها منتِجة للمادة الأدبية المشكَّلة سياسيًّا، فقد جرى توظيفها توظيفًا سياسيًّا في أدب تلك المرحلة؛ لذا ستُعنى هذه الدراسة بتفسير الحضور السياسي للمرأة في الأدب الإسلامي والأموي.

ويبرز دور المرأة في الحالة السياسية إذا تناولنا الأدب بمفهومه العام، فالمرأة حضرت بقوة في الأدب السياسي، منتِجةً للمضمون الأدبي، أو بوصفها مضمونًا أدبيًا، أي عنصرًا موظَّفًا في أدب هذا العصر عامة، وقد عُني المؤرخون بتلك المادة الأدبية لاتصالها المباشر بأحداث العصر، فكان تسجيلها وروايتها روايةً لتاريخ العصر؛ فقد أُسنِدَت أدوار سياسيّة إلى المرأة استنادًا إلى تلك المادة الأدبية المتصلة برواية الحدث التاريخي؛ ومن هنا تبرز ضرورة حضور الأدب بمفهومه العام لفهم دور المرأة السياسي انطلاقًا من الأدب نفسه، فضلًا عن الرواية التاريخية، وهذا يستوجب إعادة فحص الرواية التاريخية وتمحيصها وتدقيقها، ويستوجب كذلك التأكد من الانسجام بين الرواية التاريخية والنص الأدبي.

وتأتي أهمية موضوع الدراسة من أنه لم تفرد له دراسة مستقلة من قبل؛ فقد تُنولِت المرأة بشأنها العام في الشعر الأموي، لا السياسي وحسب، وتطرقت هذه الدراسات إلى بعض الشعر السياسي المرتبط بالمرأة على شكل فصول أو إشارات، ففي كتاب " شعر النساء في أدبنا القديم" (1991) ل مي خليف نجد الدارسة تناولت بعض شعر المرأة السياسي في العصرين الجاهلي والإسلامي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي دراسة بعنوان "صورة المرأة في الشعر الأموي" (1995) لأمل نصير، أفردت الباحثة صفحات للحديث عن "المرأة في الإطار السياسي" مركّزة على ظاهرة الغزل السياسي الخاصة بالأحزاب السياسية، عارضة نماذج مشهورة كقصائد ابن قيس الرقيات المعروفة في هذا المجال، متأثرة في ذلك بما كتبه شوقي ضيف في كتابيه "العصر الإسلامي" و "التطور والتجديد في الشعر الأموي".

وثمّة جهد تجميعي في مجال النثر الفني، قامت به ليلى الحيالي، بعنوان "جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي: معجم ودراسة"(1999). أي أنها جمعت كل ما قالته المرأة من خطب ورسائل وأقوال أدبية في كتاب واحد. فهو عمل تحقيقي.

وثمّة دراسة لاحقة لفاطمة تجور بعنوان "المرأة في الشعر الأموي" (2000)، تتحدث في صفحات منها عن المرأة وموضوع الشعر الذي أنتجته الأحزاب السياسية، من زبيريِّين وخوارج وشيعة، ولم تخرج فاطمة تجور عن المنهج الذي اتبعته أمل نصير في تناولها لهذه الظاهرة.

وشبيه بذلك جهد تحقيقي تناول نثر المرأة، ولكن هذه المرة من الجاهلية حتى العصر الأموي لعبد الحي الحوسني(2004).

يضاف إلى ما سبق عمل تجميعي تحليلي لسعد بوفلاقة، مصحوب بدراسة تقديمية، بعنوان " شعر المرأة في صدر الإسلام والعصر الأموي" (2007)، وهو عمل يُعدُّ مدخلًا مفيدًا جدًّا للمادة الشعرية التي أنتجتها النساء آنذاك في موضوعات متعددة، من بينها الموضوع السياسي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذًا، تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها لم تحظَ بدراسة مستقلة من قبل. فالدراسات السابقة تناولت نشاط المرأة الشعري على الصعيد السياسي في عنوانات جانبية، أما نشاطها النثري السياسي فلم يُدرس أبدًا.

وتعتمد الدراسة المنهج التاريخي؛ إذ تربط النص الأدبي بالحدث التاريخي، مفيدةً من النص الأدبي في توجيه الرواية التاريخية، ومفيدةً في الوقت نفسه من الروايات التاريخية الأخرى الخاصة بالنص ذاته. وتعتمد كذلك على المنهج الوصفي التحليلي في تناولها للنص الأدبي خاصة من الناحية الفنية.

كما أنّ الدراسة ستُعنى بنثر المرأة السياسي بالتركيز على الأساليب والظواهر الفنية التي لجأت إليها المرأة في أدبها لطرح موقفها من قضايا العصر، لاسيّما أنّ نثر المرأة في تلك الحقبة لم يدرس مطلقا، فنيا أو موضوعيا.

وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول؛ **الفصل الأول: أدب المرأة السياسي في صدر الإسلام**، ويتضمن:

أولا: موقف المرأة السياسي من الإسلام

ثانيا: موقف المرأة السياسي من الفتنة الكبرى بين النص الأدبي والرواية التاريخية

ثالثا: دور المرأة في الفتوح

والفصل الثاني: المرأة والأدب والتحزب السياسي في العصر الأموي، ويتضمن:

أولا:المرأة العلوية

ثانيا:المرأة الأموية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا: المرأة الخارجية

الفصل الثالث : **المرأة وتوظيفها السياسي في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي (تحليل نماذج مختارة)**

والفصل الرابع: **الظواهر الأسلوبيّة والفنيّة في خطب المرأة السياسيّة**

وأخيرا خاتمة الدراسة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

أدب المرأة السياسي في صدر الإسلام

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا: موقف المرأة من الإسلام

بذلت المرأة جهدًا واضحًا في سبيل الإسلام، فكانت من أوائل معتنقيه، أمثال السيدة خديجة، وكانت النساء من أوائل المعذبات في سبيل الإسلام أمثال السيدة سمية بنت خياط، فضلًا عن أن المرأة لم تألُ جهدًا في دعمها للإسلام أدبيًا وسياسيًا وعسكريًا[1]، وكان أدب المرأة في مرحلة الإسلام الأولى وسيلة سياسية تعبّر عن العقيدة وأهدافها وأحكامها ومبادئها، فلم يُقصَر الأدب السياسي للمرأة، مسلمةً كانت أم مشركة، على شحذ همم المقاتلين في المعارك والغزوات الأولى وحسب، بل كانت أيضا منتجة أدبية فاعلة في الحياة السياسية خارج إطار الحرب. فقد استخدمت المرأة الأدب أداة موجهة لدعم رؤيتها السياسية التي آمنت بها وسعت إلى نصرتها، ورأته وسيلة أساسية للتعبير عن رؤيتها تلك، فبذلت جهدًا عسكريًا وأدبيا سياسيا في نصرة فريقها أو دينها. ويسعى هذا الفصل إلى تسليط الضوء على إسهام المرأة الفاعل في الحياة السياسية من خلال أدبها في تلك المرحلة الحاسمة من تأسيس دولة الإسلام، وسيتناول الفصل أمثلة لأولئك النسوة اللاتي برزن في هذا الشأن، أمثال السيدة خديجة، وأروى بنت عبد المطلب، وهند بنت عتبة وعصماء بنت مروان، وسجاح التميمية، وغيرهن.

ويعد الإسلام العمل السياسي للمرأة واجبًا شرعيًا، فشأنها في ذلك شأن الرجل، لاشتراكهما في التوحيد، والعبودية، والاستخلاف، وخضوعهما للسنن. فالرؤية الاسلامية لا تقسم العمل بين الرجل والمرأة، فكلاهما مسؤول عن حفظ الدين في شتى المجالات.[2]

---

[1] خريسات، محمد، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الأردنية، عمان، 1998، ص30.

[2] عزت، هبة رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1995، ص247، 248.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالإسلام دين وسياسة، عقيدة ونظام، فالدين والسياسة متلازمان في الشريعة الإسلامية. فلم يكن في الاسلام صنفان متميزان من الوظائف أو الأعمال يخلص أحدهما للدين، ويخلص الآخر للسياسة.[1]

والأدب السياسي، أو ادب السياسة : هو الفن القولي شعرًا كان او خطابًة او كتابًة او حواراً الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييدًا أو تفنيدًا او يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم[2].

ولما صدع النبي عليه الصلاة والسلام بالدعوة واستهلت بشائر الدولة الإسلامية بدأ المسلمون ينشئون مجتمعًا جديدًا لا يخضع لعرف القبيلة ، بل يخضع لقانون واحد عام، ولا يتوخى منافع فردية أو قبلية، وإنما يتوخى المصلحة العامة للمجتمع كله، وهذا المجتمع الجديد بنية واحدة متماسكة بأواصر من اللغة والدين ووحدة الأهداف والمصالح المشتركة، ومتجانسة، فهو مجتمع سياسي صار دولة بعد استكمال وسائل الوحدة والقوة، ثم ما لبثت هذه الدولة الناشئة أن مارست شؤون السياسة كلها من حكم ودفاع وقضاء وتعليم واقتصاد ومعاهدات، ولم توصف وظيفة من هذه الوظائف ، أو عمل من هذه الأعمال بأنه ديني.[3]

فقد ارتبط الدين بالسياسة ارتباطًا وثيقًا، لذا نشطت المرأة المسلمة في هذه الحقبة المبكرة من التاريخ الإسلامي، في المجال السياسي في بث الدعوة الاسلامية ونشرها. فتحملت بعض النساء ما تحمله بعض الرجال في هذا الشأن.[4]

---

[1] الهادي، صلاح الدين، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1986، ص 80.

[2] الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ط5، دار نهضة مصر، القاهرة، 1979،ص8.

[3] الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي، ص10.

[4] خريسات، المشاركة السياسية للمرأة، ص30.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكانت السيدة خديجة الداعمة الأولى للرسول ﷺ في دعوته، ويظهر ذلك في حوارها مع الرسول ﷺ بعد الإرهاص الأول للنبوة في غار حراء، عندما رجع عليه الصلاة والسلام وأخبرها خبره، فقالت السيدة خديجة "إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة، وإن خلقك لكريم"[1]، وفي رواية أخرى" كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق" فتصف الرسول عليه الصلاة والسلام بقول أدبي بليغ يظهر أهليته لمهام النبوة.

ويرى جميل بيهم أن هذا القول يظهر مدى دعم السيدة خديجة والمؤازرة والتشجيع المعنوي للرسول ﷺ في بداية بعثته، وقد كان أحوج ما يكون عليه الصلاة والسلام إلى تلك العناية والحنو والطمأنينة.[2] ويورد بيهم قول "لوفاليس" في هذا الشأن: "ما رأيت شيئا قط آكد ليقيني وأوثق لاعتقادي من انضمام إنسان لآخر في رأيي، فإذا كان للموافقة المجردة من كل أثر ديني مثل هذا التأثير فلعمري كم يكون من أثر وعاقبة للمؤازرة الروحية الصادقة التي حبت بها خديجة محمدًا". [3]

وقد كانت السيدة خديجة أول من أسلم، وأول من صلى خلف رسول الله ﷺ، وأول من بشرته بالنبوة، إذ قالت له بعد حادثة غار حراء:"أبشر يا ابن العم واثبت فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة"[4]

---

[1] ابن سعد، محمد بو عبدالله، (ت230هـ) الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 ، جزء 1، ص195.

[2] بيهم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962،ص59.

[3] بيهم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب، 59.

[4] ابن هشام، عبد الملك(ت213هـ) السيرة النبوية، تحقيق طه سعد، دار الجيل، بيروت، 1990، ج1، ص186.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واكتسبت أهميتها السياسية من أنها كانت على درجة عالية من الوعي بما يجري حولها من قضايا، فأهّلها ذلك لأن تحسن فهم ما ذكر لها الرسول من أمر الوحي والرسالة، ومكّنها من الثبات في هذا الظرف العصيب، وقد أخذت بكل أسباب التحقق من صدق الدعوة، من دعمها للرسول ﷺ، ثم ذهابها الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي بشرها بأنه نبي هذه الأمة، وعادت فمارست دورها في دعم الرسول –عليه الصلاة والسلام– المكثف في دعوته. [1]

لقد آمنت السيدة خديجة إيمانًا يقينيًا، ولم تكن مجرد تابعة أو مقلدة مأسورة بعظمة شخصية الرسول ﷺ، ولقد كان لها أثر عميق في تقوية معنويات الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يجابه بالتوحيد شرك العرب جميعا.[2]

وغير السيدة خديجة وجدنا المرأة المسلمة قدمت صورًا أولى للمشاركة السياسية في الدولة الجديدة من خلال الهجرة والبيعة. فتجاوزت بيعة النساء حدود الطاعة في المعروف لتشمل البيعة على العقيدة، أي الالتزام السياسي، حيث رأينا نساء الأنصار والمهاجرات بعد صلح الحديبية ونساء قريش بعد الفتح قد بايعن الرسول ﷺ على ذلك.[3]

ويبرز ولاء المرأة السياسي، في بيعتهن لرسول الله عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة، ويأتي حوار هند بنت عتبة زوج أبي سفيان مع الرسول عليه الصلاة والسلام دالا على التزام المرأة السياسي، فكان أن أوجب الإسلام عليها واجبات دينية سياسية، كما ظهر في القرآن الكريم في قوله تعالى:

---

[1] الفقي، محمد، المرأة من السياسة الى الرئاسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010، ص17.

[2] الفقي، محمد، المرأة من السياسة إلى الرئاسة، ص 17.

[3] عزت، هبة، المرأة والعمل السياسي، ص125.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"يا أيّها النّبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنكَ على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقنَ ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنَّ ولا يأتينَ ببهتان يفترينه بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ ولا يعصينك في معروف فيايعهنّ واستغفر لهنّ الله إنَّ الله غفورٌ رحيم"[1]

وكان الرسول الله ﷺ قد دعا النساء إلى البيعة بعد فروغه من بيعة الرجال، وفي ذلك دلالة على أهمية المرأة في التزامها السياسي نحو الدولة. وجاء في حواره ﷺ مع هند عندما أتته مبايعة:" أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، فقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيتك أخذته على الرجال، وقد أعطيناك. قال: ولا تسرقن، قالت: إني لآخذ من أبي سفيان هنات، فما أدري أيحلهن أم لا، فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى، وفيما غبر فهو لك حلال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وإنك لهند؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغاراً، وقتلتموهم ببدر كباراً، وأنت وهم أعلم، وقال: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، قالت: والله إن البهتان لشيء قبيح، ولبعض التجاوز أمثل، وما أمرتنا إلا بالرشد، ومكارم الأخلاق. قال: ولا تعصين في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس، ونحن نحب أن نعصيك في شيء. قال: ولا تزنين، قالت: أو تزني الحرة؟"وقد بايعهن رسول الله على ذلك.[2]

فذلك الحوار يجسد بيعة سياسية تمت بشروط محددة في صيغة من الولاء السياسي التزمت بها المرأة مقابلًا للحقوق الممنوحة لها، فكان عليها أن تحافظ على دينها ودولتها وشرفها ومال زوجها.

[1] سورة الممتحنة.، الآية رقم 12.

[2] انظر ابن سعد الطبقات جزء8، ص 23؛ وابن كثير، البداية والنهاية، جزء4، ص365.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتقف مي خليف عند بعض المشاركات السياسية للمرأة ومنها البيعة، وهي تذهب إلى تعدد صور المشاركة السياسية للمرأة بعد عصر الجاهلية، أي في ظل ظهور الحكومات المركزية وتحول المجتمع العربي من صورته القبلية الممزقة إلى نظم تعرف فكرة الأمة والمواطنة، وتتجاوز رابطة الدم والعصبية إلى روابط أخرى تحكمها الروحية أو الروابط السياسية في المجتمع الجديد، ومن هنا فقد عدّت مي خليف مبايعة النساء الرسول الله صلى الله عليه وسلم موقفًا سياسيًا، يكشف عن مزاحمة النساء للرجال، في مهد الدولة الجديدة، ففي حدث كحدث البيعة تبدو المشاركة السياسية للمرأة واضحة جدًا. ورغم أن اصطلاح الحق السياسي لم يكن معروفا في هذه الحقبة، إلا أنّ البيعة أعطت المرأة حق الحضور والمشاركة والتساؤل والاستفسار والحوار والمناقشة فيما يتعلق بحقوقها وواجباتها، وهو حق مشروع في التنظير السياسي يكشف عن دورها في المشاركة السياسية التي حملتها على عاتقها في شعرها، حين ارتبطت بأحداث عصرها ارتباطًا حميمًا، سواء من وقفت من الشاعرات في صفوف الإسلام، أو من أصبح شعرهن يمثل خطرًا على الدين أو الدولة الجديدة.[1]

وقد غلبت السياسة على الأدب العربي في القرن الأول الهجري لأنه عهد تكوين الدولة في الداخل وبسط نفوذها في الخارج، فكان لا بد من مسايرة الأدب لهذه التيارات وتسجيلها.[2] وصار للأدب، شعره ونثره، مسؤولية كبيرة شاركت في حملها المرأة لدعم الإسلام ودولته أو مناهضته.

فاكتسبت الخطابة مثلًا قوة جديدة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم إبان الجهاد ضد الوثنية، قوة أذكتها الأحداث السياسية والدينية، كما اكتسبت لونًا جديدًا مقتبسًا من أسلوب القرآن

---

[1] خليف، مي يوسف، الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، القاهرة، 1991، ص63، 64.

[2] الشايب، تاريخ الشعر السياسي، دار القلم، بيروت، 1976، ص27 .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبلاغته. وكانت نساء أهل البيت على رأس ما حدث وقتئذ من صراع داخلي، وكنَّ السابقات الى تأييد الدعوة الاسلامية، فقد نوَه التاريخ بما كان لبعضهن من مواقف خطابية، فقد أشاد أحمد أجاييف الروسي بأدب فاطمة الزهراء ومواقفها في تأييد الرسول ﷺ، ورأى أنّ خطبها تشهد لها بسمو المدارك وأصالة الرأي.[1]

وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية التي تعد من أخطب نساء العرب والتي سميت بخطيبة النساء، جاهدت في سبيل الله جهادًا يفوق جهاد الرجال بعد إسلامها في السنة الأولى للهجرة، ثم قُتلت في معركة اليرموك بعد أن صرعت تسعة من الروم.[2]

وتؤكد الممارسة التاريخية الحقيقة الإسلامية التي فهمتها المسلمة الأولى أن خطاب الله تعالى بالدين ومسؤولياته كان خطابًا موجها للمرأة مع الرجل، فكانت المرأة مسؤولة أمام الله تعالى مسؤولية فردية ومستقلة عن مسؤولية الرجل إزاء هذه العقيدة.[3]

فقد وعت المرأة مسؤوليتها، فشاركت في الأحداث مشاركة فاعلة ولاسيّما مشاركتها في القتال، الذي يُعد صورة أساسية من صور المشاركة السياسية، وفي الوقت ذاته استخدمت الأدب وسيلة أساسية لنشر الاسلام، والحث على اعتناقه ومجابهة الشرك في تلك المرحلة. وفي المقابل استخدمته المرأة المشركة لمناهضته، فضلًا عن الممارسة السياسية المتمثلة في الهجرة والبيعة والرؤية السياسية الثاقبة وهو ما حدث متأخرا ، فكانت خطيبة وشاعرة تؤيد مبادئ سياسية أو تنتقدها، وتتخذ قرارات ذات أبعاد سياسية.

---

[1] بيهم، محمد جميل، المرأة وحضارة العرب، ص 75.

[2] انظر ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني(ت852هـ)،الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، جزء 7 ص175. الزركلي، الأعلام، جزء 1، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002، ص306،

[3] الفقي، المرأة من السياسة إلى الرئاسة، ص18.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذًا فقد وظفت المرأة أدبها في ساحة القتال وخارجها، مسلمةً أو مشركة. وكان لأدبها التأثير الكبير في فريقها.

وشاركت المرأة منذ فجر الإسلام بأدبها في الأحداث السياسية والوقائع الحربية، وكان منهن المناصرات للإسلام والمسلمين، ومنهن من وقفن في وجهه يهاجين المسلمين ويناصرن المشركين[1].

وقد كان للشواعر أثر واضح في المواقف السياسية، فهذه قتيلة بنت النضر بن الحارث، ترثي أباها المشرك بعد بدر، وتتمنى لو أن الرسول وهبه لها. فهي تمدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنها كانت ترجو أن يُبقي على أبيها. فقالت[2] شعرًا جميلًا مؤثرًا، ربما كان سيؤثر في موقف الرسول لو قيل قبل مقتل أبيها:

(الكامل)

يا راكبـــاً إنَّ الأثيلَ مَظِنـــَّةٌ ... من صبحِ خامسةٍ وأنتَ موفّقُ

أبلغْ بها ميتا بـــأنَّ تحـــــيةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفُقُ

منّي إليكَ وعبرةٌ مسفوحـــةٌ ... جادتْ بواكفها وأخرى تَخـــنُقُ

هل يسمعني النضرُ إنْ ناديتُهُ ... أم كيفَ يَسمعُ ميتٌ لا ينطـــقُ

أمحمَّدٌ يا خيرَ ضِنْءٍ كريمـــةٍ ... في قومِها والفحلُ فحلٌ معرقُ

ما كان ضَرَّك لو منَنْتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ

أو كـــنتَ قابلَ فِدْيَةٍ فلْينـــفقَنْ ... بأعزِّ ما يَغلو بهِ ما يُـــنفـــــقُ

---

[1] بوفلاقة، سعد، شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص198.

[2] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جزء7، ص480.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالنّضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً وأحقُّهم إنْ كانَ عِتْقٌ يُعتَــقُ

ظلَّت سيوفُ بني أبيهِ تنوشهُ للهِ أرحامٌ هناكَ تَـــشَقّــقُ

صبرًا يُقادُ إلى المنيَّةِ مُتعبًا رَسفَ المُقيَّد وهُو عانٍ موثَقُ

قيل إنَّ هذا الشعر ترك أثرًا في نفس الرسول ، وأنه قال: "لو سمعت هذا قبل قتله ما قتلته".[1]

وفي معرض تقسيم الأبيات بحسب الموضوع، خصصت الشاعرة الأبيات الأربعة الأولى لأبيها الميت النضر بن الحارث، فالشاعرة تخاطب مَن حمّلته التحية إلى قبر أبيها في موضع يُقال له الأثيل، والأثيل موضع قرب المدينة، قُتل فيه النضر بعد منصرفه من بدر.[2] وتقول قتيلة لمن تخاطبه إنك ستصل الأثيل بعد خمس ليال، وهو الغاية. وربما كان الأمر على غير وجه الحقيقة، فتكون الشاعرة جرّدت شخصا تصورته يسافر لإبلاغ قبر أبيها السلام، ولا تبدو وظيفة التجريد واضحة، إلا أن التجريد غالبا يستخدم في مطالع القصائد المتسمة بالبكاء والحزن، كما يقول امرؤ القيس:[3]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللِّوى بين الدَّخولِ فحَومَلِ

واستخدمت الشاعرة التشخيص إذ أرسلت التحية إلى أبيها الميْت، فعاملته معاملة الأحياء (تشخيص الميت أو إحياء الميت بإبلاغه التحية). وتبكي، فتارة يسيل دمعها غزيرًا، وتارة تخنُقها العبرة، وهذا من شدّة الحزن على أبيها:

---

[1] انظر ابن حجر، الإصابة، تحقيق البجاوي، دار الجيل، بيروت، 2001،جزء 8، ص79.

[2] الحموي، ياقوت أبو عبدالله شهاب الدين(ت626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1979،(باب الهمزة والجيم).

[3] ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص8.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مني إليك وعبرةً مسفوحةً جادت بواكفها وأخرى تخنقُ

وفي البيت السابق، وما قبله وما بعده، نجد أن الشاعرة عمدت إلى الالتفات في رثاء أبيها، فانتقلت من الغيبة إلى الخطاب، ثمّ إلى الغيبة، فهي بدأت بالغيبة قائلة: أبلغْ بها ميْتا، والميتُ أبوها، ثم خاطبته بقولها: منّي إليكَ تحيّة .. ، ثمّ ترجع إلى الغيبة بقولها : هل يسمعنّي النضر..، وربما عبّر هذا الالتفات عن اضطراب داخلي بسبب الحزن، والمراوحة بين استشعار الفقد واستشعار الحضور بالاستذكار.

ثم تتحول بالخطاب إلى الرسول ﷺ، فتمدحه بأنه من أمّ كريمة في قومها، ومن أب ذي نسب شريف عريق:

أمحمَّدٌ، يا خيرَ ضَنْءٍ كريمةٍ في قومها، والفحل فحلٌ معرقُ[1]

ثم تعاتبه عليه الصلاة والسلام، فتتمنى لو أنْ عفا عن أبيها، وهو النبيّ الكريم النبيل، الذي يعفو حتى وهو محنق، أي شديد الغضب. مذكّرةً إيّاه ﷺ بالرحم التي بينه وبين أبيها، فترى أنّ أباها أحق الناس بالعفو لقرابته القريبة من الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا أن نهايته كانت على يد أرحامه وأقاربه، فلم يحفظوا رحمه، ولا ريب أنها أرادت مَن أسلم منهم:

فالنّضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً وأحقُّهم إنْ كانَ عِتْقٌ يُعتَــقُ

ظلَّت سيــوفُ بني أبيهِ تنوشــهُ للهِ أرحــامٌ هناكَ تَــشَــقــقُ

وهي شهادة منها في حقهم من حيث لا تشعر، فهؤلاء لتمكّن الإسلام في قلوبهم ورسوخه في أرواحهم، حاربوا فيه أقرب الناس وقتلوهم وقُتِلوا منهم، لأنهم كانوا من أعداء الله والدين الحق، فآثروا نصرة الحق على الرحم القريبة، مع ما كان للرحم في الجاهلية من

[1] الضنء: الأصل والمعدن.(لسان العرب. مادة ضنأ).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التبعات، فكان لزامًا على الرجل أن ينصر قومه وقرباه حتى إن كانوا على الباطل، فجاء الإسلام وحوّل ولاءهم للدين والحق.

ويبدو أن صورة النبوة لم تكن واضحة عند قتيلة، إذ ليس هناك ذكر للإسلام أو النبوة، ولم يُذكر أنها أسلمت، ولكنها قصيدة ذات بعد إنساني، كان لها أثر في الرسول عليه الصلاة والسلام كما مرّ. ومهما يكن، فالأبيات تندرج ضمن الجو السياسي العام الذي ساد في تلك الحقبة، وتمثّل بنشوء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، والمواجهات الدامية التي وقعت بينها وبين مناوئيها من مشركي الجزيرة ويهودها.

وكان تيار الدعوة إلى الجهاد من أقوى التيارات الإسلامية التي أثرت في أشعار المرأة، ودفعها إلى نظم الشعر، ودورها في هذه المرحلة من أخطر الأدوار في نجاح الغزوات الخالدة. وكان يواجه تيارُ المرأة المؤمنة تياراً آخرَ مضادًا له ومنافيًا لدعوته ومحاربًا لعقيدته تلك، هو شعر النساء المشركات.[1]

ويعد الجهاد وفق الرؤية الاسلامية من أبرز أنواع المشاركة السياسية للمرأة، بل يعدّها الفقهاء واجباً عينياً على المرأة، مراعيا في ذلك إمكاناتها وقدراتها[2]. ويندرج شعر النقائض بين النساء المسلمات والنساء المشركات تحت باب الجهاد السياسي.

ونقلت المصادر التاريخية أخبار المناقضات الشعرية بين شواعر المسلمين وشواعر المشركين، ومنها تلك المناقضة بين هند بنت أثاثة بن عبد المطلب وهنـــد بنت عتبة، وهـــي

[1] الحيالي، ليلى، معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام، مكتبة لبنان، بيروت، 1999، ص28.

[2] انظر عزت، هبة، المرأة والعمل السياسي رؤية اسلامية، ص 162.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مناقضات شعرية لاذعة تعبِّر عن انتماء ديني سياسي لكلتا الشاعرتين، إذ قالت هند بنت عتبة[1]:

(الرجز)

نحــنُ جـــــزيناكم بيومِ بـــدرٍ والحربُ يومَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ

ما كانَ عن عتبة لي مِن صَبرِ أبي وعمّي وأخِي وصِـــــهْرِي

شَفيتَ وحْشيٌّ غليلَ صـــدَري شفيتَ نفسي وقضـــيتَ نَـــذرِي

فَشُكْرُ وحشيٍّ عليَّ عُـــــمري حتى تغيبَ أعظـــمي في قَبري

تفتخر هند بانتصارها في يوم أحد، فتراه يعوض هزيمتها في بدر، فقد ثأرت لأبيها وأخيها وعمها من حمزة رضي الله عنه، ولكنها تفتخر بوحشي (العبد الحبشي) دون أقربائها(الأمويين)، فقد شفى غليلها، وقضى نذرها، فهي مدينة له طيلة عمرها.

فقد كانت هند بنت عنبة ممن يُعتد بهن من النساء، وكانت تمثل حربًا على المسلمين.

وقد شاركت في الحياة السياسية والعسكرية، ما جعلها معدودة بين من أمر الرسول ﷺ بقتلهم وقتلهن.[2]

وقد أجابتها هند بنت أثاثة مرتجزة[3]:

(الرجز)

يا بنتَ رَقَّاعٍ عظيمِ الكفرِ خُزِيتِ في بدرٍ وغيرِ بدرِ

صَبَّحكِ اللهُ قُبيلَ الفَـــجرِ بالهاشميِّينَ الطِّوالِ الزُّهرِ

[1] ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص 148.

[2] الجبيلي، سجيع، البيت السفياني في الشعر الأموي، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص 35 .

[3] ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، جزء 8، ص148.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسامٍ يَفــري حمزةُ ليثي وعليٌّ صَقري

إذ رام شيبةٌ وأبوك غدري[1] أعطيتِ وحشيَّ ضميرَ الصدرِ

وهَنْكُ وحشيٍّ حجابَ السَّترِ ما للبــغايا بعــدها مِن فَــخْرِ

وقيل إن نص هند بنت أثاثة قيل قبل أحد، أي قبل مقتل حمزة رضي الله عنه، في حين تذكر المصادر أنه قد قيل بعد أحد، وهذا أقوى في رأيي؛ ذلك أن هند بنت أثاثة تذكر عتبة وشيبة ابني ربيعة، أي تذكر ما حدث في بدر، لأن شيبة قُتل في بدر على يد حمزة رضي الله عنه، وأخطأ من ظنّ أن بنت أثاثة تريد أُحدًا من قولها:

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسام يَفري حمزةُ ليثي وعليٌّ صَقري

بل هي تستحضر ما جرى في بدر، وهي مفجوعة بعمّها حمزة بعد أحد، فهي كأنها تقول لها إنّ عمّها حمزة وابن عمّها عليًّا رضي الله عنهما واجها القوم مواجهة في بدر، وبارزاهم مبارزة الأبطال، وقتلا أباها وعمها وأخاها على مرأى من الناس، لكن حمزة رضي الله عنه قُتل غيلة في أُحد على يد وحشي، فلم يواجهه وجهًا لوجه، وهذا من طبع اللئام لا الكرام. والأقوى من هذا الدليل أنّ أبيات بنت أثاثة هي في الأصل ردٌّ على أبيات بنت عتبة التي قالتها بعد أُحد جزمًا؛ إذ استهلتها بقولها: " نحنُ جزيناكم بيومِ بدرٍ"، وإنّما قال المشركون هذا بعد أحد، حين عدّوا انتصارهم فيها ثأرًا لما أصابهم من هزيمة نكراء في بدر.

والغريب أن تنحدر أبيات بنت أثاثة إلى نوع من القذف، فكأنها ترمي هندًا ابنة عتبة بوحشي، ولعلّ جزعها على عمّها سيد الشهداء الذي تعرّضت جثته للمُثلة الشنيعة هو ما حدا بها إلى مثل هذا الشعر الهجومي بقوة.

[1] الصحيح: غدرًا، والقافية اضطرت الشاعرة، فثمّة إقواء.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على أنّ ما نُسب إلى هند بنت أثاثة من أبيات، نسبه ابن طيفور في بلاغات النساء إلى أروى بنت الحارث بن عبد المطلب[1]، وعلى أية حال فالمصادر جميعها تثبت تلك المناقضة وإن اختلفت في قائلتها.

ونجد المرأة في معسكر الشرك تثبّط عن اعتناق الإسلام، بل تلوم وتقرّع، ونجد هذا المضمون في أبيات لهند بنت عتبة نفسها توجهها إلى أبي حذيفة أخيها، ومثلها إلى ابنة عمها رملة بنت شيبة بن ربيعة، إذ كانت رملة من المسلمات المهاجرات. تقول هند[2]:

(الوافر)

لحى الرحمنُ صابــئة بوجٍّ[3] ومكةَّ عندَ أطرافِ الحجونِ[4]

تدينُ لمعشرٍ قتــلوا أبــاها أقتلُ أبيكِ جــاءكِ باليــقينِ

تعمد هند في هذين البيتين إلى أسلوب التهكّم، وهو أسلوب يستعيض به المرء عادة عن الذمّ والقدح، لاسيّما مع ذوي القربى، فأوّل التهكم هو عبارتها "لحى الرحمن صابئة .." فمعنى (لحى) أي أعطى، والجملة دعائية، أي كأنها تدعو لها بالرحمة من الرحمن، لكن قولها "صابئة" يظهر أنها تتهكّم. وتهكمها الآخر جاء في صورة استفهام، حين قالت: "أقتل أبيك جاءك باليقين؟"، وهو سؤال إنكاري تعجّبي توبيخي، جاء بعد مفارقة تضمنها قولها: "تدين لمعشر قتلوا أباها !"، ذلك إنّ هندًا كانت على الكفر ولا تدرك أثر الإيمان في نفس الإنسان، وكيف أنّه يغيّرها من حال الولاء إلى العصبيات والأهواء ومعايير أهل الدنيا إلى حال الولاء المطلق لله

---

[1] ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت280هـ)، بلاغات النساء، تحقيق أحمد الألفي، دار الكتب الوطنية، تونس، 1985،ص33-34.

[2] انظر ابن حجر، الإصابة، تحقيق البجاوي، جزء 7، 654.

[3] وجّ: هو موضع بناحية الطائف.(لسان العرب، مادة وجج).

[4] الحجون: جبل بمكة.(لسان العرب، مادة حجن).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سبحانه ومعايير الآخرة، فرملة بنت شيبة حين تمكّن الإيمان من قلبها زال حقدها على الإسلام والمسلمين الذين قتلوا أباها في بدر.

وكانت هند بنت عتبة في غزوة أحد على رأس جيش المشركين محارِبةً ومحرضة على قتال المسلمين، وقد استخدمت شعرها في ذلك، ومنه: [1]

(مجزوء الرجز)

ويها بني عبد الدارِ ويها حماةَ الأدبارِ

ضربًا بكل بتّارِ

ومن الملاحظ هنا أنَّ هندًا تستنفر بني عبد الدار دون غيرهم في معركة أحد، فلمَ لم تستنجد ببني أمية قومها؟ وهم أكثر الموتورين في بدر. يبدو أن ذلك مرتبط بحمل اللواء في أحد، فقد كان لبني عبد الدار، فأرادت هند بشعرها إذكاء حميتهم.

فقد كانت عبد الدار هي التي تعقد راية الحرب لقريش في الجاهلية، وبقيت كذلك مع ظهور الإسلام، ويذكر أنّ أبا سفيان قد استفز بني عبد الدار في أحد، فقال لهم: "إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسنكفيكموه" فأصروا على حمل اللواء واستبسلوا في الحفاظ عليه.[2]

ومن شعرها في غزوة أحد أيضا[3]:

(مجزوء الرجز)

نحن بنات طارقْ نمشي على النمارقْ

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ، جزء، 4، ص14.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جزء2، ص64.

[3] ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، جزء 4، ص 1922.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمسكُ في المفارقْ والدرُ في المخانقْ[1]

إنْ تُقبلوا نعانـــــقْ أو تدبروا نــفارقْ

فراقَ غيرِ وامقْ[2]

وشعر هند السابق يعبر عن فخرها بنسبها، فهي تتبختر وتتباهى بنسبها، وتعرض صورة واضحة من الترف. وليس ثمة مَن اسمه طارق حقيقةً في أسرتها، فطارق صفة للنجم الثاقب كما ورد في قوله تعالى:" والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب"[3]. ولعل نسبة هند نفسها إلى الطارق هو من باب الافتخار بنسبها، إذ ربما أرادت أنّ آباءها كالنجم في الشرف والعلو والشهرة[4]. فهم على ذلك حريّون بالانتصار، ونساؤهم المرفهات، بنات الشرف لا يقبلن بهزيمتهم وإدبارهم.

وهذه عصماء بنت مروان تناهض دعوة الإسلام منذ ظهورها، وكانت تتعمد إيذاء المسلمين بشعرها، ثم شكلت خطرا على دولة الإسلام حين شرعت تحض على الفتك برسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد قتلها عمير بن عدي في السنة الثانية للهجرة.[5] وكان حسان بن ثابت يرد على عصماء، على نحو المناقضات التي وقعت بين هند بنت أثاثة المسلمة وهند

---

[1] المخنقة: قلادة على المخنَّق.(لسان العرب. مادة خنق).

[2] وامق: مُحِبّ.(لسان العرب.مادة ومق).

[3] سورة الطارق.

[4] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 617هـ)، تفسير القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003.

[5] انظر ابن عبد البر، أبو عمريوسف بن عبدالله (ت436هـ)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق البجاوي، جزء4، 1922،جزء 3، ص121، وانظر الواقدي، المغازي، جزء1، ص172.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بنت عتبة قبل إسلامها، إذ كانت عصماء تلوم الأنصار على نصرتهم لدين الله ورسوله عليه الصلاة والسلام. ومن شعرها في ذلك[1]:

(المتقارب)

بَئِسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ[2] وَعَوْفٍ وَبَئِسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ

أَطَعْتُمْ أَتَاوِيّ[3] مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجِ[4]

تَرَجّوْنَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرّؤُوس كَمَا يُرْتَجَى مَرقُ الْمُنْضِجِ

أَلَا أَنِفٌ[5] يَبْتَغِي غِرّةً فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

فردّ عليها حسان بن ثابت[6]:

بنو وائلٍ وبنو واقفٍ وخطمةَ دون بني الخزرجِ

متى ما دَعَت سفَهَاً ويحَها بِعَولَتِها والمنايا تَجِي

فهزّت فتىً ماجدًا عِرقُهُ كريمَ المُداخِلِ والمَخرجِ

فضرَّجها من نَجيعِ الدِما ءِ بعد الهُدُوِّ فلم يَحْرَجِ

وتذهب مي خليف إلى أنّ عصماء بنت مروان اقتحمت بشعرها مجالًا للفتنة، فكان من الطبيعي أن يأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بقتلها فتُقتل، وذلك حين خشي من خطر لسانها

---

[1] السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة، النبوية لابن هشام، جزء 4، ص417.

[2] النبيت: قوم من اليمن.

[3] الأتاوي: الغريب.

[4] مراد ومذحج: قبيلتان من قبائل اليمن.

[5] أنِف: مترفع وكاره(لسان العرب. مادة أنف).

[6] السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة، النبوية لابن هشام، جزء 4، ص417.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على الدولة في مهدها، وعلى العقيدة، وحين مثلت الخطر نفسه الذي مثله الرجال ضد أمن الدولة الجديدة.[1]

وفي المقابل، نجد المرأة قد اعتنقت الإسلام ودعمته، وتعرضت لأشد ألوان العذاب، وظلت صلبة على موقفها، فهذه أم شريك الدوسية كانت متزوجة في بني دوس، ولما أسلمت أخذت تتصل بنساء مكة تعرض عليهن الإسلام ففطنت قريش الى خطورة حركتها وما تدعو إليه، فأخرجتها إلى بني دوس أهلها، فحرمها هؤلاء الطعام والشراب، ولما رأوا صلابة موقفها ونصر الله لها أسلموا جميعًا، فكان لها الفضل في إسلامهم.[2]

هذا، ولم يقف دور المرأة المسلمة عند مهاجمة الشرك، بل نذرت نفسها للدفاع عن الدعوة والتبشير بها، والحث على اعتناقها، وضحّت بحياتها، كما في موقف زينب بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، التي تركت زوجها إلى أن منّ الله عليه بالإسلام، وموقف أم سليم بنت ملحان التي تركت زوجها الأول وجعلت مهرها من أبي طلحة، زوجها الثاني، اعتناقه للإسلام.[3]

وسعدى بنت كريز بن ربيعة بن أمية من شواعر الجاهلية اللاتي أسلمن أوّل ظهور الإسلام، وفي شعرها الآتي تحثّ ابن أختها عثمان بن عفان على اعتناق الإسلام:

(الرجز)

لك الجمالُ ولك اللسانُ هذا نبيٌّ معهُ البرهانُ

[1] خليف، مي، الشعر النسائي في أدبنا القديم، ص66.

[2] انظر ابن سعد، الطبقات، جزء8، ص155، اقتبسه أبو فارس، حقوق المرأة المدنية والسياسية في الإسلام، ص142.

[3] انظر ابن حجر، الإصابة، ، جزء7، ص250.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أرسلهُ مُحِبُّهُ الدَّيـــــانُ فاتْبَعْهُ لا تعبأ لكَ الأوثانُ[1]

وبالرغم من مضمونه السامي، لكنه شعر واضح الركاكة، فهو يشبه المدائح النبوية المتأخرة، وربما شكك الدارسون في نسبته إلى شاعرة جاهلية، لكن ليس كل جاهليّ هو شاعر مجيد بالضرورة، وبالاستقراء نجد كثيرًا من الهواة بين الشعراء، ممن كان يصدر منه البيت والبيتان بين الفينة والأخرى دون إجادة ولا موهبة.

ومما يدلّ على ضعف قدرة سعدى الإبداعية عنايتها الفائقة بالسجع في النثر المنسوب إليها، الذي يشبه سجع الكهان الذي نهى الرسول ﷺ عنه، نحو قولها:

"محمد بن عبدالله، رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو الى الله، مصباحه مصباح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، دانت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدح الرماح".[2]

وربما كان لهذا الكلام الذي أسمعته سعدى لعثمان رضي الله عنه أثرٌ في إسلامه كما تذكر المصادر.[3] وها هي تمدح عثمان، وتذكر إسلامه بنصيحة منها، ثم بلاءه الحسن في الدين وطاعته للرسول وزواجه من ابنتيه صلى الله عليه وسلم، تقول[4]:

(الطويل)

هدى الله عثمانًا[5] بقولي إلى الهدى وأرشدهُ واللهُ يهدي إلى الحقِّ

---

[1] النويري، شهاب الدين(ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، جزء 3، ص125.

[2] انظر النويري، نهاية الأرب جزء 3، ص125.

[3] انظر النويري، جزء 3، ص125.

[4] العصامي المكي، عبد الملك بن قريب(ت1111هـ)، سمط النجوم العوالي، المطبعة السلفية، 1960، جزء2، ص398-399.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فتابع بالــرأي الــسديدِ محــمّدًا وكان برأيٍ لا يحيدُ عن الصِّــدق

وأنكحهُ المبعوثُ بالــحق بِنتَــهُ فكان كبدرٍ مازجَ الشَّمس في الأفق

فِدى لك يابْنَ الهاشميّين مُهجتي فأنتَ أميــنُ اللهِ أُرسلــتَ للخــَلق

وواضح أنّ سعدى قالت هذه الأبيات بعد الهجرة، وليس أول إسلام عثمان رضي الله عنه، كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ذلك إن زواج عثمان من ابنتيّ الرسول ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما، إنّما كان بعد الهجرة. وعلى أيّة حال فالشعر يؤكّد فكرتنا الآنفة أن سعدى لم تكن شاعرة مجيدة، إذ ليس في أبياتها أي تميّز شعري، بالرغم من مضمونها الإسلامي السامي، لكن تحتفظ الأبيات بقيمتها التاريخية شاهدةً على تلك الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام، ونموذجًا واضحًا قويًا لإسهام المرأة الأدبي في نصرة الدين الجديد.

وهذه صفية بنت عبد المطلب، في رثائها لأخيها حمزة رضي الله عنهما، تقدّم بعض الإشارات السياسية، حين تأتي على ذكر مكانته الدينية والسياسية، إذ تقول:[1]

(الطويل)

فقالَ الخبيرُ إنَّ حمزةَ قد ثــوى وزيــرُ رســولِ اللهِ خيرُ وزيــــرِ

دعاهُ إلهُ الحقِّ ذو العرشِ دعوةً إلى جنَّــةٍ يحيــا بــها وسُــــرورِ

فذلك ما كنّا نرجّــي ونرتــجي لحمزةَ يوم الحشرِ خــيرُ مصــــيرِ

فواللهِ لا أنساكَ مــا هبَّت الصَّبا بكاءً وحــزنًا محضري ومســيري

على أسدِ اللهِ الذي كــان مدرها يذود عــن الإســلام كل كــــفورِ

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، جزء4، ص120.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيا ليتَ شلوي[1]عندَ ذاك وأعظمي لـــدى أضـــبع تعـــتادني ونســـــورِ

أقولُ وقد أعلى النعي عشيرتي جزى اللهُ خيرًا من أخٍ ونـــصيرِ

فتستهل صفيّة أبياتها بذكر مكانة حمزة، وأنه وزير رسول الله ﷺ، إذ كان يستشيره ويعتمد عليه في كثير من أموره، وهو الذي ذاد عن دولة الإسلام في بداية تشكلها. ثم تذكر استشهاده وانتقاله إلى جنّة النعيم والسرور، وتقول إنّا كنّا نرجو له هذه الخاتمة الحسنة، لما كان عليه من الجهاد والإخلاص للإسلام ورسوله. ثمّ تبث أحزانها عليه، وتُقسم على بقاء ذكراه حية في نفسها طول حياتها، وفي كل أحوالها، حتى أنها تتمنى لو أنها قُطّعت أشلاء كما قُطّع أخوها، وأُلقيت قربه غذاءً للضباع والنسور، وهذا لشدّة حزنها وألمها على فراقه وعلى ما حلّ به من فظيع القتل والمُثلة بجسده الشريف في القصة المعروفة، وهي أخت طاهرة محبّة لأخيها المؤمن المجاهد العظيم. ثمّ إنّها في مختتم القصيدة التفتت إلى قيام قومها بواجب النعي والعزاء على سيد الشهداء حمزة، ودعت بالخير لكل مواسٍ ومعزٍّ ونصير.

أما من الناحية الفنية، فالقصيدة امتازت بإيقاع حسن مؤثّر، عززته قافية الراء المكسورة، وعززته متانة السبك وتناغم الألفاظ. وما عدا تشبيه حمزة بأسد الله، وهو لقب أطلقه عليه الرسول ﷺ، فالقصيدة تخلو من التصوير، لكن قدّمت صورة مؤثّرة صاغتها في شكل أمنية تمنتها أن تكون أشلاء مقطّعة قرب قبر أخيها تأكل منها الضباع والنسور.

وتعد السيدة فاطمة الزهراء–رضي الله عنها– من أهم الشخصيات النسائية التي وظفت توظيفا سياسيا، فقد تمتعت –رضي الله عنها– بمكانة دينية، فهي ابنة الرسول ﷺ، وزوجة علي

[1] الشلو: شِلْوٌ لأنه القطعة من اللحم أو طائِفةٌ من الجَسَد (لسان العرب. مادة شلا).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رضي الله عنه، وقد نُسبت إليها مواقف سياسية عدة في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما، وقد ارتبطت بهذه المواقف روايات تاريخية ونصوص أدبية.

ويرى بعض الدارسين والمؤرخين، لا سيّما من أهل السنة، أن المواد الأدبية المنسوبة إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها مثار شك، ويرون أنها ألصقت بها لأغراض سياسية ومذهبية، إذ نسبت بعض المصادر والمراجع إليها أنها عارضت سلطة الخلافة المتمثلة بأبي بكر رضي الله عنه[1]

وتنسب تلك المصادر إلى فاطمة –رضي الله عنها– خطبتين سياسيتين، فينقل إلينا صاحب الإمامة والسياسة خبر خطبة فدك التي تتضمّن اعتراضها على سحب أرض فدك من سهم خيبر منها بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وينقل إلينا كذلك خبر خطبتها للأنصار بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه دون أن يورد نص الخطبتين[2]، وتذكر بعض المصادر خطبة لها في تلك المناسبة في ما يعرف بميراثها. وترد الخطبتان المنسوبتان إلى فاطمة رضي الله عنها بنصهما في بلاغات النساء لابن طيفور ونثر الدر للآبي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

فممّا جاء في نثر الدر، قولها: [3]

"لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"[4]. "فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلّغ الرسالة صادعاً

---

[1] انظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 16، انظر سعيد هاشم دور المرأة الرسالية في دولة النبوة، مؤسسة الفجر، لندن، 1996، ص120.

[2] انظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ص16، ص17.

[3] الآبي، أبو سعد منصور،(ت421هـ)، نثر الدر، تحقيق خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، جزء 4، ص5–7، انظر ابن طيفور بلاغات النساء، ص16–17.

[4] سورة التوبة، الآية رقم 128.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالنذارة، بالغاً بالرسالة، مائلاً عن سنن المشركين، ضارباً لشبحهم، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذاً بأكظام[1] المشركين، يهشم الأصنام، ويفلق الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدُّبر، حتى تفرَّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه[2]، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق[3] الشيطان، وتمت كلمة الإخلاص... حتى إذا اختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه ظهرت حسكة[4] النفاق، وسَمُل[5] جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين...، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغِرّة [6]ملاحظين؛ ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم[7] فألفاكم غضاباً؛ فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل. أبماذا زعمتم: خوف الفتنة؟ " ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ بالكافرين "[8]

وينسب الآبي وابن طيفور وابن أبي الحديد إلى السيدة فاطمة، شعرًا رثت به الرسول صلى الله عليه وسلم في نهاية الخطبة ومنه:[9]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] أكظام: جمع كَظَم بالتحريك وهو مخرج النفَس من الحلق. (لسان العرب، مادة كَظَمَ).

[2] المحض: الخالص.(لسان العرب، مادة محض).

[3] شقاشق: الشِّقْشِقةُ لَهاةُ البعير، والجمع الشَّقاشِقُ ومنه سُمّي الخطباء شَقاشِقَ شَبَّهوا المِكْثار بالبعير الكثير الهَدْرِ.جعلت للشيطان شقاشِق ونسبت الكلام إليه لِما يدخل فيه من الكذب.وهي تقصد الذين يهذرون بالباطل.

[4] حسكة: شوكة صلبة، وتأتي بمعنى العداوة والحقد.(لسان العرب، مادة حسك).

[5] سَمُل: خَلُقَ.(لسان العرب، مادة سمل).

[6] الغِرّة: الغفلة.(لسان العرب، مادة غرر).

[7] أحمش: أَحْمَشَه فاستَحْمَش أَغْضَبَه فغضب.

[8] الآية رقم 49، سورة التوبة.

[9] الآبي، أبو سعد منصور،(ت421هـ)، نثر الدر، تحقيق خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، جزء 4، ص5-7، انظر ابن طيفور بلاغات النساء، ص16-17.

(البسيط)

قد كان بعدَك أنــباءٌ وهــنبثة لو كنتَ شاهدَها لم تكثرِ الخُطَبُ[1]

إنّا فقدناكَ فقدَ الأرضِ وابلَها واختلَّ أهلُك فاحضُرْهم ولا تَغِبُ

في حين نسبها ابن سعد في الطبقات إلى هند بنت أثاثة، ونسبها ابن حجر في الطبقات إلى صفية بنت عبد المطلب، ، ولكن بعض المصادر تستغل نسبة هذين البيتين إلى السيدة فاطمة حتى تلصق بها –رضي الله عنها– اعتراضا سياسيّا على سلطة الخلافة، لاسيّما أن هذه المصادر، إما أن تذكر خبر خطبتها بخصوص ميراث فدك، وخبر خطبتها للأنصار، خبرا متتاليا، أو خطبتين متتاليتين زمنيا في المقام نفسه. والحقّ أن الأبيات السابقة لا تحمل ما يدفع بعضهم إلى استغلالها في الإشارة إلى اعتراضها –رضي الله عنها– على سلطة ما، وربما تكون السيدة فاطمة قد قالتها حقًّا مشيرة بها إلى أحداث السقيفة التي أعقبت وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما اكتنفته من خلافات بين المهاجرين والأنصار حول قضية الخلافة.

وأما خطبتها للأنصار، فجاء فيها: [2]

"يا معشر البقية، وأعضاد الملة، وحضَنة الاسلام، ما هذه الفترة عن نصرتي ، والونية عن معونتي ، والغمزة في حقي ، والسِّنة عن ظلامتي؟ ! أمَا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : "المرء يُحفظ في ولده" ؟! سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ما أتيتم .ألَئِن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أمتم دينه؟ ! ها إنَّ موته لعمري خطب جليل، استوسع وهنهُ، واستبهم فتقهُ، وفقد راتقهُ، وأظلمت الأرض له، وخشعت الجبال...أأُهتضم تراث أبي، وأنتم بمرأى ومسمع،

---

[1] الهنثبة: الأمر الشديد.

[2] الآبي، نثر الدر، جزء 4، ص 7. وابن طيفور، بلاغات النساء، ص21، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جزء16، ص211.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار... ؟!".

وفي خضمّ الخلافات العقائدية، ذات المنشأ السياسي بين السنة والشيعة، فقد أدرج أهل السنّة هاتين الخطبتين تحت المرويات المشكوك فيها، مضمونًا ونسبة. ونحن في هذا التناول العلمي لسنا في معرض الخوض في تفاصيل هذا الخلاف التاريخي الممتد، ولا يتسع المقام لعرض حجج الطرفين، لكن يكفي أن نشير إشارات سريعة إلى بعض الأدلة التي استند إليها الطرف المشكِّك بنسبة الخطبتين للزهراء. وقبل ذلك نلقي شيئًا من الضوء على الحدث الذي قيلت في أجوائه الخطبتان، بغض النظر عن مدى صحة هذه المرويات، فقد زعم الشيعة ومَن يتبنّى آراءهم أنّ أبا بكر رضي الله عنه قد ردّ ميراث فاطمة الزهراء في خيبر إلى بيت المال، وذلك لتوفير أسباب النجاح للنظام السياسي الجديد، وللحيلولة دون أن يستثمره عليّ رضي الله عنه ويستفيد من أمواله في إعداد ثورة مسلحة ضد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه.[1]

ويذكر صاحب الإمامة والسياسة أنّ السيدة فاطمة وعلي أبطأ في مبايعة أبي بكر رضي الله عنهم، وأنها رضي الله عنها طلبت النصرة من الأنصار في أمر علي وميراث فدك، ولكنه لم يورد الخطبة التي نسبتها بعض المصادر إلى السيدة فاطمة.[2] فخطبتها إلى الأنصار هي النص الوحيد الذي يثبت طلبها النصرة منهم .

وقد شكك ابن العربي في العواصم من القواصم في الخبر المتصل بالخطبة، لأن فحواها لا يتفق مع سيرة السيدة فاطمة رضي الله عنها التي ثبتت عبر المصادر التاريخية. فهي لا يمكن أن تولي اهتماما لمال الدنيا وهي بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام، الزاهدة في كل شيء،

---

[1] انظر هاشم، سعيد، دور المرأة الرسالية في رسالة النبوة، مؤسسة الفجر، لندن، 1996، ص120.

[2] انظر ابن قتيبة (منسوبا إليه)، الإمامة والسياسة، ص16،17.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكيف لها أن تعترض على أرض فدك، وقد صدر قرار ضم فدك الى بيت المال عن الصدّيق صاحب رسول الله وأول المؤمنين به، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وولي أمر المسلمين الواجبة طاعته.[1]

ويفند ابن العربي كذلك الروايات التي تنسب إلى السيدة فاطمة وتتضمن خبر امتناعها عن بيعة أبي بكر، فقد روى الطبري خبر مبايعة علي لأبي بكر دون توان، وجاء في أسانيده عن حبيب بن أبي ثابت " أن عليًّا كان في بيته، فأتى إليه الخبر عن جلوس أبي بكر للبيعة، فخرج يبايعه فورا".[2]

وفي عصرنا كان العقاد من أبرز المشكّكين بنسبة الخطبتين إلى الزهراء، فهي، كما يذكر، أجلّ من أن تطلب ما ليس لها بحق، فتخطب هكذا خطبة، وأنّ أبا بكر رضي الله عنه أجلّ من أن يسلبها حقها الذي تقوم البينة عليه، ومن الاستخفاف بالعقول أنه منعها فدك مخافة أن ينفق عليّ من إيرادها على الدعوة إليه، فقد ولي الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يسمع أنَّ أحدًا بايعهم لمال أخذه منهم، ولم يرد ذكر شيء من هذا في إشاعة ولا في خبر يقين، فضلًا عن أن حكم أبي بكر في مسألة فدك يثبت نزاهته التي لا تحتاج إلى إثبات، وقد ردّ عائدات فدك إلى بيت المال.[3]

ومن الأبيات التي نسبت إلى فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة الرسول ﷺ، وتتصل بما مرّ من أحداث ومرويات هي موضع شك من أكثر المسلمين: [4]

---

[1] ابن العربي، أبو بكر(ت453هـ)، العواصم من القواصم في مواقف الصحابة، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي، جزء1، ص56.

[2] ابن العربي، العواصم من القواصم، ، جزء 1، ص 56.

[3] العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون، نهضة مصر، القاهرة، 1993، ص40.

[4] انظر الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، جزء 12، 289. وانظر سعيد هاشم ص120.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الكامل)

قل للمُغيّبِ تحت أطباق الثرى ... إنْ كنتَ تسمعُ صرختي ونداءيـــا

صُبّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنـــها ... صُبَّتْ على الأيامِ صِرن لياليـــا

قد كنتُ ذاتَ حمىً بظلِّ محمدٍ ... لا أختشي ضيمًا وكان جمالـــيا

فاليوم أخشعُ للذليـــلِ وأتـــقي ... ضيمي، وأدفعُ ظالمي بردائـــيا

وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَـــجَناً لَها ... يوماً على غصنٍ بكيتُ صبَاحِيا[1]

ويقول سامي العاني عن تلك المرثية: " إنها تقطر أسى وحزنا، وتتفجر عاطفة ولوعة، فكل بيت فيها يقطر دمعا ودما، فالحزن يجري في قلبها وفؤادها، ويتمثل في حركاتها وسكناتها، بل في كل بيت من أبيات قصيدتها". [2]

ويقول العقاد عن هذه المرثية تحديدًا: "أمّا نسبة الشعر الى الزهراء فالخطب فيه أهون من ذلك فهو لا يسلكها في الشاعرات إن ثبت، ولا يضيرها إن لم يثبت، ونحن إلى جانب الشك الكبير فيه أقرب منّا إلى جانب القبول، وليس بعيدا على غير الشاعر أو الشاعرة أن يدير في فمه أبياتا يحكي بها حزنه وبثه، فإن النظم هنا أقرب إلى لغة العاطفة وعادة النحيب، وكان لفاطمة رضي الله عنها من الاعتبار بآيات القرآن في مقام الموت غنى عن نظم الأبيات أو التمثل بها في مقام العبرة والرثاء".[3] فضلا عن أنّ هذا الشعر فيه نزعة بكائية حسينية، فقد يكون من الأشعار التي نحلت لاحقًا.

ولعلّ كثيرًا من الدارسين يذهبون إلى أنّ هذه المرثية لم تصدر حقًا عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها، نحو ما رأينا من العقاد، لأنّ فحواها، باعتقادهم، لا يتفق وسيرة الزهراء الثابتة

---

[1] قمريّة: ضرب من الحمام.(لسان العرب. مادة قمر).

[2] النعمة، مقبول، المراثي في عصر صدر الإسلام، دار صادر، بيروت، 1996، ص40.

[3] العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون، ص35.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بالأحاديث الشريفة، والروايات التاريخية، فقد كانت أزهد الناس في الدنيا لاسيّما بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم إنَّ معاني وأفكار الأبيات لا تتفق مع التقوى والإيمان الذي تمتعت به فاطمة رضي الله عنها، فالله هو ملاذ المؤمن وحماه، فلا يمكن أن تنشد أو تتمثل الزهراء أبياتًا بمعنى مغاير لهذا المعنى، ولعلهم يرون أنّ الأبيات تحمل معنى الشكوى من القضاء، والشكوى من الضيم، ويرون أنه لا ضيم تعرضت له الزهراء بعد وفاة الرسول ﷺ حتى تشتكيه، فالصحابة جميعهم، وأولهم الخليفة أبو بكر، كانوا أكثر الناس حبا لرسول الله ولذريته لاسيّما السيدة فاطمة لمكانتها الأثيرة عند الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض هذه الأبيات قد ورد منسوبًا إلى فاطمة بنت الأحجم[1] الخزاعية في معظم المصادر التي أوردتها[2] وكانت قد رثت فيها زوجها:

قَد كُنتَ لي جَبَــلاً أَلوَذُ بِظِـــلِّهِ ... فَتَرَكتَني أَمــشي لِأَجرَدَ ضــاحي

قَد كُنتَ ذاتَ حَمِيَةٍ ما عِشتَ لــي ... أَمشــي البَرازَ وَكُنتَ أَنتَ جَناحي

فَاليَــومَ أَخضــَعُ لِلذَّليلِ وَأَتَـــقى ... مِنــهُ وَأَدفَــعُ ظــالِمي بِالــراحِ

وإذا دَعَــتْ قُمْرِيَّةٌ شَــجَناً لَـــها ... يوماً على فَنَنٍ دَعَوْتُ صبَاحِــي[3]

فالبيتان الثالث والرابع متطابقان مع ما نسب إلى السيدة فاطمة من شعر قيل إنها نظمته في رثاء الرسول ﷺ.

---

[1] فاطمة بنت الأحجم الخزاعية. شاعرة إسلامية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لها شعر في رثاء إخوة لها، كانت تتمتع بالصدق والشفافية والجرأة.(فهرس شعراء الموسوعة الشعرية، جزء1، ص1853).

[2] انظر أبو تمام، ديوان الحماسة، جزء1، ص445. وانظر ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، جزء4، ص241، البصري، الحماسة البصرية، جزء2، ص670 . الأبيات من (الكامل).

[3] انظر أبو تمام، ديوان الحماسة، جزء1، ص376.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبناء على هذه المعطيات جميعًا، يُرَجّح بعضهم أنّ الأدب السياسي المنسوب إلى السيدة فاطمة في هذا الشأن هو أدب موضوع، لا يمكن أن يكون قد صدر عنها، لأن مضمونه وفحواه لا يتفق مع ما أثر عن السيدة فاطمة من الصفات الدينية والإنسانية التي لا تنسجم مع المواقف التي نُسبت إليها. لكن نحن في هذا التناول العلمي ليس لنا إلا أن نتعامل مع هذا الأدب المتمثل بالخطبتين المذكورتين وأبيات الرثاء بوصفها نماذج لإسهام المرأة في قضية سياسية داخلية مهمة مسّت واقع المسلمين فور وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، منطلقين من حقيقة أنه أدب مكتوب وموجود في كثير من المصادر التاريخية، ولا يعني تناولنا له أنّا نتبنى مضمونه أو نسلّم بصحة نسبته إلى الزهراء رضي الله عنها، شأن بعض الشعر الجاهلي الذي تُثار حوله شكوك النحل، لكن مع ذلك يُدرس في سياقاته، ويمثّل به على ظواهر أدبية واجتماعية وفنية وغيرها.

على صعيد المضمون في خطبة السيدة الزهراء رضي الله عنها في ما يتعلّق بفدك، نجدها تذكّر المسلمين بنسبها من رسول ﷺ، فهي ابنته دون نسائهم، وزوجها عليّ هو أخوه دون رجالهم، وتشير بذلك إلى المؤاخاة حين اختار الرسول صلى الله عليه وسلم عليًّا أخًا له. ثمّ تبيّن جهاد أبيها الرسول ﷺ في سبيل الإسلام وتوطيد دعائمه، بالكلمة الطيبة ثم بالسيف، حين قاتل المشركين والمناوئين في مشاهد كثيرة، حتى انتصر عليهم وحطّم أصنامهم، ودانت الجزيرة كلها لدين الحق ودخل الناس فيه أفواجا. ثم تقول، بحسب ما نُسب إليها، إنه بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ظهر من بعض الناس النفاق، وحصل انحراف ما عن الجادة، وصار للشيطان فرصة أن يسعى بالإغواء والفتنة فلقي من يستجيب له سريعًا، بالرغم من قرب العهد بالرسول ﷺ وطاعتهم له، فتتعجّب من سرعة انحرافهم بعده ولمّا يزل وقع فقده شديدًا في النفوس.

أمّا خطبتها في استنهاض الأنصار، ففي المقتطف الذي اخترناه إذ لا يتسع المقام لإيرادها كاملة، نجد الزهراء تخاطب الأنصار بجملة من الصفات التي تدلّ على نصرتهم للدين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفضيلتهم، وتسائِلهم متعجّبةً عن التخلّف عن نصرتها في قضيتها وهم كثيرو العدد والعُدّة، وأنّ نصرتها إنّما هي من الوفاء لأبيها ﷺ، وتستنكر عليهم تغيّرهم بعده ﷺ، وتصوّر فداحة مصيبة وفاة الرسول ﷺ وعظمتها، وتستمر في عتابهم بشدة.

فنيًا، فالخطبتان على درجة كبيرة من البلاغة والمتانة، فهما جزلتا الألفاظ، قويتا السبك، متينتا البناء، تدلّان بجلاء على علوّ كعب قائلتهما في اللغة والفصاحة. وواضح تأثّر الزهراء بالقرآن الكريم في مواضع كثيرة، ففضلًا عن أنها استهلت خطبتها الأولى بآية من سورة التوبة، وهو اقتباس كامل، لكنّا نجدها في مواضع أخرى تطعّم خطبتها بعبارات من القرآن الكريم، تدعّم بها فكرتها، وتجمّل كلامها، مثلًا في قولها: " يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة"، و "حتى انهزم الجمع وولوا الدُّبر"، ثم تقتبس مرة أخرى من سورة التوبة الآية 49 "ألا في الفتنة سقطوا .." وغير ذلك من مواضع عدة في خطبتها التي اختصرناها بما يتسع له المقام.

ويظهر السجع في الخطبتين، لكن ليس على سبيل التقييد والالتزام، فيظهر تارة، ويختفي أخرى، نحو قولها " يهشم الأصنام، ويفلق الهام"، و" فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغِرّة ملاحظين"، و "ما هذه الفترة عن نصرتي ، والونية عن معونتي"، و" واستبهم فتقهُ، وفقد راتقهُ" ..إلخ. لكن الأظهر من السجع هو توازي جمل الخطبة، حيث تتوالى جمل عدة لها ذات الطول، فتستعيض عن السجع بالتوازي والتساوي في الطول والبناء، نحو قولها: " نطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشيطان، وتمت كلمة الإخلاص"، فالجمل الثلاث متساوية في طولها، ومتشابهة في بنائها؛ فكلها قامت على فعل ماضٍ لازم وفاعل هو مضاف، وبعده اسم مضاف إليه. ونجد ذلك في الخطبة الثانية، نحو قولها: " تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت" فالبناء في الجملتين واحد، من فعل مضارع، ومفعول به مقدم ضمير متصل، وفاعل مؤخّر. وفي قولها: " وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن" نلحظ كذلك التوازي والتساوي في الطول والبناء بجلاء. ولهذا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التوازي كبير أثر في جذب ذهن السامع لمتابعة الخطبة منساقًا مع إيقاعها الآسر، ومأخوذًا ببلاغتها، ومتفكّرًا في مضمونها.

وعلى صعيد البيان، فالسيدة الزهراء تعمد إلى مجموعة من العناصر البيانية تعزّز بها المعاني التي ترمي إليها، وتقدّم نموذجًا مهمًّا لتوظيف المرأة ما لديها من براعة لغوية ومهارة بلاغية وقدرة على التصوير في الدفاع عن قضية سياسية ما. فنجد الكناية في قولها: " آخذاً بأكظام المشركين" فالكَظَم هو مخرج النَّفس من الحلق، والعبارة كناية عن تمكّن الرسول ﷺ من المشركين وانتصاره عليهم. وفي قولها: " وخرست شقاشق الشيطان" كناية عن استقرار الأمر للإسلام وهزيمة الشيطان. وثمة كنايتان متتاليتان في قولها: " فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم" كناية عن انحراف الناس وميلهم عن الحق بحسب مضمون الخطبة.

وفي قول الزهراء رضي الله عنها: " ظهرت حسكة النفاق"، شبّهت النفاق بنبات يكون جميلًا أول عهده ثم يظهر له شوك حاد قاس، والدلالة انكشاف الأذى في ما استُؤمن من قبل. أمّا قولها: " سَمُل جلباب الدين" فصوّرت أنّ للدين جلبابًا قد سَمُل، أي صار خَلَقًا رثًّا، وربما قصدت لبوس الدين الذي تظاهر به بعض من انحرفوا عن الحق – بحسب الخطبة – بعد وفاة أبيها الرسول ﷺ .

وسوى ما نُسب إلى الزهراء من هاتين الخطبتين، فيُلحظ غياب دور المرأة المساند في حادثة السقيفة، فلم تذكر المصادر مساندة أي من النساء لحزب المهاجرين أو الأنصار. فلا نجد السيدة عائشة مثلا تظهر دعما لأبيها.

وكانت وفاة الرسول ﷺ حدثًا كبيرًا مدوّيا صدم المجتمع المسلم صدمة قوية ليس لها نظير قبل ذلك، لا سيّما أنّه لم يطل به المرض ﷺ، وسرعان ما التحق بالرفيق الأعلى، فكان وقع ذلك على المسلمين عظيمًا جدّا بالنظر إلى تعلّقهم الشديد بنبيّهم حبيب الله تعالى والعظيم بين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنبيائه ورسله وخاتمهم. وكان من الطبيعي أن يبادر شعراء الإسلام جميعًا إلى رثائه بقصائد مؤثرة صادقة، وكان للمرأة المسلمة الشاعرة إسهام في هذا الرثاء.

ولمّا كانت المراثي النبوية ذات ظل سياسي[1]. لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو مؤسس دولة الإسلام، ولأنه مات قبل اكتمال الدولة، في صورة شبه مفاجئة، فقد خاف الشعراء على الدولة الناشئة لما اعتراها من اهتزاز بعد وفاته ﷺ، وخافت الشواعر من النساء على هذه الدولة كذلك، وعبّرن عن ذلك الخوف في شعرهن، فهذه هند بنت أثاثة تعبر عن ذلك بقوة ووضوح، فتشير إلى أحداث السقيفة وما دار فيها من خطب ومناقشات عنيفة وجدال، وكيف اختل حال المسلمين وكادت تحدث فتنة، بل كانت هناك بالفعل " أنباء وهنبثة" ، ولو كان صلى الله عليه وسلم موجودا لما كان لها وجود من الأساس، ولما كثرت فيها الخطب وتضاربت الآراء[2]:

(البسيط)

قد كـــان بعـــدك أنبـــاءٌ وهنـــبثةٌ لوكنتَ شاهدَها لم تكثر الخُـــطبُ

إنا فقدناكَ فقـــدَ الأرضِ وابلَـــها واختلَ قومُكَ فاشهدهمْ ولا تـــغِبُ[3]

ففي هذين البيتين تُجلّي هند حقيقة ما حدث من اختلال بعد وفاة الرسول ﷺ، بحسب قناعاتها هي، وكيف أنّ فقده ﷺ ألقى بظلاله على مجتمع الإسلام، وأتاح لبعض الفتن أن تظهر، وللنفوس أن تتغيّر، وأنّه لو ظل ﷺ بين ظهراني المسلمين لما كان حدث بينهم ما حدث.

وهند تصوّر فقد الرسول ﷺ بصورة مألوفة، هي صورة فقد الأرض للشتاء، وما ينتج عن ذلك من جفاف وجدب وتوقّف للخصب والعطاء. وقولها "لم تكثر الخطب" كناية عن سرعة

---

[1] الشايب، أحمد، تاريخ الشعر السياسي، ص130.

[2] انظر مراثي النبي صلى الله عليه وسلم ، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000، ص 79–81.

[3] ابن سعد، الطبقات الكبرى، جزء2، ص332. وفي البيت إقواء واضح، فالفعل مجزوم وينبغي أن يحرّك بالكسر لأنه رويّ، لكن لمناسبة البيت السابق فقد حُرّك بالضم، ولو أنها قالت: ما كثرة الخطبِ، لاستقام لها البيتان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحل والإصلاح بوجوده ﷺ. وتنكيرها لمفردتي "أنباء وهنبثة" غرضه التهويل، فهي تستهول ما حدث، والرسول ﷺ لمّا يُدفن، وتتعجّب من سرعة تغيّر النفوس بعده. وإذا علمنا أنّ "النبأ" مفردة تقال للأمر الجلل، فسندرك دقة استخدام هند لها في هذا المقام.

وهذه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب تعبر عن ذلك الخوف ، وتلك الأزمة والهرج الذي تخشاه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

(الطويل)

لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِـــي النَّبِيَّ لِمَـــوْتِهِ ... وَلَكِنْ لِهَرْجٍ كَـــانَ بَعْـــدَكَ آتِيَـــا

كَأَنَّ عَلَى قَلْبِـــي لِذِكْرِ مُـــحَمَّدٍ ... وَمَا خِفْـــتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمَكَاوِيَا

أَفَاطِمُ صَلِّـــى اللَّهُ رَبُّ مُـــحَمَّدٍ ... عَلَى جَـــدَثٍ أَمْسَى بِيَثْـــرِبَ ثَاوِيَا

أَبَـــا حَســـنٍ فَارَقْتَـــهُ وَتَـــرَكْتَهُ ... فَبَكٍّ بِحُـــزْنٍ آخِرَ الدَّهْـــرِ شَاجِيَا[1]

فأروى تستعظم ما حصل بعد رحيل الرسول ﷺ، وتراه مصيبة تستحق بكاءها بأكثر من مصيبة فقد النبي الخاتم ﷺ، وتشبّه جزعها مما حصل وسيحصل بالمكاوي التي تكوي قلبها بالحزن والخوف على الأمة من الفتن والتفرق والصراعات المهلكة. ثمّ إنّها تتحوّل إلى خطاب السيدة الزهراء، من باب مواساتها، وتصلّي على قبر الرسول ﷺ على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الحاليّة، فهي ذكرت المحل وأرادت الحالّ.

وذكر أروى لحقيقة أن قبر الرسول ﷺ في يثرب ربما انطوى على تحسّر خفي، فهي قرشية هاشمية ولعلها كانت تتمنّى أن يكون قبر النبيّ ﷺ في مكة حيث عشيرته وقومه ومكان مولده. ولا تنسى أروى أن تذكر ابن عمها عليًّا كرم الله وجهه، وتخص مصيبته في فقد ابن

[1] انظر ابن سعد، الطبقات، جزء 2، ص327.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عمه وصهره الرسول ﷺ، لما كان له من المكانة الخاصة عنده، وتقول إنّ حزن عليّ لن ينقضي إلى آخر عمره.

وللسيدة عائشة خطبة تزكي فيها نفسها وسياسة والدها أبي بكر رضي الله عنهما، فقد أخمد الفتن التي تداعت على الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، لاسيّما الردة. ومما قالت: "إنَّ لي عليكم حرمة الأمومة، وحق الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحْري[1] ونَحري، وأنا إحدى نسائه في الجنّة، له ادَّخرني ربي، وحصّنني من كل بضع[2]، وبي ميَّز مؤمنكم من منافقكم[3]، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء[4]، وأبي ثاني اثنين الله ثالثهما، وأبي رابع أربعة من المسلمين، وأول من سُمّيَ صدِّيقاً، قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ، وقد طوقه وهْفَ[5] الإمامة، ثمَّ اضطرب حبلُ الدين، فأخذ أبي بطرفيه، ورتقَ[6] لكم أثناءه فوقذَ[7] النفاق، وأغاض[1] نبع الردة، وأطفأ ما

---

[1] والسَّحْرُ: الرئة وقيل: الكبد، والسَّحْرُ: سوادُ القلب ونواحيه، وقيل: هو القلب وهو السُّحْرَةُ أَيضاً، وفي حديث عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرِي ونَحْرِي أَي أنه مات رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو مستند إِلى صدرها وما يحاذي سَحْرَها.(لسان العرب، مادة سَحَر).

[2] بضع: سوء.

[3] تشير إلى حديث الإفك ونزول الوحي ببراءتها، فيه تميّز المؤمنون الذين وثقوا ببراءتها من المنافقين الذين اتهموها.(ابن عبد ربه، العقد، جزء4، ص315).

[4] الأَبْواء بالمدّ موضع وقد ذكر في الحديث الأَبْواء وهو بفتح الهمزة وسكون الباء والمدّ جَبَل بين مكة والمدينة.(لسان العرب، مادة أبى).

[5] وهَف الشيء يَهِفُ وهْفاً إذا طارَ، والواهف قيِّم البِيعة، ومنه قول عائشة في صفة أَبيها رضي اللّه عنهما: قلَّده رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم وَهْف الأَمانةِ، وفي رواية وَهْف الدِّين أَي قلَّده القِيامَ بشرَف الدِّين بعده، كأَنّما عنَتْ أَمرَ النبي صلى اللّه عليه وسلم إِيّاه أَن يُصليَ بالناس في مرَضه، وقيل: وَهْفُ الأَمانة ثِقْلُها. ووَهْفٌ وهَفْو وهو المَيْل من حقّ إِلى ضعْف، وكلا الأَمرين مدح لأَبي بكر أَحدهما القيام بالأَمر والآخر رَدُّ الضعف إِلى قوّة الحق. (لسان العرب، مادة وهف).

[6] رتَقَ: الرَّتْقُ ضدّ الفَتْق، والرَّتْقُ: إِلحام الفَتْق وإِصلاحُه، رَتَقَه يَرْتُقُه ويَرْتِقُه رَتْقاً فارْتَتَق أَي: التأَم. (لسان العرب، مادة رتق).

[7] وَقَذَ: الوقْذ: شدة الضرب، وَقَذه يَقِذُه وَقْذاً: ضربه حتى أَشرف على الموت.
في حديث عائشة رضي الله عنها فوقَذَ النِّفاقَ: أي دمغه وقضى عليه. (لسان العرب، مادة وقذ).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحشّ[2] يهود، وأنتم يومئذٍ جُحظ العيون، تنظرون العدوة[3]، وتستمعون الصيحة، فرأب الثَّأْي[4]، وأوزمَ العَطِلة[5]، وامتاح من المِهواة[6]، واجتحى[7] دفين الداء .. فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها؛ اشرأب النفاق بالمدينة، وارتدت العرب. فوالله ما اختلف المسلمون في لفظة إلا طار أبي بحظها وغناءها في الإسلام" [8]

فعائشة بعد أن تسرد بعض فضائلها ومناقبها، تأتي على سرد فضائل أبيها الصدّيق رضي الله عنهما، وتذكر مليًّا المهمة الصعبة التي اضطلع بها أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ، من مجابهة للمنافقين وكبح جماحهم، ومناهضة اليهود ومؤامراتهم، ومقارعة أهل الردة والنكوص عن الدين وقطع شأفتهم.

على الصعيد الفني، فالخطبة ثرية بالجزالة والبلاغة والتصوير، ففيها كثير من المفردات القوية التي تدلّ على علو كعب صاحبتها في اللغة ودقائقها ومفرداتها المكنونة، نحو (وهْفَ

---

[1] غاضَ الماءُ: يَغِيضُ غَيْضاً ومَغِيضاً ومَغاضاً نقَص أَو غارَ: وفي حديث عائشة تَصِف أَباها رضي اللّه عنهما وغاضَ نَبْعَ الرِّدَّةِ أَي أَذْهَب ما نَبَع منها وظَهر.(لسان العرب، مادة غاض).

[2] تحشّ اليهود: أَطْفَأَ ما حَشَّتْ يهود أَي ما أَوقَدَت من نيران الفتنة والحرب.(لسان العرب، مادة حشش).

[3] العدوة: جانبُ الوادي، وقيل العُدوة: المكان المرتفع.(لسان العرب، مادة عدا).

[4] رأب الثأي: رَأَبَ إِذا أَصْلَحَ ورَأَبَ الصَّدْعَ والإِناءَ يَرْأَبُه رَأْباً ورَأْبةً شَعَبَه وأَصْلَحَه. الثَّأْي: الفسادُ أَي: يُصلِحُه.(لسان العرب مادة رَأَبَ).

[5] أَوْذَمَ العَطِلة: الوزم: السيور التي تربط الدلو. العطلة: التي تُرِك العَمَل بها حيناً، وعُطِّلَتْ وتقَطَّعتْ أَوذامُها وعُراها، تريد أَنه أَعاد سُيورَها، وعَمِلَ عُراها، وأَعادها صالحةً للعَمَل، وهو مَثَلٌ لِفعْله في الإِسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أَي أَنه ردَّ الأُمور إِلى نِظامها وقَوَّى أَمْرَ الإِسلام بعد ارتداد الناس.(لسان العرب، مادة عطل).

[6] المَيْحُ في الاستقاء:.أَن ينزل الرجلُ إِلى قرار البئر إِذا قل ماؤها فيملأَ الدلو بيده يَميحُ فيها بيده ويَميحُ أَصحابه. ويقال: امْتاحَ فلانٌ فلاناً إِذا أَتاه يطلب فضله فهو مُمْتاحٌ، وفي حديث عائشة تصف أَباها رضي الله عنهما فقالت وامْتاحَ من المَهْواة، والمهواة: البئر العميقة، أَي استقى من المَيْح العطاء.(لسان العرب، مادة ميح).

[7] اجتحى: استأصله.(المعجم الوسيط، مادة جحا).

[8] ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء4، ص315.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإمامة، وقذ النفاق، رأب الثأي، أوزم العطلة، امتاح من المهواة، واجتحى دفين الداء ..) وهي مفردات استدعتها المعاني التي رامتها السيدة عائشة، ولا يخفى ما لجزالة الألفاظ من التأثير والجاذبية في نفوس قوم كالعرب.

ونجد جملةً من الصور التي أسهمت في تقديم المعاني المنشودة بجلاء وجمال، نحو " اضطرب حبل الدين، فأخذ أبي بطرفيه"، و "أغاض نبع الردة"، و"أوزم العطِلة" وغير ذلك من صور بليغة جميلة حملت المعاني أحسن حمل، فاجتمع لها جمال التصوير وجزالة اللغة وتوازي الجمل فكانت غاية في الروعة والإدهاش.

ثمّ إنّ السيدة عائشة تشيد في الخطبة نفسها بالخليفة عمر بن الخطاب الذي تخيّره أبوها الصدّيق ليضطلع بالأمر من بعده، فيسير بسيرته في مجابهة النفاق ومقارعة الأعداء وحماية الدين والأمة من الفتن والموبقات. فذكرت ذلك كله في قوالب بلاغية مدهشة، غنية بالجزالة والبيان، نحو ما أوضحنا في الجزء الذي أشادت فيه بأبيها رضي الله عنه. تقول في الخليفة الثاني:

ثم انتظمت طاعتكم بحبلهِ فولى أمركم رجلاً شديداً في ذات الله عز وجل، مذعناً، إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللاَّبَتَيْن[1] عُرَكَةٌ للأذاة بجنبه[2]، فقبضه الله، وأطأ على هامة النفاق، مذكياً

[1] اللّابَتَيْن: مثنى لُوبة واللُّوبةُ: الأرض ذات الحجارة السود الغليظة، تكون اللُّوبة في أَنْفِ الجَبلِ أَو سِقْطٍ أَو عُرْض جَبَل. وأرادت عائشة بوصفها عمر رضي اللّه عنهما: بَعِيدُ ما بين اللاَّبَتَيْنِ أَنه واسعُ الصَّدْر، واسعُ العَطَنِ، فاسْتعارتْ له اللاَّبةَ كما يقال رَحْبُ الفِناءِ واسعُ الجَنابِ. (لسان العرب، مادة لَوَبَ).

[2] العرك: الدلك. ويقال: عرك بجنبه ما كان من صاحبه، وهي تصفه بالاحتمال.(ابن عبد ربه، العقد،ة جزء4، ص316).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نار الحرب للمشركين يقظان الليل، في نصرة الإسلام، صفوحاً عن الجاهلين، خِشاشَ المرآة والمَخْبَرَة[1]، فسلك مسلك السابقين، ففرّق شمل الفِتنة، وجَمَّع أعضاد ما جمع القرآن.."[2].

فالسيدة عائشة تسخّر بلاغتها ومهارتها اللغوية، أي أدبها النثري، في الدفاع عن قضية سياسية تتعلق بالإمامة وقيادة الأمة، وتؤكد صواب اختيار أبيها الصدّيق للخلافة، بتبيان فضائله ومناقبه الدينية والشخصية، وكذلك تصنع مع خليفته عمر رضي الله عنهما.

وهذه حفصة بنت عمر تلقي خطبة بعد مقتل أبيها رضي الله عنهما، تظهر مدى وعيها السياسي في نص أدبيٍّ جميل، يظهر بلاغتها العالية، وأسلوبها الجزل، ويدل على شخصية واعية ومدركة لما حولها من أحداث جسام، منبِّهةً الرعية عامتهم وخاصتهم إلى ضرورة نبذ الفتنة التي نبشها أعداء الله، مظهرًة خشيتها على أمة الإسلام ودولته، وتحدّد سمات الحاكم المسلم التي اتصف بها الخليفة عمر رضي الله عنه؛ فهو المقتدي برسول الله عليه الصلاة والسلام، والماضي على سنته، القائم بحق الخلافة، وهو العادل. تقول:

"فأخذها بحقها، وقام فيها بقسطها، لم يؤده ثقلها، ولم يبهظه حفظها". وتتحدث عن تثبيته لدعائم الدولة بهزيمة أعدائها، ونشره للإسلام في بقاع الدنيا في حركة الفتوح العظيمة:

"مشرداً للكفر عن موطنه ونافراً له عن وكره، ومثيراً له من مجثمه، حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد، ونصر الله يقدمه... فأقام فيها دعائم الإسلام، وقواعد السنة الجارية، ورواسي الآثار الماضية وأعلام أخبار النبوة الظاهرة، وظل خميصاً من بهجتها، قالياً

---

[1] خِشَاشُ المَرْآة والمَخْبَرة: الرجل الخفيف، ووصَفَتْ عائشة أَباها رضي اللَّه عنهما بذلك فأرادت أَنه لطيف الجسم، لطيف المدخل.(لسان العرب، مادة خشش).

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص15؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء 4، ص314–315.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأثاثها، لا يرغب في زبرجها ولا تطمح نفسه إلى جدتها حتى دعي فأجاب، ونودي فأطاع على تلك الحال؛ فاحتذى في الناس بأخيه فأخرجها من نسله، وصيرها شورى بين إخوته..."[1].

وتظهر هذه الخطبة وعي المرأة لمبادئ الحكم الأساسية في الدولة الإسلامية، فتتحدث عن الشورى وهو المبدأ الأساسي لاختيار رأس الدولة، وتشير إلى أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل أمر الخلافة شورى بين المسلمين، وتتحدث عن رفضه للوراثة في الحكم، إذ لو شاء لجعلها في عقبه، ولكنه جعلها شورى. فكأنها توصي الرعية أن لا يحيدوا عن هذا الطريق القويم حفاظًا على دولتهم، وصونا لأمنها وحفاظا على هيبتها وما حققته من امتداد عبر الفتوحات الإسلامية التي بلغت مبلغًا عظيما في عهده رضي الله عنه.

وكان عمر رضي الله عنه –كما تروي المصادر– قد جعل الخلافة شورى بين المسلمين واختار لهم ستة من الصحابة المبشرين بالجنة دون أن يزكي لهم أحدا، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم.[2]

من الناحية الفنية، نجد السيدة حفصة لا تقلّ بلاغة وبراعة لغوية وبيانية عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد حشدت في خطبتها كثيرًا من الألفاظ الجزلة القوية التي لها عظيم أثر في إضفاء مزيد من القيمة والوقار على النص، إلى جانب ما فيه من القيمة الموضوعية والمعاني السامية.

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص30–32؛ والآبي، نثر الدر، جزء4، ص21–22.

[2] انظر ابن كثير(ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث، القاهرة، جزء7، ص163.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واعتنت السيدة حفصة بالتصوير اعتناء لافتًا، وخدم تصويرها المعاني التي رامتها، ومن ذلك قولها: " مشرداً للكفر عن موطنه ونافراً له عن وكره، ومثيراً له من مجثمه" فكلّها صور استمدتها من طبيعة البيئة العربية، لتقرّب بها المعاني إلى الأذهان.

كذلك نجد التوازي في الجمل، والسجع المنقاد إلى منشئه، لا أنّ قائله منقاد إليه، وكل ذلك أضفى مزيد رونق وقيمة على هذا النص التاريخي المهم، الذي يقوم شاهدًا على إسهام المرأة المسلمة في المشهد السياسي بما يخدم قضيتها وقناعاتها ونضالها في الدفاع عن عقيدتها وأمتها.

ومن أبرز الأحداث التي دهمت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ حروب الردة، فقد شغلت المسلمين مدة من الزمن جهادًا ومواكبة أدبية من لدن الشعراء الرجال من الطرفين، رغم ذلك لا نكاد نجد دورا بارزا للمرأة فيها، إلا ما كان من سجاح التي ادعت النبوة. وربما يُعزى ذلك إلى أنّ حروب الردة كانت مفاجئة، لم يتسن للمرأة أن تواكبها كحدث له إرهاصاته وتداعياته.

وقد وُظفت سجاح في شعر تلك المرحلة، ونلحظ تأثيرها في ما أضلت به قومها بادعائها النبوة، وسجاح من بني يربوع من تميم، فهي بنت الحارث بن سويد بن عقفان بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقد ارتدّت وادعت النبوة في عهد أبي بكر الصديق، وتبعها زعماء تميم كالزّبرقان بن بدر وقيس بن عاصم المنقري، وشبث بن ربعي، وكان مؤذنها، وعمرو بن الأهتم، ومالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وهو الذي قال فيها[1]:

[1] ابن حجر، الإصابة، جزء 4، ص508؛ وانظر االنويري، نهاية الأرب، جزء 19،ص49.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(البسيط)

أضحت نبيتُنا أنثى نُطيف بهـــا وأضحت أنـــبياءُ الناسِ ذُكـــرانا

فلعنةُ اللهِ ربِّ الناسِ كلِّـــــهمِ على سجاحٍ ومـــن بالكفرِ أغوانا

ويوظّف الطرماح بن حكيم الطائي سجاح في شعره، فيتخذها أداة لهجاء بني تميم في نوع من الهجاء السياسي القبلي، ويفتخر في الوقت نفسه بقومه طيء إذ يقول:[1]

(الطويل)

إِذَا المِنْبَـــرُ الغَرْبِيُّ زُعْـــزِعَ مَتْنُهُ وَطَـــدْنَا لَـــهُ أَرْكَـــانَهُ فَاسْـــــتَقَـــرَّتِ

بِـــهِمْ بَيَّضَ اللَّهُ الخِـــلافَةَ كُلَّـــما رَأَوْا نَعْـــلَ صِنْديدٍ عَنِ الـــحَقِّ زَلَّـــتِ

بِهِمْ نَصـــرَ اللَّهُ النَّبِيَّ ، وأُثْبِتَـــتْ عُرَى الحقِّ في الإسلامِ حتّى استمرَّتِ

أفخراً تميـــمياً إذا فـــتنةٌ خـــبتْ ولـــؤماً إذا مـــا المـــشرفيَّـــةُ ســـلَّتِ

ولوْ خرجَ الدّجّالُ ينـــشدُ ذمّـــةً لـــزافَتْ تميمٌ حـــولَـــهُ ، واحـــزألَّتِ[2]

لعمري لقدْ سارَتْ سجاحِ بقومِها يَكُرُّ عَلَـــى صـــفَّيْ تَمـــيمٍ لَوَلَّـــتِ

فَدَارَسَها البَكْرِيُّ حَتَّى اسْتَزَلَّـــها فأضحَتْ عروســـاً فيهمُ قـــدْ تـــجلَّتِ

فَتِلْكَ نَبيُّ الحَنْظَلِيِّيـــنَ أصْبَحـــتْ مضمَّخةً فـــي خدْـــرِها قـــتدْ تـــظلَّتِ

---

[1] الطرماح بن حكيم أبو نفر بن قيس الطائي(ت125هـــ)، الديوان، ط2، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، 1994، ص17–19.

[2] زاف: دار.(لسان العرب. مادة زوف). احْزَأَلَّ يَحْزِئِلُّ احْزِئْلالاً يراد به ارتفاع في السير.(لسان العرب. مادة حزل).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهو يتحدث عن الفتنة التي أحدثتها سجاح التميمية بردتها وادعائها النبوة، هاجيا بها بني تميم، فقومه هم الذين وطدوا الخلافة، وهم الذين أخمدوا نار الفتنة، في حين صام القيسيون– ومنهم تميم– عن القتال، وهو يعيّرهم باتباعهم سجاح التي لا تصلح لولاية أمر الناس، إذ يشير في ذلك إلى استسلامها لمسيلمة، الذي كنّى عنه باسم البكري، وعودتها إلى طبيعتها الأنثوية، فتزوجته ونسيت مهمتها التي ادعتها. في حين أسهم هو وقومه طيء بتوطيد ملك الدولة بخلاف بني تميم الذين أضلتهم سجاح.

والقصيدة جزلة الألفاظ، متينة العبارة، قوية الإيقاع، ظهرت فيها الكناية مثل " كلما رَأوْا نَعْلَ صِنْديدٍ زَلَّتِ" كناية عن الانحراف عن الحق، و " إذا ما المشرفيَّةُ سلَّتِ" كناية عن الحرب، وكذلك قوله "إِذَا المِنْبَرُ الغَرْبيُّ زُعْزِعَ مَتْنُهُ " فهو كناية عن اضطراب الدولة والحكم. وظهرت في القصيدة صور، نحو " بِهِمْ بَيَّضَ اللَّهُ الخِلافَةَ" فشبّه الخلافة بامرأة بيّض الله وجهها بهم أي صانها وأعلى شأنها.

وأعطى الطرماح للسخرية والتهكم نصيبًا في هجائه، مثل قوله عن سجاح وقد أغواها مسيلمة وتزوّجها " فأضحَتْ عروساً فيهمُ قدْ تجلَّتِ " وقوله في الشأن نفسه:

فَتِلْكَ نَبيُّ الحَنْظَلِيِّينَ أصْبَحَتْ مضمَّخةً في خدْرِها قدْ تظلَّتِ

فنلحظ سخرية جليّة، وكأنه رسم أمامنا رسمًا كاريكاتورياً مضحكًا، وهذا إمعان في الهجاء، وفي توظيف المرأة مع كل شؤونها وعيوبها في هجاء قبيلة بأكملها.

وهكذا فقد بدا دور المرأة واضحا في مشاركتها السياسية الفاعلة التي عكسها لنا أدبها، لاسيّما شعرها، تلك المشاركة التي تتجاوز ماعُرف عن المرأة في هذا الشأن. فقد بدت محرضة ومقاتلة، وفاعلة في الحياة السياسية، فقد اتخذت موقفًا سياسيًا عبّر عن امتلاكها رؤية سياسية، آمنت بها وسعت إلى تحقيقها. إذ شجعت فريقها في المعارك وشاركته بكلمتها ويدها، ورثت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رموزه، وهجت رموز الطرف المقابل، دفاعا عن مبادئها وقيمها. فكانت المرأة المسلمة ذات انتماء ومشاركة سياسية، بأدبها وهجرتها وبيعتها وجهادها، تلك المشاركة التي أثرت على طبيعة الأدب الذي غلب عليه اللون السياسي لارتباطه بإقامة دولة الإسلام، وإقصاء النظام القبلي السابق له، وكانت المرأة المشركة كذلك؛ إذ أسهمت إسهامًا سياسيًا، فكان أدبها في هذا الميدان شاهدًا على تلك المشاركة الفاعلة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: موقف المرأة السياسي من الفتنة الكبرى بين النص الأدبي والرواية التاريخية

ظهرت المرأة ذات تجربة سياسية واعية في التاريخ الإسلامي عامة، وكان لها حضور لافت في ما عُرف بالفتنة الكبرى بين الهاشميين والأمويين، التي بلغت ذروتها بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فبرزت الأديبات في تلك الحقبة التاريخية، وحضرن بقوة في ظروفها وتداعياتها، وكان للسيدة عائشة رضي الله عنها دور بارز في هذه الحركة، وقد نسبت إليها كثير من المواقف المختلفة والمتناقضة أحيانا بحسب ما تروي المصادر. ويحاول هذا الفصل استجلاء دور المرأة في توجيه سياسة العصر، وذلك من خلال عنايته بالتحليل الدقيق لروايات العصر المتصلة بأدبها ذي الارتباط السياسي. فالرواية التاريخية تحتاج إلى تمحيص وتدقيق، للتأكد من مدى الانسجام بينها وبين النص الأدبي. وينبغي مقاربتها بحذر شديد، فضلا عن ضرورة الاحتكام إلى النص الأدبي، لاسيّما الشعري لتحديد المواقف الحقيقية للمرأة، وتعرية المواقف المشوهة والمزيفة التي أنبتتها الاختلافات السياسية المبكرة، ورعتها الاختلافات المذهبية لاحقا.

المرأة والأدب السياسي في الفتنة الكبرى

بلغ تأثير المرأة في الحياة السياسية للدولة الإسلامية مبلغًا عظيمًا في أحداث الفتنة الكبرى وظروفها السابقة واللاحقة كما مرّ، فكانت المرأة أديبة ذات مواقف سياسية واضحة، تنشد الشعر، وتلقي الخطب، وتكتب الرسائل، معبرة في ذلك كله عن معتقد سياسي ناضج، وعن وعي سياسي عميق، يتجاوز ما عُرف عن المرأة من مشاركة محدودة قاصرة عن الارتقاء إلى الاعتقاد أو النظرية السياسية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويسعى هذا المبحث من الفصل إلى تسليط الضوء على المرأة والأدب في تلك المرحلة الدقيقة في تاريخ دولة الإسلام. إذ سيتناول نماذج أدبية أبدعتها المرأة بفعل السياسة، فعرضت فيها مواقفها واتجاهاتها ورؤاها السياسية، وسيركز هذا القسم من الفصل تحديدًا على دور هؤلاء النسوة في أدب تلك المرحلة التاريخية والحركة السياسية المرافقة لها. أما النصوص الأدبية التي تناولها البحث في الدراسة فهي تلك العائدة إلى السيدة عائشة بنت أبي بكر، ونائلة بنت الفرافصة، وأم سلمة، وعائشة بنت عثمان، وزينب بنت العوام، وذلك لاستجلاء وظيفة المرأة السياسية آنذاك. وقد بدت أهمية النص الأدبي في تصويب الرواية التاريخية، وفي الكشف عن وعي المرأة السياسي وامتلاكها رؤية واضحة في فهم الأحداث الكبرى آنذاك.

ويرى بعضهم أنّ حضور النساء أثناء الفتنة كان مقصورًا على النساء القريبات من زعماء المعارضة، لكنه يدل دلالة قاطعة على أنّه كان للمرأة رأيٌ في مجريات الأحداث، فلم تكن النساء مغيبات عنها، بل شاركن الرجال جنباً إلى جنب.[1]

وكانت نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان من أبرز أولئك النساء في أعقاب ما رأته بأمّ عينها من مقتل زوجها رضي الله عنه، فخطبت في الناس خطبة سياسية ذات لغة عالية، تشهد لها بقدرة أدبية على مستويي البلاغة والفصاحة، فعباراتها راقية لكنها واضحة قادرة على الإبلاغ والتأثير. وهي تدل أيضا على إحاطتها الشاملة بكل الظروف السياسية المرتبطة بالدولة، فضلًا عن وعي سياسي عميق، وقدرة استشرافية لمستقبل الدولة السياسي. وكانت قد عبّرت عن مصابها بعبارات أدبية. فهي حرّى عبرى، مصابها عظيم جليل، فقد ثكلت بعثمان:

[1] خريسات، محمد، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الأردنية، عمان، 1998، ص37، 44.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"عثمان ذو النورين، قتل مظلوماً بينكم بعد الاعتذار وإن أعطاكم العتبى. معاشر المؤمنة وأهل الملة، لا تستنكروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي، فإني حرّى، عبرى، رزئت جليلاً، وتذوقت ثكلاً من عثمان بن عفان ثالث الأركان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم".[1]

ثم ها هي تذكرهم بصفات القائد الذي اختير شورى، فقلدوه الأمور إذ لم يكن لهم فيه نظير. وهو النقي التقي. ثم تستنكر امتعاضهم من سياسة عثمان، ذلك أنه سلك سبيل الهدى، وسار على نهج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وصاحبيه:"فكان الطبيب المرتضى المختار، حتى لم يتقدمه متقدم، ولم يشك في فضله متأثم، ألقوا إليه الأزمة، وخلوه والأمة حين عرفوا له حقه، وحمدوا مذاهبه وصدقه. فكان واحدهم غير مدافع، وخيرتهم غير منازع...فقلدوه الأمور إذ لم يكن فيهم له نظير، فسلك بهم سبيل الهدى، وبالنبي وصاحبيه اقتدى، مخسئاً للشيطان إلى مداحره[2]، مقصياً للعدوان إلى مزاحره[3]، تنقشع منه الطواغيت وتزّايل عنه المصاليت"[4].[5]

ثم تتعرض نائلة إلى سياسة عثمان الخارجية، فتتحدث عن توقفه عن حركة الفتوح، وتوجيه نشاطه إلى الداخل، فتشرح أسباب ذلك:"امتد له الدين، واتصل به السبيل المستقيم، ولحق الكفر بالأطراف، قليل الألاف والأحلاف، فتركه حين لا خير في الإسلام في افتتاح البلاد، ولا رأي لأهله في تجهيز البعوث، فأقام يمدكم بالرأي ويمنعكم بالأدنى".[6]

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 70.

[2] مداحره، مادة "دحر": دفع وطرد. ابن منظور، لسان العرب، جزء4، ص 278.

[3] مزاحره، مادة "زحر" : صوت وتوعد وزجر وأنين. ابن منظور، لسان، جزء 12، ص593.

[4] مصاليت، مادة "صلت": صلب، ماض. ابن منظور، لسان، جزء2، ص53.

[5] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص70.

[6] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص70.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتعرض لتسامحه مع معارضيه، إذ كان يعفو عن المسيء، ويكافئ المحسن، مأمون البطش، لين الطبع، ووثق بهم، وأمّن لهم، فجازوه بالإحسان إساءة، فقتلوه واستحلوا حرمه، حرمة الإسلام وحرمة الخلافة، وحرمة البلد الحرام، وحرمة الشهر الحرام.[1]

وها هي تنذر بالفتنة الكبرى، فهي بوعيها تعلم أن هذا الحدث سيكون بداية فتن عظيمة، فتنذرهم عاقبة مقتل الخليفة:"لتتعبدنّكم الشبهات، ولتفرقن بكم الطرقات، ولتذكرن بعدها عثمان ولا عثمان...يا هؤلاء إنكم في فتنةٍ عمياء صمّاء، طباق السماء ممتدة الحيران، شوهاء العيان، في لبسٍ من الأمر. قد توزع كل ذي حقٍ حقه، ويئس من كل خبرٍ أهله، فلهوات الشر فاغرة، وآيات السوء كاشرة، وعيون الباطل خزر، وأهله شزر. ولئن نكرتم أمر عثمان، وبشعتم الدعة لتنكرن غير ذلك من غيره، حين لا ينفعكم عقاب، ولا يسمع منكم استعتاب".[2]

في التناول الفني لهذه الخطبة، نجد حضورًا لافتًا لتوازي الجمل الذي أعطى رونقًا وإيقاعًا آسرًا للنص الخطابي. وارتبط السجع بالتوازي، وله حضور لافت في الخطبة كذلك، لكن ما يميّز سجع نائلة أنه سجع ثنائي، إن صحّ التعبير، فهي لا تتعدّى العبارتين في السجع الواحد، نحو قولها: " فلهوات الشر فاغرة، وآيات السوء كاشرة، وعيون الباطل خزر، وأهله شزر"، ونجد الأسلوب السجعي ذاته في كل الخطبة. وهذا النمط من السجع أعطى إيقاعًا سريعًا للكلام، وتأثيرًا في النفوس يشدّها إلى مضامين الخطبة.

والخطبة ثرية في جزالة ألفاظها، لكنها فقيرة في التصوير، فقد اعتمدت الكلام المباشر الذي ينأى إلى حد ما عن التشبيهات والمجازات والكنايات، ومن الصور القليلة التي ظهرت في

---

[1] انظر الخطبة، ابن طيفور، ص71.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص71.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخطبة وصفها الفتنة بالعمياء والصمّاء، وهي صورة مألوفة للفتنة، لأنها لا تفرّق بين المحقّ والمبطل، بل تصيب الجميع بالأذى والوبال.

إذًا، كان لنائلة شأن في الأحداث السياسية في عهد عثمان رضي الله عنه وبعده، وكانت خطيبة من ذوات الرأي والشجاعة، والعقل والأدب.[1] فقد ناصرت نائلة عثمان ودافعت عنه بقوة، حتى إنه لما قتل اتقت سيف ضاربه بيدها فقطع أناملها. وكتبت إلى معاوية – وهو في الشام– تصف له مقتل عثمان، وأرسلت إليه مع الكتاب قميصه مضرجا بالدم ممزقا. واجتمع لسماع كتابها خمسون ألف شيخ من شيوخ الشام يصيحون ويعجون بالبكاء تحت قميص عثمان، ويتقاسمون فيما بينهم ألا يمسوا غسلا حتى يقتلوا قاتل عثمان أو تفنى أرواحهم.[2]

فقد كانت نائلة بنت الفرافصة على درجة عالية من الوعي السياسي كما ظهر في خطبتها السابقة، وكما يظهر في أدبها الخاص بالفتنة وظروفها، فكانت تشير على عثمان رضي الله عنه في أمور الدولة قبل الفتنة، كإشارتها عليه، مثلًا، بعدم السماع لنصح مروان بن الحكم في الأحداث التي سبقت مقتل الخليفة.

وكان عثمان رضي الله عنه قد ألقى خطبة بعد عودة المصريّين الذين جاؤوا لمطالبة الخليفة ببعض ما كانوا يرونه حقوقًا لهم، إذ أشار عليه علي رضي الله عنهما بأن يخطب في الناس لطمأنتهم، حتى يتلافى مجيء الوفود من البصرة والكوفة. وقد رضي الناس عقب تلك الخطبة، فيما يذكر الطبري.[3]

---

[1] بوفلاقة، سعد، شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، بيروت، دار المناهل، 2007، ص81.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص300–301.

[3] انظر الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، جزء 2، ص659.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتذكر بعض المصادر أن مروان بن الحكم كان غائبا عن تلك الخطبة فأشار على الخليفة بأمور أخرى، وخرج خاطبًا في الناس متوعدًا مهددًا، مما غيّر مسار الأمور، وهو ما توقعته نائلة، إذ حاولت أن تمنع مروان من ذلك، فقالت لمروان في طلبه إذن الحديث من الخليفة:"بل اصمت فإنهم والله قاتلوه ومؤثموه، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها".[1]

وتذهب المصادر إلى أنّ خطبة مروان قد أغضبت الناس ومنهم علي، فأتى عثمانَ رضي الله عنهما معاتبًا.[2] فلما خرج علي دخلت عليه نائلة فطلبت إذن الكلام، فأذن عثمان لها، فقالت: "قد سمعت قول علي لك وإنه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكان مروان. فأرسل إلى علي فاستَصْلِحه فإن له قرابة منك وهو لا يَعصي".[3] فكان صوتها مسموعًا لعثمان، إذ قال لمروان بن الحكم: "هي والله أنصح لي منك"[4].

فنائلة بنت الفرافصة كانت قادرة على تشخيص الأمور، والتنبؤ بعواقب الأمور، ووظفت في ذلك لغتها الأدبية وحسّها الذكي، فضلًا عن ثقافتها وإحاطتها بكل ما يجري من أمور خاصة بسياسة الدولة.

ويعلق أبو شقرا على نائلة بأنها نموذج للمرأة العربية التي امتلكت القدرة على التكيف مع الحرب والسياسة، إذ برزت صاحبة دور رائد ورأي سديد وصوت مسموع وسط أجواء

---

[1] تاريخ الطبري ، جزء 2، ص659.

[2] انظر الطبري، المصدر السابق ، جزء 2، ص659، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، جزء7، ص193.

[3] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جزء2، ص659.

[4] انظر تاريخ الطبري، جزء 2، ص659.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سياسية معقدة وأحداث متدافعة. واستطاعت أن تقوم بدور سياسيٍّ مميز، رفع من شأن المرأة المسلمة وجعلها تحتل مركز الصدارة إلى جانب الرجل سواء في الفصاحة أم البلاغة أم في شؤون الحرب والسلم.[1]

والحق أنّ الرواية الخاصة بموقف نائلة السياسي من مروان بن الحكم تثير الريبة، فالقول بأنّ مروان بن الحكم مسؤول عن مقتل عثمان يحتاج إلى إعادة نظر، فقد عانى الأمويون من حملة تشويه واسعة لسيرهم ومواقفهم الدينية والسياسية، لاسيّما أن معظم المؤرخين نموا في بيئة سياسية ومذهبية تناهض الأمويين.

فالواقدي الذي نقل عنه ابن جرير الطبري خبر المشادة بين مروان بن الحكم ونائلة بنت الفرافصة من موالي الخلفاء العباسيّين، فقد كان قريبا جدًا من الخليفة الرشيد ووزيره البرمكي[2]. وغني عن الإشارة إلى تلك البيئة المذهبية والسياسية التي غذّاها خلفاء بني العباس ضد رجالات بني أمية. تلك الرواية تظهر مروان وزيرًا متآمرًا وعابثًا، وتحمّله مسؤوليّة تفاقم الفتنة، مما أغضب نائلة منه، فأشارت على الخليفة بعدم السماع لنصحه.

وتلك المشادة هي ذاتها التي ينقلها سائر المؤرخين عن الطبري، فقد أوردها ابن كثير في البداية والنهاية دون سند مكتفيا بقوله: قال: ابن جرير، مما يؤكد اعتماده على رواية ابن جرير الطبري.[3] ويورد ابن الأثير الخبر ذاته دون سند[4]. فضلا عن أنّ الواقدي محمد بن عمر الأسلمي، الذي نقل عنه الطبري ذلك الخبر مجروح كما تذكر المصادر ذات العلاقة. فقد قال فيه

---

[1] أبو شقرا ، كلود، نساء عربيات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1995، ص ٢٢٧.

[2] انظر الزركلي، الأعلام، جزء6، ص311.

[3] انظر ابن كثير، البداية والنهاية ، جزء7، ص193.

[4] ابن الأثير، عز الدين(ت630هـ)، لكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، جزء3، ص83.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أحمد بن حنبل :كاذب، وكان يقلب الأحاديث، وقال عنه يحيى: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه، وقال البخاري والرازي والنسائي: متروك الحديث، وذكر الرازي والنسائي أنه كان يضع الحديث، وقال الدراقطني: فيه ضعف بائن، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه.[1]

وأما علي بن عمر الذي في السند، والذي حدث عنه الواقدي، فهو غير محدد، فهناك علي بن عمر الهاشمي، وهناك علي بن عمر الدارقطني، وهناك علي بن عمر الحافظ، وهناك علي بن عمر السكري وغيرهم كثير،[2] وبالتالي لا نستطيع الحكم عليه، لأنه غير معروف، مما يضعِّف السند أيضا.

وأيًّا كان موقف نائلة بنت الفرافصة من مروان بن الحكم، فقد بدا حضورها الفاعل في الحياة السياسية، موظفةً في ذلك ملكتها الأدبية، فخطبت في الناس خطبة بالغة الأثر، فيها تقريع ولوم شديد لمن قصّر في حماية عثمان رضي الله عنه. وكانت ذات نصائح بليغة في مشوراتها على الخليفة، تدلّ على بعد نظر وحسن تقدير، ووعي سياسي بالغ، وقدرة لغوية أدبية عالية. وكتبت رسالة إلى معاوية بالغة الأهمية لخصت فيها ما حدث لعثمان مطالبة إياه بالثأر له، وكانت رسالة قوية التأثير.

وقد برز دور عائشة بنت أبي بكر–رضي الله عنهما– في الأحداث السياسية التي لحقت الفتنة، وتضاربت الروايات حول هذا الدور، سواء مقتل عثمان، أم بيعة علي. والحقيقة أن

---

[1] انظر ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي(ت510هـ)،الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، جزء 3، ص87.

[2] انظر المزي، أبو الحجاج(ت654هـ)، تهذيب الكمال، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، جزء1، ص 304، 334. جزء2، ص372. جزء4، ص11، جزء 31، ص563.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السيدة عائشة لم تكن مؤلبة على عثمان، ولم تتخلف عن بيعة علي، وإنما كان هدفها الاقتصاص من قتلة عثمان، والدليل على ذلك خطبها ورسائلها التي لا تحتمل غير هذا الوجه.

فقد كتبت قبل وقعة الجمل إلى أهل الكوفة تطلب مساعدتهم في الثأر لعثمان، وقالت في رسالتها: "فالزموا الرضا إلا من قتلة عثمان، حتى يأخذ الله حقه".[1] فلم يكن لديها اعتراض إلا على قتلة عثمان.وخطبت قبل الوقعة ذاتها قائلةً[2]: "لا تقتلوا إلا من قاتلكم ونادى من كان معها، من لم يكن من قتلة عثمان فليكفف عنا، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان".

ويرى بعضهم أن السيدة عائشة لم تخرج عن بيعة علي ﷺ ولا لمحاربته في البصرة، لكن رجاها الناس أن تخرج لمعاقبة قتلة عثمان بن عفان، وللإصلاح بين الناس فاجتهدت رأيها.[3]

وكانت السيدة عائشة قد خرجت إلى البصرة للأخذ بثأر عثمان رضي الله عنهما. فقد كانت تمثل وطلحة والزبير ثالوث الغضبة الإسلامية، ولم تكن تنتهي مهمتها ومن معها رضي الله عنهم عند البصرة، فلم يكن هدفهم الاستيلاء عليها، بل أرادت تطبيق كتاب الله عملًا بأحكامه وتعاليمه، فأرسلوا رسلًا إلى الشام والكوفة واليمامة والمدينة وغيرها، يحثونهم على الإسراع في تطبيق حدود الله على القتلة.[4]

وخطبها تؤكد هدفا محددا لها يتمثل بالقصاص من قتلة عثمان. وقد جاء في خطبة من خطبها في البصرة:"أيها الناس ، والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قتل مظلوما،

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج4، ص 476.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص447.

[3] الزنداني، عبد المجيد، المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام، مؤسسة الريان، بيروت، 2000، ص 140، الرأي لمصطفى السباعي.

[4] جعيط، هشام، الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة، بيروت، 2000، ص153.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غضبنا لكم من السوط والعصا، ولا نغضب لعثمان من القتل! إن من الرأي أن تنظروا الى قتلة عثمان، فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شورى، على ما جعله عمر بن الخطاب".[1]

ويبدو الوعي السياسي عند السيدة عائشة واضحًا، فالأمر لا يتعلق ببلاغة عالية وحسب، بل يتعلق بثقافة دينية سياسية. فالاقتصاص من القتلة هو المطلب الأساس، ولا مجال للمسامحة فيه، لأنه يتعلق بحرمة دم المسلم. ثم تطالب بالعودة إلى المبدأ الأساسي لاختيار الخليفة، وتقصد بذلك الشورى التي جعلها عمر بن الخطاب. ثم ترى رضي الله عنها أن إحقاق الحق هو أساس قيام الدولة، فكما غضبت للرعية من السوط والعصا، فمن الطبيعي أن تغضب اليوم لعثمان رضي الله عنه من القتل.

ويعلّق هشام جعيط على خطب السيدة عائشة في البصرة بأنها حملت تنديدًا واسع النطاق بمقتل عثمان، وبكل مناخ الفوضى والإثم الذي يحيط به، وانتهاكات كل ما هو محرم ومقدس في الإسلام، وإلحاق الأذى والعنف بأهل المدينة. فلا بد من إصلاح الفساد الكبير والمتعدد الأشكال. فمفهوم الإصلاح القرآني يتضمن كل هذا، ويتضمن كذلك العمل لأجل الخير، والتوسط بين طائفتين، وإعادة البناء. فلم تنحبس عائشة في مطلب بسيط جدًا. ــالثأر لعثمان ــ إذ إنّها تنظر إلى ما فوق ذلك من مصالحة الأمة مع ذاتها ومع أوامر الله، من خلال القضاء على ذلك الشر الذي تسلل إليها، ومن خلال رأب الصدع وسد الثغرة في داخلها. بالمطالبة بدم عثمان، إذ لم ترد كلمة ثأر ذات الآثار السابقة للإسلام. وإنما المطلوب هو القصاص العادل وفق تشريع القرآن الكريم. [2]

---

[1] الإمامة والسياسة المنسوب إلى ابن قتيبة، جزء1، ص58، اقتبستها الحيالي، جمهرة النثر النسوي، ص 165.

[2] جعيط، هشام، الفتنة، ص 150.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرى الأفغاني–الذي نسب إلى السيدة عائشة بعض المواقف دون النظر في طبيعة الروايات الناقلة لتلك المواقف– "في خطب الدفاع السياسي والتعريض بالخصوم مما زخر به تاريخنا الحافل، ليس هناك أبلغ ولا أسد ولا أصدق لهجة وأشد حرارة وأوفى إخلاصًا، وأضبط إحكاما للرمية من أقوال عائشة". إلا أنه شكك في رؤيتها الإصلاحية، معتمدا على روايات مشبوهة[1].

فقد سعت السيدة عائشة حقا إلى إصلاح الأمة ورأب الصدع الذي أحدثه مقتل عثمان.[2] ويذهب عمرو الشاعر إلى أنها خرجت للحفاظ على هيبة الدولة الإسلامية، لأن الحدث كان برأيها ردة جديدة ينبغي القضاء عليها لإصلاح الأمة[3]، ويذهب أحمد الشوابكة إلى أنّ عائشة خرجت لوأد الفتنة، لما تشكله من مكانة بين الناس[4].

وللسيدة عائشة خطبة في البصرة تؤكد فيها هدفها الإصلاحي من خروجها: "إنّ لي عليكم حرمة الأمومة وحق الموعظة لا يتهمني إلا من عصى ربه..."[5].

وها هي تؤكد هدفها الإصلاحي من خروجها في آخر الخطبة: "فقد خرجت غضبى لانتهاك حرمات الله الأربع، وأني أقبلت لدم الإمام المظلوم المركوبة منه الفِقَر[6] الأربع حرمة

---

[1] الأفغاني، سعيد، عائشة والسياسة، دار الفكر، القاهرة، 1946، ص256.

[2] انظر طهماز، عبد الحميد، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، دار القلم، دمشق، 1979، ص130.

[3] العبقرية المفترى عليهامكتبة النافذة، الجيزة، 2010، ص193.

[4] الشوابكة، أحمد، الإثر الثمين في نصرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، دار الفاروق، عمان، 2012، ص115.

[5] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص9–10

[6] الفِقَر: خَرَزَات الظهر الواحدة فِقْرَة قال وضَربتْ فِقَرَ الظهر مثلاً لما ارْتُكِبَ منه لأَنها موضع الركوب وأَرادت أَنه رُكِبَ منه أَربعُ حُرَمٍ عِظَامٍ تجب له بها الحقوقُ فلم يَرْعَوْها وانتهكوها وهي حرمته بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وحرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام. لسان العرب، (مادة فقر).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإسلام، وحرمة الخلافة، وحرمة الصحبة، وحرمة الشهر الحرام، فمن ردنا عن ذلك بحق قبلناه، ومن خالفنا قتلناه، وربما ظهر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين" [1]. فليس لها من هدف إلا القصاص من قتلة عثمان، فهي لا تريد الفتنة ولا الخروج عن بيعة.

فقد أرادت عائشة رضي الله عنها وأد الفتنة بالإصلاح، ذلك الإصلاح المتمثِّل في التوسط بين فئتين متنازعتين، وذلك واضح في رسالة بعثتها إلى أم سلمة، وكانت قد نصحتها أم سلمة بعدم الخروج، فكتبت إليها عائشة[2]:" سلام عليك، فإني أحمدُ الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فما أقبلني لوَعْظك، وأعرفني لحق نَصيحتك، وما أنا بمُعتمرة[3] بعد تَعْريج[4]، ولنِعم المَطلع مَطلع فَرَقْتُ فيه بين فئتين مُتشاجرتين من المُسلمين، فإن أقعدْ فعن غير حَرج، وإن أمضِ فإلى ما لا غِنى بي عن الازدياد منه. والسلام ."

ويمثِّل هدفها الكامن في الخروج، والمطالبة بالقصاص، ومعاقبة قتلة عثمان مظهرًا أساسيًا من مظاهر الإصلاح السياسي، لأن ذلك يمثل الحفاظ على هيبة الدولة ونظامها السياسي المتمثلة برأس الدولة، واستئصال شأفة الفتنة، وما يعنيه ذلك من الحفاظ على أمن واستقرار الدولة، وتتضح هذه الرؤية السياسية عند عائشة في خطبتها:

"إنَّ الغوغاء من أهل الأمصار، ونزّاع القبائل، غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله، ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين، بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص9، والآبي، نثر الدر، ص15.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء4، ص317، ابن طيفور، بلاغات النساء، ص11.

[3] معتمرة: الزيارة والقصد.(لسان العرب، مادة عَمَرَ).

[4] التعريجُ على الشيءِ: الإقامة عليه.(لسان العرب، مادة عرج).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضاريّين مضرين، غير نافعين ولا متّقين، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون. فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا. وقرأت "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس"[1] ننهض في الإصلاح ممّن أمر الله عز وجلّ. وأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه، ونحثُّكم على تغييره".[2]

وقد التزمت عائشة –رضي الله عنها– مبدأ الإصلاح الذي خرجت من أجله في كل المواقف التي وقفتها في البصرة، فقد أورد الطبري أنها أمرت من كان معها أن يكفوا عن القتال، وأمرتهم كذلك بإخلاء سبيل الأسرى[3].

والحقّ أن السيدة عائشة خرجت للإصلاح الذي رأته بالقصاص من القتلة، حتى لا يسوّل أحد لنفسه الاجتراء على هيبة الخلافة وحرمتها، وذلك حفاظا على دولة الإسلام واستقرارها، ولم تخرج إلا مما رأته من ضرورة في خروجها.

ولم تكن السيدة عائشة وحدها التي رأت وجوب الخروج والاقتصاص من قتلة عثمان، فقد كان هذا رأي كثير من الصحابة أيضًا، ورأي معظم أمهات المؤمنين، ومنهن السيدة حفصة التي نوت الخروج إلى البصرة كذلك، متابعة لرأي عائشة، إلا أنّ أخاها عبدالله بن عمر ثناها عن ذلك، حتى إنّ معظم أمهات المؤمنين نوين الخروج مع عائشة عندما كانت نيّة الخروج إلى

---

[1] سورة النساء، الآية رقم 114.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جزء3، ص14.

[3] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جزء2، ص462، مقتبس في طهماز، السيدة عائشة، ص130.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المدينة، لمطالبة علي بمن بقي من قتلة عثمان في المدينة، ولكن غيّرت أمهات المؤمنين رأيهنّ بعد أن صارت وجهة السيدة عائشة إلى البصرة.[1] وهذا يعني أن السيدة عائشة لم تكن على خلاف شخصي مع علي كما تدعي بعض المصادر، فهل كانت السيدة حفصة مثلًا على خلاف شخصي مع عليّ، وهي الرائية رأي عائشة؟ وقد أومأت بعض المصادر إلى هكذا خلاف، فقد روى ابن صاحب كتاب الإمامة والسياسة واليعقوبي والطبري في إحدى رواياته أن السيدة عائشة قررت عدم دخول المدينة عند معرفتها ببيعة الناس لعلي.[2] وقد تابعهم في ذلك بعض الدارسين أمثال سعيد الأفغاني في "عائشة والسياسة"، وسعد بوفلاقة في "شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي"، ومحمود شلبي في "حياة عائشة أم المؤمنين"، ومحمد عطية خميس في "السيدة عائشة أم المؤمنين حبيبة حبيب الله"، فالأول اعتمد تلك الرواية التي رواها الطبري، والتي تحمّل السيدة عائشة مسؤولية في مقتل عثمان، وتنسب إليها رفضها لخلافة عليّ مباشرة قبل الاختلاف على مسألة القصاص.

فالأفعاني على ما يظهر يلصق بالسيدة عائشة عداء شخصيا لعلي، وما يؤكد موقف الأفغاني ذاك، إشارته إلى أن مطلب القصاص من قتلة عثمان الذي طلبته عائشة وفريقها من علي هو مطلب تعجيزي أكثر مما فيه من القصد الصحيح.[3] ويعتمد سعد بوفلاقة الرواية ذاتها والتي تظهر امتعاض السيدة عائشة من بيعة علي، وتلصق بها في الوقت نفسه التأليب على قتل

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، جزء7، ص257.

[2] انظر الإمامة والسياسة، جزء1، ص48، وانظر تاريخ اليعقوبي، جزء2، ص180، وانظر تاريخ الطبري، جزء 4، ص458.

[3] انظر الأفغاني، عائشة والسياسة، ص88.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

عثمان.[1] وشلبي ينقل تلك الرواية دون التعليق عليها،[2] وكان محمد عطية خميس قد اعتمد هذه الرواية، مشيرًا إلى أن السيدة عائشة تعجبت من أمر البيعة قبل القصاص من القتلة.[3]

وقد أشار عبد الحميد طهماز إلى أن الطبري أورد روايتين في هذا الشأن، الأولى منهما تؤكد أن السيدة عائشة لم تقل شيئا حتى وصولها إلى المدينة بعد سماعها خبر مقتل عثمان، ومبايعة علي إلا معاتبتها لبعض الصحابة بقولها " هذا غِبُّ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح"[4]، وقد شكّك طهماز[5] في الرواية الثانية التي أوردها الطبري، إذ رواها بسندين في أولهما نصر بن مزاحم، وهو متهم بالوضع ولا يصح حديثه، وفي السند أيضا أسد بن عبدالله، وهو لا يتابع على حديثه.[6]

والحقيقة أن الخلاف بين عائشة وعلي رضي الله عنهما كان خلافًا سياسيًا حول مسألة القصاص من القتلة، ولم يكن رفضا لخلافة علي، والرواية التي ينسب فيها إلى السيدة عائشة الاعتراض على اختيار علي للخلافة رواية مشبوهة، لاسيّما أن نصر بن مزاحم، الذي روى عنه الطبري، ذو ميول شيعية، فقد قال فيه العقيلي "كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير".[7] وقال الذهبي "رافضي، متروك".[8] وهو غال في مذهبه.[1] مما يؤكد الشكوك في

---

1 انظر بوفلاقة، شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص208.

2 انظر شلبي، محمود، حياة عائشة أم المؤمنين، دار الجيل، بيروت، 1998، ص165.

3 انظر خميس، محمد عطية، عائشة أم المؤمنين حبيبة حبيب الله، ط2، دار الدعوة، حلب، 1976، ص195.

4 الطبري جزء4، ص448، مقتبس في طهماز، ص115.

5 طهماز ، السيدة عائشة أم المؤمنين، ص118.

6 الطبري ، جزء 4، ص458، المغني في الضعفاء، ص2–4، مقتبس في طهماز، ص115.

7 العقيلي، محمد بن عمر(ت322هـ)، الضعفاء، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، جزء4، ص300.

8 الذهبي، شمس الدين(ت748هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، جزء4، ص253.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه الرواية التي تومئ إلى عداء شخصي من عائشة لعلي انعكس على موقفها السياسي، فضلا عن إلصاقها بعائشة رضي الله عنها تهمة التأليب على عثمان حتى قتل، فهي رواية موضوعة على الأغلب.

فقد خرجت عائشة لمعاقبة القتلة، وكانت هذه القضية التي شغلتها حينها، ممّا أجّل بيعتها لعليّ رضي الله عنهما، وتأجيل قضية البيعة حتى الاقتصاص من قتلة عثمان كان رأيًا لجماعة كبيرة من الصحابة كما تروي بعض المصادر.

فقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية أنَّ نفرًا من الصحابة رأى تأجيل البيعة لعلي رضي الله عنه، خوفًا من الدخول تحت سيطرة القتلة الذين بايعوا عليًا، لا رغبة عنه. ومن هؤلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقَّاص، وصهيب بن سنان الرومي، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سلامة بن وقْش، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد، وأبو سعيد الخدري، والنعمان بن بشير، وغيرهم.[2]

وللوليد بن عقبة شعر يحمّل فيه بني هاشم وعليًّا تحديدًا مسؤولية تأخير الاقتصاص من قتلة عثمان، إذ يقول فيه[3]:

---

[1] انظر البغدادي، عبد القاهر (ت1037هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، جزء13، ص283.

[2] انظر ابن كثير، البداية والنهاية، جزء7، ص163.

[3] انظر المقبل، نبيلة، شعر الوليد بن عقبة جمع وتحقيق ودراسة. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 2011، ص22.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الطويل)

بني هاشم لا تعـــجلوا بإقادةٍ[1] سواءٌ علينـــا قاتلوه وســـالبُهْ

بني هاشم كيف التعاقد بيـــننا وعند عليٍّ سيفُه وحـــرائبُهْ[2]

وهذا الشعر دليل واضح على تواني الأمويّين عن مبايعة علي رضي الله عنه، فالوليد يطالب بني هاشم بعدم توليهم مسألة القصاص لعثمان رضي الله عنه، لأنهم وفق شعره هم المسؤولون عن مقتل عثمان، لذا يرفض الشاعر التعاقد معهم فلا يبايع عليًّا رضي الله عنه.

وقد روت بعض المصادر أن عليًا رضي الله عنه كان يود الاقتصاص من قتلة عثمان، إلا أن الظروف التي تولى فيها الخلافة، واستحواذ أولئك القتلة على الأمر، جعلته يؤجل المسألة حتى تتوطّد دعائم الدولة، ثم يستطيع معاقبتهم، مما أوقع الخلاف بينه وبين السيدة عائشة ونفر كثير من الصحابة.[3]

وأما موقفها من عثمان، فهو يتضح في طلبها بدمه، وفي قولها فيه: "أما والله لقد حاط الإسلام وأكّدهُ، وعضد الدين وأيدهُ، ولقد هدم الله به صياصيَ الكفر، وقطع به دابر المشركين، ووقم به أركان الضلالة، فلله المصيبة به ما أفجعها، والفجيعة به ما أوجعها، صدع الله بمقتله صفاة الدين، وثلمت مصيبته ذروة الإسلام بعده، وجعل لخير الأمة عهده."[4] مما يؤكد صفة الوضع لمعظم الأخبار التي تظهر عائشةَ مؤلبةً على عثمان، فلو كانت كذلك لما وصفته بتلك الصفات التي تنم على رضى عن سياسته، ولَمَا تولت بنفسها مسألة القصاص من قتلته.

---

[1] قَوَدّ القَوَدُ القِصاصُ وقَتْلُ القاتِلِ بدل القتيل (لسان العرب، مادة قود).

[2] حرائبه: ماله ومتاعه الذي سُلب منه.(لسان العرب، مادة حرب).

[3] انظر ابن كثير، البداية والنهاية، جزء7، ص257.

[4] انظر ابن طيفور، بلاغات النساء، ص15.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فضلًا عن أنّ الشعراء الذين طالبوا بالقصاص لعثمان لم يحمّلوا السيدة عائشة مسؤولية في مقتل عثمان، فها هو الوليد بن عقبة الشاعر السياسي الأموي، المطالب بالثأر لعثمان، الحاقد على كل من اعتقد أنه حرّض أو ألّب على الخليفة، لم يذكر في مجموع شعره السيدة عائشة، وقضية شعره الأساسية هي المطالبة بالثأر لعثمان، والوليد أخو عثمان من أمه، وهو لم يتعرض في شعره للسيدة عائشة من قريب أو بعيد، مع أنه تعرّض لعلي رضي الله عنه، ولطلحة وللزبير رضي الله عنهما، وللأنصار كذلك، لأنهم جميعا –وفق رأيه–، تحملوا مسؤولية في ذلك الأمر.[1] فكيف لشاعر ووالٍ من ولاة عثمان يدور كل شعره حول مقتل عثمان والمحرضين عليه، مطالبا بالثأر منهم، لا يتعرض في شعره لأبرز من تذكرها المصادر التاريخية بوصفها أكثر المؤلبين عليه؟

ومثله كعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقد كانا عثمانِيَّيْ الهوى، ولهما أشعار واضحة في رثاء عثمان، وكلاهما لم يحمّل عائشة مسؤولية في هذا الشأن.[2]

وهذا حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان في أكثر من قصيدة، ويطالب بالثأر له ممن عدّهم مسؤولين عن مقتله، بل يأخذ على نفسه عهدًا في هذا الشأن كما يتضح في شعره، إلا أنه لا يذكر السيدة عائشة في مراثيه لعثمان، ولم يحمّلها أيّة مسؤولية في مقتله، في حين ذكر عليّ بن أبي طالب في إحدى مراثيه لعثمان رضي الله عنهما، واستنجد بمعاوية لأخذ الثأر كما اتضح من شعره، إذ رضي بأهل الشام زافرة(أعوان)، فهو القائل[3]:

---

[1] انظر المقبل، نبيلة، شعر الوليد بن عقبة جمع وتحقيق ودراسة، ص67.

[2] انظر حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق وليد عرفات، بيروت، دار صادر، بيروت، 1970، ص248، 249؛ وانظر كعب بن مالك، الديوان، تحقيق سامي العاني، عالم الكتب، بيروت، 1997، ص63–66.

[3] حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1970، ص248.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(البسيط)

يا ليت شعري، وليت الطيرَ تخبرُني ما كان شـــأنُ عليٍّ وابن عفّانا

ضحّوا بأشمطَ عــنوانُ السجود بــهِ يقطّــع الليــلَ تسبيحـــاً وقرآنا

وقد رضيتُ بأهــل الشام زافـــرةً وبالأمــيرِ، وبالإخــوانِ إخــوانا

إنّي لمنهم، وإن غابوا، وإن شهدوا، حتى المماتِ، وما سُمّيتُ حسـّانا

وهذا كعب بن مالك الشاعر الأنصاري المناصر لعثمان، المدافع عنه بقوة، المطالب بالثأر له كما يتضح في أشعاره، يظهر غضبه من الأنصار لأنهم–وفق رأيه– أسهموا في ما آل إليه حال الخليفة، وقصّروا أيّما تقصير في حقه، وهذا يظهر في رثائه لعثمان، ومعاتبته للأنصار:[1]

(الرجز)

مَن مبلغٌ الأنصارَ عنّــي آيةً رسلًا تقــصُّ عليــهمُ التــبيانا

رسلًا تخبّــرُكم بــما أوليــتمُ أنَّ البــلاءَ يكشّــفُ الإنــسانا

أنْ قد فعــلتم فعلةً مذكــورةً كستِ الفضوحَ وأبدتْ الشــنآنا

بقعودِكم في دارِكم وأميــرُكم تُحشي ضواحي دارِه النيــرانا

وكعب بن مالك لم يذكر في مراثيه لعثمان السيدة عائشة، فلو كانت مؤلبة على عثمان كما ذكرت بعض الروايات، لعاتبها كعب أو حسان أو الوليد بن عقبة في أشعارهم، كما عاتبوا الأنصار أو الهاشميين في أشعارهم، ممّا يؤكد أن ما يقال عن تأليب عائشة على عثمان يعتمد على أخبار متصلة بروايات تحتاج إلى إعادة النظر.

[1] كعب بن مالك، الديوان، تحقيق سامي العاني، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1997، ص218. الأبيات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد أورد البلاذري في أنساب الأشراف خبر إعطاء عثمان حليًّا وجواهرَ من بيت المال لبعض أهله، فاعترض عمار بن ياسر على ذلك، فأمر عثمان بضربه، مما أغضب عائشة، وأخرجت شَعْراً من شعْر رسول الله ﷺ، وثوباً من ثيابه، ونعلاً من نعاله، ثم قالت: "ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم، وهذا شَعْره، وثوبه، ونعله، لم يَبْلَ بعد"، فغضب عثمان غضبًا شديداً.[1]

وهو خبر أوردته معظم الدراسات[2] التي تعرضت لعلاقة عثمان وعائشة، معتمدة على ما رواه البلاذري في أنسابه وبعض المصادر. وعند فحص هذه الرواية نجد أن البلاذري يرويها عن عباس بن هشام الكلبي والذي يرويها بدوره عن أبي مخنف.[3] وهو خبر لم يرد تقريبا في معظم المصادر، فلم يرد في تاريخ الطبري، ولم يورده ابن كثير في البداية والنهاية مثلا، وقد أورده المقدسي دون سند.[4] وذكر العسكري في "الأوئل" خبر المنافرة بين عائشة وعثمان على إثر ضرب عثمان عمار بن ياسر عند اعتراضه على ما منحه عثمان لأقاربه من بيت المال، بسنده عن أبي القاسم عن العقدي، عن أبي جعفر، عن المدائني، عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد،عن أبي يعقوب السروي.[5]

فرواية البلاذري على ما يبدو مشبوهة، وعند فحصها يتضح ضعفها، فأبو مخنف –الذي روى عنه البلاذري عن طريق عباس بن هشام– هو لوط بن يحيى، وهو من الرواة المتقدمين،

---

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى(ت279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق إحسان عباس، فيسبادن، دار الفكر، بيوت، 1996، ج1، ص538.

[2] انظر سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة، ص39، وانظر محمد عطية خميس، عائشة أم المؤمنين، ص182.

[3] البلاذري، أنساب، ج1، ص537، 538.

[4] انظر المقدسي، محمد بن طاهر(ت507هـ)، البدء والتاريخ، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1980، جزء 5، ص202–203.

[5] انظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت395هـ)، الأوائل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987،ص133–134.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توفي سنة 157هـ، وهو غارق في التشيع. قال عنه ابن عدي الجرجاني: "شيعيّ محترق، وأحاديثه مكروهة غير مسندة".[1] وهو غير موثوق[2]، وقال فيه الدارقطني: "إخباري ضعيف".[3]

وقال ابن حجر:"إخباري تالف لا يوثق به".[4] وعباس بن هشام الذي روى عنه البلاذري مباشرة، لم أجد له في كتب الجرح والتعديل توثيقا، فلم يذكره ابن حبان، أو العجلي في ثقاته، فضلًا عن أن معظم ما وجدته من روايات لعباس بن هشام كانت عن أبيه، ثم عن جده (هشام بن محمد السائب الكلبي).[5] ويبدو أنَّ في السند حلقة مفقودة، وهي على الأغلب: هشام الكلبي والد عباس بن هشام، إذ إنَّ ثمّة فرقا زمنيا بين عباس بن هشام وأبي مخنف، فأبو مخنف توفي سنة 157هـ، وهشام أبي عباس توفي سنة 204هـ ، وأمّا عباس فلم أجد له ترجمة، ولكن على ما يبدو هو من رواة القرن الثالث وما بعده، فلا يمكن أن يكون قد روى عن أبي مخنف مباشرة. وإذا صح أن هشام بن محمد الكلبي هو حلقة السند المفقودة، فهذا يضاعف في هلهلة السند، فقد قال فيه أحمد بن حنبل: "كان صاحب سمر، ما ظننت أن أحدا يحدّث عنه"، وقال الدارقطني:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] ابن عدي الجرجاني، أبو عبدالله أحمد(ت 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، ط2،، دار الفكر، بيروت، 1985، جزء6، ص93.

[2] انظر العقيلي، محمد بن عمر(ت322هـ)،الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984،جزء4، ص18. وانظر ابن الجوزي، اعبدالرحمن بن علي(ت510هـ)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، جزء3، ص28.

[3] الدارقطني، علي بن عمر(ت385هـ)، المؤتلف والمختلف، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1986، جزء1، ص33.

[4] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ت(748هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنّة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995.جزء6، ص430.

[5] انظر أنساب الأشراف للبلاذري؛ وانظر الإصابة لابن حجر.

"متروك"، وقال ابن عساكر: "رافضي ليس بثقة".[1] وقال عنه ابن حبان: "كان غالياً في التشيع، وأخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها".[2]

ممّا يجعلها رواية ساقطة مهلهلة لضعف أركان سندها بالجملة، ولفقدان حلقة من رجالها، فضلًا عن ما هو معروف من ميول المؤرخ (البلاذري) الشيعية، الذي أورد تلك الرواية، والبلاذري من معاصري الدولة العباسية، إذ توفي سنة 297هـ، ويبدو واضحا ما يعانيه الأمويون وعثمان رضي الله عنه منهم من حملة التشويه، التي شارك فيها معظم مؤرخي الدولة العباسية.

أما رواية العسكري فمعظم رجالها مجهولون، فالأعمش الذي في السند ليس محددا، فقد أورد ابن حبان أكثر من أعمش، أحدهم كان مدلسا[3]، وكذلك الأمر بالنسبة للعقدي والمديني، إذ ينقصهما التحديد، وأما أبو يعقوب السروي وأبي سالم الجعد، فلم تذكرهما كتب الجرح والتعديل، مما يضعّف رواية العسكري.

ويورد اليعقوبي[4] في تاريخه أن عائشة كانت تؤلب على عثمان، وذلك للخلافات التي بينهما، ويذكر منها منافرة بين عثمان وعائشة على إثر إنقاصها عطاءها الذي كان يعطيها إياه عمر بن الخطاب، إذ صيّرها عثمان مثل غيرها من نساء رسول الله، فخطب عثمان يوما، إذ

---

[1] ابن حجر، لسان الميزان، ص338.

[2] ابن حبان(ت354هـ)، المجروحين من المحدثين والمتروكين، ط2، تحقيق محمود زايد،حلب، دار الوعي، 1982،جزء3، ص91.

[3] ابن حبان، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد،دار الفكر، بيروت، 1975، جزء4، ص393.

[4] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ت(292هـ)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، 1980، جزء2، ص175.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دلّت عائشة قميص رسول الله، ونادت: "يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته! فقال عثمان: "رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم".[1]

والحقيقة أن معظم الدراسات قد تناولت الخبر السابق دون تمحيص، إلا أننا نجد أحدهم يشكك في مضمون الخبر، فيذهب طهماز[2]معتمدًا على المصادر التاريخية ذاتها، إلى أن المشهور من حال عثمان أنه كان يجود بالمال الكثير، ويتفقد بيوت النبي ﷺ في حياته، فكيف يضنّ على أزواجه بعد مماته، مع كثرة المال وزيادته. كما أن العطاء سنّة سنها عمر بن الخطاب لم تؤثر عن النبي ﷺ، فكيف تتهم عائشة عثمان بتعطيل سنة من سننه وهي تعلم أنها ليست من سننه عليه الصلاة والسلام.[3]

وما يشكك في تلك الرواية أن خبر إنقاص عثمان عطاء السيدة عائشة لم تذكره معظم المصادر من تاريخ وتراجم وسيرة، فضلا عن أنّ اليعقوبي الذي يورد هذا الخبر على عواهنه دون سند، من الموالين للدولة العباسية[4] فلا غرو أن تتجه أخباره إلى تشويه سيرة الأمويين وعثمان بن عفان(أبرزهم) باعتباره أموي النسب، وإن كان خليفة راشدًا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] تناص مع الآية الكريمة رقم 33 من سورة يوسف: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ"

[2] طهماز، عبد الحميد، السيدة عائشة، ص101.

[3] المرجع السابق، ص102.

[4] انظر الزركلي، الأعلام، جزء 1، ص95.

ويشير بعضهم[1] إلى تشيع اليعقوبي، فهو شيعيّ إماميّ، وقد عرض التاريخ من وجهة نظر شيعية، وقد نقل أخبارا سيئة عن بعض الصحابة أمثال عائشة، وهو مطروح الأخبار فيما ينقله، لأنه يقصد بذلك نصر مذهبه.[2]

وهذا يؤكد تلفيق ووضع كثير من الأخبار الخاصة بعلاقة عائشة بعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعًا، فلم تكن عائشة من المناهضات لعثمان أو علي؛ فهي لم تسهم في تلك الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان، ولم تخرج لقتال عليّ، وإنما خرجت لأخذ حق الإمام المظلوم، حق الإمامة والخلافة، المتحقّق بالاقتصاص ممن انتهكوا حرمات الإسلام والخلافة والبيت الحرام بقتلهم الخليفة. إذ خرجت للتنديد بانتهاك تلك الحرمات حتى تضمن بقاء دولة الإسلام، لأنَّ انتهاك تلك الحرمات يعني حصول الاضطراب بل وتدمير الدولة.

وما يؤكد براءة السيدة عائشة مما نسب إليها في أمر عثمان، ما رواه الطبري أن الأشتر النخعي جاء إلى عائشة – رضي الله عنها– و قال لها : "ما تقولين في قتل عثمان؟ فقالت: معاذ الله أن آمر بسفك دماء المسلمين، و استحلال حرماتهم و هتك حجابهم"، فقال لها الأشتر: "كتبتن إلينا تأمرننا ، حتى إذا قامت الحرب على ساق، أنشأتن تنهيننا"، فحلفت عائشة بقولها: "لا والذي آمن به المؤمنون و كفر به الكافرون، ما كتبتُ إليهم سوداء في بيضاء في أمر عثمان إلى يومي هذا".[3] بمعنى أن ثمّة روايات كثيرة تهدف الى التشكيك في مواقف السيدة عائشة السياسية، وتنعتها بالتحزب لفريق دون آخر، بل وينعتونها رضي الله عنها بأكثر من ذلك كما جاء في حوار الأشتر مع السيدة عائشة، إلا أنها نفت تغير موقفها من عثمان، فهي لم تناهضه وتدعو إلى

[1] السقاف، علوي ، عائشة أم المؤمنين، الظهران، الدرر السنية، 2011، ص429.

[2] السقاف، عائشة أم المؤمنين ص429.

[3] الطبري، جزء2، ص636 ، اقتبسها أبو بكر الخلال، السنة، جزء2، ص340.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخروج عليه، وإنما كان لها بعض التحفظات الطبيعية على جزئيات معينة في سياسة عثمان، كما قالت: "غضبنا لكم من السوط والعصا أفلا نغضب لعثمان اليوم من القتل". فهي لم تكتب شيئا في أمر عثمان، ولم تسهم في ما آلت إليه حال عثمان رضي الله عنه. وموقفها بعد مقتل عثمان واضح وضوح العيان، وقد خرجت مطالبة بدمه، لاستئصال شأفة الفتنة بإقامة حد الله بقتل قتلته، لحفظ حرمة المسلم والخليفة معًا، فهي حرمة مكثفة، حرمة الإنسان وحرمة الخليفة.

ومن الجليّ أن السيدة عائشة في خطبها كلّها ورسائلها، في خضم هذه الفتنة، لا سيّما ما تضمنته هذه الدراسة، قد أظهرت براعة في التعبير الدقيق عن مرامها بأدقّ لفظ وأوضح عبارة، فلنتأمّل قولها الذي مرّ في إحدى خطبها: "إنّ الغوغاء من أهل الأمصار، ونزّاع القبائل، غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله، ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين، بلا ترة ولا عذر"، فالكلام واضح، منسجم مع المعنى المراد، يعبّر عن المراد بلا زيادة ولا نقصان.

وكانت السيدة عائشة تطنب إذا استدعى المقام الإطناب، وتوجز إذا استدعى الإيجاز، ففي رسالتها التي مرّت إلى أم سلمة كان المقام مقام الإيجاز، أمّا في خطبتها التي مطلعها: " إنّ الغوغاء من أهل الأمصار .." وأشرنا إليها في الفقرة السابقة، فقد كان المقام مقام الإطناب؛ فهي تقول فيها: " فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضاريّين مضرين، غير نافعين ولا متّقين" فنلحظ الإطناب والتكرار بجلاء، لأنّ غرض السيدة عائشة كان أن تظهر فداحة ما فعل الذين غزوا المدينة وحاصروا بيت الخليفة عثمان ثم قتلوه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكانت السيدة عائشة تتخيّر من الألفاظ أوقعها في النفوس، ومن المعاني أحواها لما في عقلها من الفكرة وما في قلبها من العاطفة. ففي جزء من خطبتها في البصرة التي مرت وتحتج فيها على خروجها للطلب بالقصاص من قتلة عثمان تقول:"أيها الناس ، والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قُتل مظلومًا، غضبنا لكم من السوط والعصا، ولا نغضب لعثمان من القتل!" فهذا كلام مؤثّر، متخيَّر بوعي ومعرفة، ليقع في النفوس موقعًا شديدًا، وهي قد جمعت بين إشفاقها على الرعية بعدم قبولها سياستهم بالسوط والعصا والغضب لذلك، حفاظًا على كرامتهم وصونًا لدينهم ودنياهم، وبين إشفاقها على عثمان وما حلّ به من فادح المصاب، وغضبها لذلك. فكان أن عبّرت عن ذلك بأدق العبارات التي انسجمت مع سمو الفكرة وقوة العاطفة.

وكانت في كل ذلك لا تفتأ تغمس عباراتها بمِسك الدين والحرص عليه، وتحتج لمواقفها بدليل، وتقيم لكلامها البراهين. فقولها السابق: " غضبنا لكم من السوط والعصا، ولا نغضب لعثمان من القتل" فيه استدلال عقلي، فهي تقول إن كانت قد غضبت للرعية حين مسّها شيء من الظلم والتعسّف، فكيف لا تغضب للراعي وقد جرى عليه القتل. واحتجاجها بالحرمات الأربع حين قالت:"فقد خرجت غضبى لانتهاك حرمات الله الأربع، وأني أقبلت لدم الإمام المظلوم المركوبة منه الفِقَر الأربع حرمة الإسلام، وحرمة الخلافة، وحرمة الصحبة، وحرمة الشهر الحرام" يدلّ على قدرتها على الاحتجاج والإقناع، فهي نظرت إلى جريمة قتل عثمان من جوانب عدة، لا جانب واحد وحسب، فهو مسلم وخليفة وصحابيّ وقتل في الشهر الحرام. وكأنّها أرادت أن تسدّ أبواب الذرائع كلّها أمام المتوانين عن القصاص من قتلته، فإن لم يرضوا عن خلافته فهو مسلم صحابي قُتل في الشهر الحرام، فكان عليهم لحق الإسلام والصحبة أن يقتصوا له.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واستدلت باستلال قرآني في رسالتها إلى أم سلمة: " ولنِعم المَطلع مَطلع فَرَقْتُ فيه بين فئتين مُتشاجرتين من المُسلمين، فإن أقعدْ فعن غير حَرج، وإن أمضِ فإلى ما لا غِنى بي عن الازدياد منه" في إلماحة منها إلى قوله تعالى: " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله"[1]

وقد تراوحت نصوصها بين أن تتضمن مستوى عاليًا من البيان تشبيهًا واستعارة وكناية، أو تكتفي بالعبارة المباشرة التقريرية، بحسب المقام، ولعلها في الخطب المهمة التي تكون قد أعدّت لها فكرها وبلاغتها، كانت ترتاد البيان من أوسع أبوابه، أمّا في الخطب الموجزة والرسائل التي استدعتها مواقف مفاجئة، ولا تحتمل مزيد التنميق والبيان، فقد كانت تميل إلى المباشرة والتقرير.

فنجد البيان متجليًّا في إحدى خطبها التي تثني فيها على الخليفة عثمان رضي الله عنه وتتفجّع لمقتله : "ولقد هدم الله به صياصيَ الكفر، وقطع به دابر المشركين، ووقم به أركان الضلالة .. صدع الله بمقتله صفاة الدين، وثلمت مصيبته ذروة الإسلام بعده"، فهذا جملة من الصور المتتابعة، فهي صورت الكفر ذا صياصي، والضلالة ذات أركان، والدين ذا صفاة صُدعت بمقتل الخليفة، والإسلام كأنه جبل ثلمت ذروته هذه المصيبة. وكلها صور بديعة وُضعت في قالب جزل متين أسهمت في تقوية المعاني المرادة وتقديمها بحلة جميلة مؤثّرة.

لكن نجد العبارة التقريرية المباشرة في رسالتها إلى أم سلمة، وفي مثل قولها: " إن من الرأي أن تنظروا الى قتلة عثمان، فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شورى، على ما جعله عمر بن الخطاب".

---

[1] . سورة الحجرات: آية رقم 9.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتبرز عائشة بنت عثمان رضي الله عنهما بعد مقتل أبيها فتخطب في الناس خطبة من أبلغ الخطب ترثيه فيها، وتشخِّص فيها سياسته. فتتفجع لمقتله، وتستنكر استحلال حرمة الخلافة، ويبرز الاستنكار في صيغة الاستفهام الإنكاري، إذ كيف يسفك دم الخليفة في حرم رسول الله؟.

"يا ثارات عثمان! إنا لله وإنا إليه راجعون! أُفنِيَتْ نفسُهُ، وطلَّ دمهُ في حرم رسول الله صلى الله عليه، ومنع من دفنه؟ اللهم لو يشاء لامتنع، ووجد من الله عز وجل حاكماً، ومن المسلمين ناصراً، ومن المهاجرين شاهداً، حتى يفيء إلى الحق من شذَّ عنه، أو تطيح هامات وتفرى غلاصم[1]، وتخاض دماء، ولكن استوحش مما أنستم به، واستوخم ما استمرأتموه".[2]

ثم إنّها تلومهم بشدة، لاسيّما أنّ عثمان قد وعد الناس خيرًا قبل مقتله:

"يا من استحلَّ حرم الله ورسوله، واستباح حماه، لقد كره عثمان ما أقدمتم عليه، ولقد نقمتم عليه أقل مما أتيتم إليه، فراجع فلم تراجعوه، واستقال فلم تقيلوه".[3]

ثم تقارن بين سياسة أبيها والخليفتين السابقين أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا، متهمة الرعية باستغلال لين عثمان، والحرية التي منحها لهم، فعلت أصواتهم حتى تجرؤوا عليه، وأخذوا عليه مآخذ حجة لسفك دمائه. تقول في هذا الشأن:

---

[1] غلاصم: مفردها: الغَلْصَمَةُ رأس الحُلْقوم بشواربه وحَرْقدته وهو الموضع الناتئ في الحَلْق.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، تحقيق الألفي، ص72.

[3] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص72.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"فهلّا علَتْ كلمتكم، وظهرت حسكتكم[1]، إذ ابن الخطاب قائم على رؤوسكم، ماثل في عرصاتكم[2]، يرعد ويبرق بإرعابكم... إن قال صدقتم قالته، وإن سأل بذلتم سألته. يحكم في رقابكم وأموالكم كأنكم عجائز صلّع، وإماء قُصّع".[3]

ثم تعود إلى سياسة عثمان المتسامحة، فضلًا عن جوده وكرمه معهم، فقد استمتعوا بمباهج الحياة، وعاشوا حياة لين ودعة، إلا أنهم استغلوا ذلك، فجرّدوا سيوفهم بغيا وظلما:

"حتى إذا عاد الأمر فيكم ولكم وإليكم في مونقة من العيش، عرقها وشيج[4]، وفرعها عميم، وظلها ظليل، تتناولون من كثب ثمارها أنّى شئتم رغداً، وحلبت عليكم عشار الأرض درراً، واستمرأتم أكلكم من فوقكم، ومن تحت أرجلكم، في خصب غدق، ووامق شرق... فانتضيتم سيوفكم، وكسرتم جفونكم..."[5]

فخطبة عائشة السابقة رثاء بليغ مؤثر، دلّ على تضلّعها في الأدب، وتملكها ناصيته حتى في وقت حزنها وكمدها.[6] وفي الجنبة الفنية، نجد أنها اشتملت عليه خطب مثيلاتها من نساء ذلك العصر من جزالة وفصاحة وبيان، وحوت سمات الخطابة في عصرها، من سجع ثنائي غير مقيّد، وتوازٍ، وتأثّر بالقرآن الكريم، وإطناب بحسب ما يقتضي المقام، وغير ذلك من سمات.

فعلى صعيد البيان، حشدت الخطيبة جملة من الصور البديعة في قالب جزل، نحو قولها: "حلبت عليكم عشار الأرض درراً"، وهي صورة لعلها كانت مبتكرة في وقتها، وتعكس رغد

---

[1] الحسكة: الشوكة.(لسان العرب، مادة حسك).

[2] العَرَصاتُ: جمع عَرْصة وقيل هي كل موضع واسع لا بناء فيه.(لسان العرب، مادة عرص).

[3] ابن طيفور ، ص72–73.

[4] وشيج: عروق وأغصان الشجر الملتف والمتشابك.(لسان العرب، مادة وشج).

[5] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص73.

[6] حسن، علي إبراهيم، نساء لهن في التاريخ نصيب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950، ص 75.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العيش، فصوّرت الأرض إبلًا عشارا درّت حليبها لهم بغزارة. ونجد الكناية في قولها: "ظهرت حسكتكم" كناية عن صفة أي ظهر الجانب العنيف المؤذي منكم. وثمة كناية رائعة في قولها: " فانتضيتم سيوفكم، وكسرتم جفونكم"، كناية عن الإصرار على القتل وإنفاذ الجريمة، فالقتلة شهروا سيوفهم وكسروا أغمادها حتى لا تبقى فرصة للتراجع عن نيتهم في القتل التي عقدوا العزم عليها.

وهذه أم سلمة تذهب إلى عثمان رضي الله عنهما، مقدمةً له نصيحة تدل على وعي سياسي واضح، بأسلوب أدبي رقيق، وبخطاب محبب، قائلة له:

" يا بُنيّ مالي أرى رعيّتك عنك مزورّين، وعن ناحيتك نافرين. لا تُعَفِّ[1] سبيلًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهجها، ولا تقدح زِندًا[2] كان أكباها[3]، حيث توخّى صاحباك، فإنّهما تكّا[4] لك الأمر تكّا". هذا حق أمومتي إليك، وإنّ عليك حقّ الطاعة". فقال لها عثمان:"قد قلت فوعيت، وأوصيت فاستوصيت".[5] فيسمع عثمان لقولها ويستنصح بنصحها، إذ أوصته ألا يحيد عن نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وسياسة الخليفتين السابقين له أبي بكر وعمر.

وعلى ما في كلام السيدة أم سلمة رضي الله عنها من الإيجاز لكن ضمنته صورتين قوّت بهما ما أرادت من المعنى، وذلك قولها: " لاتعفِّ سبيلا كان رسول الله ﷺ نهجها، ولا تقدح زندًا كان أكباها"، إذْ صوّرت السُّنة والنهج بالسبيل، وصوّرت الأمر المتروك بالزند المكبية أي المعطّلة من القدح والإيراء بها، وهما صورتان من البيئة العربية مطروقتان في كثير من

---

[1] تعَفِّ: تترك وتكف.(لسان العرب، مادة عفف).

[2] زند: العود الذي يقدح به النار.

[3] أكباها: عطَّلها من القَدْح فلم يُورِ بها.(لسان العرب، مادة كبا)

[4] تكَّ الشيءَ يَتُكُّه تَكّاً: وطَّأه.(لسان العرب، مادة تكك)

[5] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص9-10.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كلام العرب. ونلحظ السجع في كلام أم سلمة، الذي يكاد يكون سمة طاغية على كل نص في ذلك العصر، موجزًا كان أم طويلًا.

كما يلفتنا في كلام السيدة أم سلمة رضي الله عنها روعة التقديم والتأخير، مثلًا في قولها: "مالي أرى رعيّتك عنك مزورّين، وعن ناحيتك نافرين"، فقدّمت شبه الجملة (عنك)، (عن ناحيتك) على المفعول الثاني (مزورّين)، (نافرين)، فحقّقت بذلك بناء أمتن للجملة وإيقاعًا أوقع في الأذن والنفس، وأحسنت اختيار النون للسجع بدل الكاف. ونلحظ التقديم والتأخير كذلك في قولها: " وإنّ عليك حق الطاعة"، فقدّمت خبر (إنّ) وهو شبه الجملة "عليك" على اسمها، في بناء مُحكم حسن الإيقاع.

وها هي زينب بنت العوام ترثي أخاها الزبير، وابنها عبدالله بن حكيم بعد مقتلهما في وقعة الجمل.

فقالت[1] في رثاء الخليفة:

(الطويل)

أعينيَّ جُودا بالدمــوعِ فأفرِغا ... على رجلٍ طــلْقِ اليدينِ كريــمِ

زبيراً وعبد اللهِ ندعو لحــادثٍ ... وذي خلَّــةٍ مــنا وحــمل يتــيمِ

قتلتــم حواريَّ النبيِّ وصــهرَهُ ... وصــاحــبَهُ فاســتبشرا بجحيــمِ

وقــد هدّنـــي ابنُ عفّانَ قبــلَهُ ... وجــادتْ عليهِ عبرتي بســجومِ[2]

---

[1] الزبيري، أبو عبدالله المصعب، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، جزء7، ص232. الأبيات من الطويل.

[2] البيت مكسور: هكذا ورد في الأصل.(وقد هدني موت ابن عفان قبله).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأيقنتُ أنَّ الدينَ أصبحَ مدبــِراً فكيفَ نُصلّي بــعدهُ ونصـــــوم [1]

وكيفَ بنا أم كيفَ بالدِّينِ بعدما أصيبَ ابنُ أروىوابنُ أمِّ حكيمِ[2]

تستهل زينب قصيدتها بقالب معروف في قصائد الرثاء "أعينيّ جودا .." نحو ما هو في قصيدة الخنساء الشهيرة في رثاء أخيها صخر، وفيه أنسنة للعَين والطلب إليها بكثرة البكاء لأنّ المرثي أهل للبكاء الغزير والحزن الشديد. ولأنّه قالب مؤثّر مضمونًا وتصويرًا ومتانة، فقد شاع في استهلال قصائد الرثاء القديمة. إذًا، فالشاعرة تطلب من عينيها أن تذرفا الدموع بغزارة على رجل كريم فاضل، هو الزبير بن العوام رضي الله عنه، وتقول إنّه وابنها عبدالله كانا ملاذًا في الشدائد، وفي الفاقات، وفي رعاية اليتامى. ثم تذكر ثلاثًا من فضائل الزبير رضي الله عنه؛ أنه حواريّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وصاحبه، وصهره، وتقول إنَّ رجلًا له هذه الفضائل والرتب فإنّ قاتله في النار لا محالة. ثمّ هي تعرّج على مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتقول إنّ مقتله هدّها وأحزنها، وذرفت عليه الدموع الغزيرة، وأنها أيقنت أنّه قد ثُلم الدين بمقتله، حتى شكّت أنه سيظل صلاة وصيام بعده، وهو من المبالغة في إظهار الحزن واستعظام المصائب.

من الناحية الفنيّة، فالقصيدة جيّدة النظم، جزلة الألفاظ، وواضحتها، قيل فيها إنها " رثاء هادئ سلس صادق التعبير، خال من عيوب اللفظ وحوشيّ الكلام."[3] وهو رأي صحيح، تدلّ عليه الأبيات بجلاء. تشيع الكناية في الأبيات التي بين أيدينا، ولها دلالاتها المعنوية، إلى جانب جمالها

---

[1] . البيت فيه إقواء جليّ، فالفعل "نصوم" فعل مضارع مرفوع، ولا مسوّغ هنا لجزمه، ولو صح جزمه لكان "نصمِ" بحذف الواو لالتقاء الساكنين. ولا من دليل أن الرويّ هو الميم الساكنة، لأنّ سائر الأبيات بنيت فيها الكلمة الأخيرة لتكون مجرورة، فيكون الرويّ ميمًا مكسورة.

[2] ابن أروى: أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان ، أم حكيم: بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهي البيضاء توأمة أبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ جدة عثمان بن عفان، أم أروى بنت كريز.

[3] الحيالي، ليلى، معجم ديوان شعر النساء في صدر الإسلام، ص92.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفني. فمن الكناية قولها: "حواريَّ النبيِّ" كناية عن الزبير رضي الله عنه والغرض منها إظهار مكانة الزبير، "ابنُ أروى وابنُ أمِّ حكيمِ" كناية عن عثمان رضي الله عنه، والغرض منها إظهار نسب عثمان من جهة أمه وجدته الذي يتصل بعبد المطلب جد الرسول ﷺ. وهذا يكون أدعى للحزن على مقتله، والحنق على من قتلوه. والأمر ذاته مع الزبير. وفي هذا توظيف سياسي للمرأة لإثبات مكانة كل من الخليفة عثمان بن عفان والزبير بن العوام رضي الله عنهما، يجدر بنا أن نلفت إليه، وهو صلب بحثنا في هذه الدراسة.

وقد تنوعت الأساليب الإنشائية في الأبيات وأفادت الأغراض التي قصدتها الشاعرة، فمثلا أسلوبا النداء والأمر في مستهل القصيدة "أعينيّ جودا .." لإبراز الحزن الشديد الطويل، والأمر في قولها: " فاستبشرا بجحيم " للدلالة على فداحة ما قاما به، وهي هنا تقصد قاتلين بعينهما لم تصرّح بهما لأمر ما، وتراهما مستحقين للجحيم بفعلتهما تلك. وجاء الاستفهام بغرض التهويل في قولها: "فكيفَ نُصلّي بعدهُ ونصوم" و"وكيفَ بنا أم كيفَ بالدِّينِ بعدما أصيب ابن أروى..".

ونجحت الشاعرة أن تجمع في قصيدتها بين العاطفة والعقل، فالعاطفة جسّدها الحزن الشديد على مقتل كل من الزبير وعبدالله بن حكيم وقبلهما الخليفة عثمان رضي الله عنهم، أمّا العقل فجسّده النزعة الحِجاجية التي أظهرتها في برهنتها على مكانة المرثيّينِ الدينية والنسبية.

إذًا، فقد كان للمرأة أدب ارتبط بالفتنة الكبرى وعبّر عن مجرياتها وحيثيّاتها، وعبّرت فيه المرأة عن موقفها ورؤيتها السياسية، فألقت الخطب، ونظمت الشعر، وكتبت الرسائل، عارضة في ذلك كله موقفها السياسي. وقد ارتبط بذلك الحدث كثير من الروايات التاريخية، التي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُحّصت فلم يصح بعضها، أسندت مواقف غير لائقة إلى بعض الشخصيات كالسيدة عائشة، ومروان بن الحكم. ونحن حاولنا أن ندرأ هذه التهم ما وسعنا ذلك في تناول تاريخي أدبي علمي.

واتّضح لنا كيف أن أدب المرأة قام شاهِدا على ذلك الحضور الواعي، وتلك الممارسة السياسية الناضجة، فكانت ذات ثقافة دينية يُعتد بها، ورؤى سياسية عميقة، كما ظهر لنا في نص أم سلمة، وفي مطلب نائلة من معاوية، وفي خطب عائشة في البصرة، وكانت ذات اتجاه سياسي واضح، كما بدا من رثاء زينب بنت العوام لعثمان وللزبير رضي الله عنهما. وبدا وعيها السياسي يغيّر صورة الخمول الفكري والسياسي التي عُرفت عنها.

ثالثا:المرأة والفتوح

برز للمرأة دور أساسي في الفتوح الإسلامية ، فكانت مشاركة فاعلة في المعركة بنشاطها الحربي والأدبي، فبدت محفزة للمقاتلين، أمثال الخنساء، ومقاتلة تفوق في شجاعتها الرجال أحيانا، أمثال خولة بنت الأزور، وخزانة بنت خالد.

ومن أشعار خزانة التي رثت بها قتلى المسلمين في فتوح العراق:

(الطويل)

فيا عين جودي بالدموع السواجـمِ فقد شُرِّعتْ فينا سـيوفُ الأعـاجمِ

فكم من حسامٍ في الحـروبِ وذابلٍ وطرفٍ كُميتِ اللونِ صافي الدعائمِ

حزنّا على سـعدٍ وعـمرو ومالكٍ وسـعدٍ مُبـيدِ الجـيشِ مثل الغمائمِ

فنحن أمام قصيدة رثائية استُهلت بالعبارة الرثائية المشهورة "ياعين جودي .." وقولها "شرعت فينا سيوف الأعاجم" كناية عن كثرة قتلاهم بسيوف الأعداء، ويبدو أنها كانت جولة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خسر فيها المسلمون لسبب ما، ثمّ تعدّد مناقب ثلة من الشهداء تسميهم، فهم غرّ الوجوه وأعزّة أماجد، وشجعان كالليوث، وشعث الجماجم، كناية عن حضورهم الدائم في المعارك والجهاد، فهم شعث غبرٌ لا يجدون الوقت للاهتمام بمظهرهم وهندامهم.

وأما خولة بنت الأزور[1]، فهي شاعرة ذات شجاعة بالغة، أبلت بلاء حسنًا في فتوح الشام، فقاتلت، وشجعت المحاربين بقتالها المستميت وشعرها المحفِّز، وأظهرت بسالة فائقة في الوقائع التي حضرتها، فجاهدت جهادًا منقطع النظير.[2]

وقد أُسرت في موقعة صحورا في فتوح الشام، فما كان منها إلا أن حاولت جاهدًة أن تحرر نفسها وصويحباتها من الأسر، فخطبت فيهن لإثارة حميَّتهن، فحملت كل منهن عمودًا، وقالت لهن: "لا ينفك بعضكن عن بعض وكنَّ كالحلقة الدائرة. ولا تتفرقن فتُملَكْن، فيقع بكنّ التشتيت، واحطمنَ رماح القوم، واكسرنَ سيوفهم". وكانت النتيجة أن تحرَّرْن من أسر الروم، وقالت خولة في ذلك شعرًا يبرز شجاعة موقفها:[3]

(الرجز)

نحن بنـــــاتُ تبــّعٍ وحِــمْيَرْ وضربُنا في القوم ليس يُنــكَر

لأننا في الحربِ نارٌ تَــسعَرْ اليوم تُســقَونَ العــذابَ الأكبر

[1] خولة بنت الأزور الأسدي. شاعرة. كانت من أشجع النساء في عصرها، وتشبَّه بخالد بن الوليد في حملاتها. وهي أخت ضرار بن الأزور. لها أخبار كثيرة في فتوح الشام. وفي شعرها جزالة وفخر. توفيت في أواخر عهد عثمان.(فهرس شعراء الموسوعة الشعرية، حوف الخاء).

[2] انظر الواقدي، فتوح الشام، جزء1، ص47.

[3] الواقدي، فتوح الشام، جزء1، ص47، 48.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وارتجازها هذا، على إيجازه، لكنّه حوى الفخر بالنسب والاعتداد بالشجاعة والقوة، والوعيد للأعداء بالقتل والوبال. وحوى فوق ذلك البلاغة والبيان المتمثّل بالتشبيه "إنّنا نار تُسعر"، والاستعارة "تُسقون العذاب الأكبر"، والتأثر بالقرآن الكريم جليّ في قولها "العذاب الأكبر".

ولها شعر مؤثر في رثاء أخيها ضرار بعد استشهاده في فتوح الشام: [1]

(الوافر)

أبعدَ أخي يلذُّ الغمــضُ عينـــي ... فكيف ينامُ مــقروحُ الجفــونِ

سأبكي ما حييتُ عــلى شقيــقٍ ... أعزَّ علي من عيني اليمــينِ

فلو أنـــي لحقــتُ بـــه قتيــلاً ... لهانَ عليَّ إذ هو غيرُ هــونِ

وكنت إلى السلوِّ أرى طــريقًا ... وأعلقُ منه بالــحبلِ المتيــنِ

وإنا معــشرٌ مَــن مــاتَ منّا ... فليس يموتُ موتَ المستكــينِ

وإني أنْ يُقال مضى ضــرارٌ ... لباكيةٌ بمنــسجمٍ هــــــتونِ

وقالوا: كم بكاؤكِ؟ قلــتُ مهلًا ... أما أبكي وقد قطعوا وتينـــي

وهي قصيدة مؤثرة ذات نغمة حزينة على بحر الوافر، وروي النون المكسورة، وهي متينة النظم، رشيقة العبارة، واضحة الألفاظ، صادقة العاطفة أيّما صدق، تنوعت فيها الأساليب بين استفهام ونفي وشرط وتعجّب وغيرها لخدمة المعاني المنشودة، بإطار من الإبداع والبراعة وامتلاك ناصية البلاغة والبيان. ومع الحزن نلحظ الفخر بقومها الذين لا يموتون في حال استكانة وذل، بل ميتة الشرف في حال الإقدام في سوح المعارك الكبرى.

[1] الواقدي، فتوح الشام، جزء1، ص 290.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولنا أن نلحظ الكناية البديعة في قولها: "أما أبكي وقد قطعوا وتيني" كناية عن قتل أخيها، وهي في الوقت ذاته تعبير عن مدى قربه من نفسها، فهو بمثابة الوتين الذي هو عِرقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه، وفي قولها هذا تأثّر جليّ بالآية القرآنية: " ثمّ لقطعنا منه الوتين"[1]

أمّا الخنساء الشهيرة، التي برزت في فتوح العراق، فقد شاركت في القادسية وأبناؤها، وكانت قد أوصتهم قبل المعركة، حاثّةً إياهم على الاستماتة في سبيل عزة دولة الإسلام.

"إنّكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لبنوا أب واحد وأم واحدة، ما هجّنت آباؤكم، ولا فضحت أخوالكم". فما كان منهم إلا أن استبسلوا حتى قُتلوا أربعتُهم.[2]

ومن الملاحظ أنّ وصيّة الخنساء تؤكد طواعية دخول أبنائها الإسلام، واختيارهم الهجرة في سبيل الله، وتؤكد نقاء نسبهم، فحفزتهم على حفظ كرامتهم المرتبطة بعز الإسلام وشرف النسب، فلا بد أن يكملوا ذلك الشرف، بجهاد المعركة في سبيل الإسلام الذي اعتنقوه طوعا، وهاجروا في سبيل نصرته، ويأتي دورهم في نشره في بقاع الدنيا، فلا بد من الجهاد لنوال الكرامة في دار الآخرة، كما نالوها في دار الدنيا.

ورأينا في ما سبق كيف أنّ للمرأة دورًا واضحًا في المواقف السياسية الفاعلة، عكسها لنا أدبها، لا سيّما شعرها، مشاركة تتجاوز ماعُرف عن المرأة من الدعة واللين والانعزال في الخدور بعيدا عن احتدام السياسة والمعارك. فقد بدت محرضة ومقاتلة، وفاعلة في الحياة السياسية، ورأيناها ذات رؤية سياسية، تبنت إثره مواقف راسخة قوية آمنت بها وسعت إلى تحقيق غاياتها. ورأيناها أحيانا قائدة لجيش تشاركه المعارك بكلمتها ويدها وسيفها، أو ترثي الشهداء والقتلى، وتهجو رموز الطرف المقابل الخصم، دفاعا عن مبادئها وقيمها. وهي بذلك

---

[1] . سورة الحاقة: آية 46.

[2] انظر ابن حجر، الإصابة، جزء7، ص615.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أظهرت انتماء ومشاركة سياسية، بأدبها وهجرتها وبيعتها وجهادها، مشاركة أثرت ولاريب في طبيعة الأدب السياسي المرتبط بالإسلام منذ فجره إلى أزمنة لاحقة من تاريخه وتقلباته إلى نهاية العصر الأموي، ودورها الفاعل الجليّ في حركة الفتوح، ونضالها لنشر الإسلام في ربوع الدنيا، وما لذلك من القيمة الكبيرة، وما للأدب المرتبط به شعرًا ونثرًا من القيمة والأهمية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

أدب المرأة والأحزاب السياسية في العصر الأموي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

برز دور المرأة السياسي في العصر الأموي، لأنه كان عصرًا سياسيا بامتياز، فلا غرابة أن تغلب السياسة على اتجاهات الأدب فيه. وقد مارست المرأة دورها السياسي متخذة الأدب وسيلة للتعبير عن موقفها السياسي.

فالأدب السياسي، كما يرى شوقي ضيف، ليس بالضرورة أن يكون في سياق سياسي محض، بل قد يأتي في سياق مديح أو رثاء أو خطبة في حدث ما، وبمجرد أن يتضمّن موقفًا سياسيًا ودفاعا عن نظرية ووقوفاً مع رمز أو جماعة أو فرقة أو حزب، فهو أدب سياسي بالمطلق.[1]

وقد حضرت المرأة سياسيا وأدبيا في هذا العصر حضورًا لافتًا، وهو امتداد لحضورها في عصر صدر الإسلام، إذ تشكلت في أواخر هذا العصر نواة الأحزاب السياسية، وربما يعود ظهورها القوي في هذا العصر إلى نضج النظرية السياسية؛ وظاهرة التحزب السياسي، فكان لبعض النساء حضور فاعل، وبدت المرأة ذات انتماء سياسي واضح، سواء أكانت عضوًا في هذه الفرق والأحزاب خارجية كانت أم علوية، أم ممثلة للحزب الحاكم(الأمويين).

وسيتناول هذا الفصل نماذج أدبية أبدعتها المرأة بانتماءاتها السياسية المختلفة، مبرزَة في ذلك ملكتها الأدبية، معبرةً عن وجهة نظرها السياسية، ومصورة مواقفها الفكرية والدعوة إليها من خلال أدب متفاوت المستوى من الناحية الفنية.

[1] انظر ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، ط7، دار المعارف، ص8، القاهرة، 1976.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا:المرأة والاتجاه العلوي

برزت المرأة في المسرح السياسي على خلفية الصراع بين آل البيت والأمويين، فقد كان آل البيت وأنصارهم يرون الأمويّين مغتصبين للخلافة، ومن هنا ظهرت المرأة العلوية(المناصرة لعلي رضي الله عنه وآله، سواء أكانت من آل البيت أم من غيرهم) التي آمنت بحقهم في الخلافة، واتخذت أدبها وسيلة للتعبير عن تلك الرؤية المعارضة للنظام الأموي، ولما استقر النظام الأموي، برزت ظاهرة الوافدات على معاوية، ومعظمهن من النساء العلويات المعارضات سياسيًا لحكمه، ويمكن أن نعدهن في أوائل المتشيعات، وإن كان التشيع لم يظهر بعد حزبًا سياسيًا، إلا أن هؤلاء النسوة امتلكن رؤية سياسية، واتخذن مواقف واضحة في الحياة السياسية آنذاك، فكنّ المناصرات والداعمات لعلي في الصراع مع معاوية. ونذكر منهن الزرقاء بنت عدي الهمدانية[1]، وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب[2]، وسودة بنت عمارة،[3] وبكارة الهلالية[4]، وأم الخير بنت حريش البارقية، وغيرهن. وثمّة المتشيعات اللواتي لم يفدن على معاوية أمثال هند بنت يزيد الأنصارية[5] التي رثت حجر بن عدي بشعر جميل ومؤثر، وفي هذا الإطار تبرز

---

[1] الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية: خطيبة، من ذوات الشجاعة. من أهل الكوفة، شهدت مع قومها صفين. توفيت سنة 60 هجرية.(الزركلي، الأعلام، جزء3، ص44).

[2] أروى بنت الحارث بن عبد المطلب القرشية: صحابية اشتهرت بالفصاحة. ابنة عم الرسول عليه الصلاة والسلام، توفيت سنة 50 هجرية.(الزركلي، الأعلام، جزء1، ص290).

[3] سودة بنت عمارة بن الأسد الهمداني. شاعرة من همدان شهدت معركة صفين مع علي بن أبي طالب.
ويقع شعرها في ثلاثة مقطعات تدور جميعها في الحث على نصرة علي والدفاع عن حقه وحق ابنيه الحسن والحسين في خلافة المسلمين. وكانت ممن وضعوا الأسس الأولى في شعر الاحتجاج لآل البيت.(تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، جزء1، ص1432).

[4] بكارة الهلالية: شاعرة إسلامية. من نصيرات علي بن أبي طالب، ولها شعر في الحث على نصرته، ولها شعر في التعريض بالحكم الأموي.(الموسوعة الشعرية، باب الباء).

[5] شاعرة إسلامية. من أنصار علي كرم الله وجهه، وقد اشتهرت بحسن الرأي وجودة البيان، لها شعر في رثاء حجر بن عدي.(شعراء الموسوعة الشعرية، باب الهاء).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نساء آل البيت لاحقًا بعد حدث مقتل الحسين، فنجد خطبًا بليغة لزينب وأم كلثوم ابنتي عليّ بن أبي طالب تنتقدان فيها سياسية يزيد بن معاوية.

كانت الزرقاء بنت عدي من المؤازرات لعلي، وكان بعض حاشية معاوية قد أشار عليه بقتلها لموقفها السياسي شديد المعارضة للأمويين، والذي ظهر بصفة خاصة في وقعة صفين، إلا أن معاوية رفض ذلك. وكانت قد قالت[1] عند وفودها على معاوية مشيرة إلى تغير الحال، وتغير الوضع السياسي:

"يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس، وبُتِر الذنب، والدهر ذو غِيَر، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر". وكان معاوية قد ذكّرها بخطبتها في صفين مناصرة عليًا، ومحرضة على القتال ضد معاوية، حيث قالت: [2]

"أيها الناس، إنكم في فتنة غشيتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المِحَجّة. فيا لها من فتنة عمياء صماء، يُسمَعُ لقائلها، ولا يُنظَرُ لسائقها. أيها الناس، إنَّ المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكوكب لا يقد في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، وإن الزِّفّ[3] لا يوازن الحجر، ولا يَقطُع الحديدَ إلا الحديدُ، ألَا من استرشدنا أرشدناه، ومن استخبرنا أخبرناه، إنَّ الحق كان يطلب ضالته فأصابها. فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار. فكان قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، وغلب الحق باطلَه، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف؟ وأنّى؟ ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً. ألا إنَّ خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خيرٌ في الأمور عواقباً. إيها إلى الحرب قدماً غير ناكصين، فهذا يومٌ له ما بعده".

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص38.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص38.

[3] الزِّف: صغار ريش النعام.(لسان العرب، مادة زفف).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من الواضح أن خطبة الزرقاء تظهر قوة موقفها السياسي، ولا ريب أنه كان لها كبير أثر في شحذ همم فريقها، ونجدها تعلّل سبب الحرب والزحف إلى القتال، وهو الظلم والانحراف عن الدين، وتقول إنّه لا بدّ من الحرب لإصلاح ما فسد، وأنها لا تضن بالنصيحة والإرشاد على من رامهما، وأنّ عليًا هو الإمام الذي طال انتظاره فلا ينبغي خذلانه، بل مناصرته بالدماء والأرواح، وأنه لا بد من الصبر عند مواجهة الخصوم لإحراز الظفر، وتستنهض الرجال إلى الحرب، وتؤمّلهم بالعاقبة الحميدة.

وفنيًّا، فالخطبة جزلة الألفاظ، متينة السبك، واءمت ألفاظها معانيها، فكانت ذات جرس قوي، يعكس شدّة الموقف. ونجد نمطًا غير مألوف من السجع في خطبة الزرقاء، نلحظه في قولها:" إنَّ المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكوكب لا يقد في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، وإن الزِّف لا يوازن الحجر"، فهو سجع غير متتال، بين (الشمس) و (الفرس) من جهة، وبين (القمر) و (الحجر) من جهة أخرى. لكنها لم تعمد إليه إلا في هذا الموضع، ورجعت إلى السجع الاعتيادي المتتالي، لأنّه أسهل مأخذًا، وأقوى إيقاعًا وتأثيرًا.

وعمدت الزرقاء إلى الاستدلال العقلي لتدعيم فكرتها، نلحظ ذلك في قولها: " إنَّ المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكوكب لا يقد في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، وإن الزِّف لا يوازن الحجر، ولا يَقطُع الحديدَ إلا الحديدُ". وربما قصدت أنه يجب أن يُسنَد الأمر إلى أهله، ولا ينبغي أن ينازعوا فيه، وإن حصل فلا بدّ أن تُعاد الأمور إلى مسارها الصحيح.

ومن الوافدات على معاوية، أم الخير بنت الحريش البارقية[1]، وكانت من المتشيعات لآل البيت رضي الله عنهم، كما يظهر من خطبتها في وقعة صفين، وكانت قد وفدت على معاوية،

[1] أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي، من بني بارق، وهم بطن من خزاعة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فطلب منها أن تعيد تلك الخطبة على مسامعه، فأعادها عليه أحد أفراد حاشيته، على النحو الآتي:

"يا أيّها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم"[1]. إنّ الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، ونوّر السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة. فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين؟ أم فراراً من الزحف؟ أم رغبة عن الإسلام؟ أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله عز وجل يقول: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم"[2]... أيّها الناس، إنَّ الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستبطأوا مدة الآخرة فسعوا لها. والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه"[3]

يظهر وعي المرأة السياسي في تناولها قضية الحكم الكبرى "الإمامة أو الخلافة" ، إذ تؤكد أن الخليفة هو علي رضي الله عنه " أفرارا عن أمير المؤمنين تريدون". وتشير في نهاية الخطبة إلى سمات علي رضي الله عنه التي تؤهله للقيادة، فهو عادل ووفي. وتشير أيضا إلى مبدأ الوصاية الذي يعتمده الشيعة في الاحتجاج لإمامة علي رضي الله عنه.

والناظر إلى الخطبة يلحظ ارتباط الموقف السياسي بالدين، ويلحظ أيضًا موقف أم الخير السياسي ومسوغاته المرتبطة بالعقيدة المذهبية للشيعة، فهي ترى أن عليًا أحق بالخلافة، فهو أمير المؤمنين، وهو الإمام العادل، والوصي الوفي، والصديق الأكبر ، فهي تستعمل مصطلح الإمام لا الخليفة، فضلا عن إشارتها الواضحة إلى مصطلح الوصي، وهو من مرتكزات المذهب

---

[1] سورة الحج، آية رقم1.

[2] سورة محمد، آية رقم 31.

[3] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص43.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشيعي ، ثم يظهر ترابط الموقفين السياسي والمذهبي، بإشارتها الواضحة إلى ضرورة أن يتولى علي رضي الله عنه أمر المسلمين لأنه الحاكم العادل الذي سيقيم الحدود ويهزم الظلم، وهي سمات الحاكم المسلم: "اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرعب. وبيدك يا رب أزمّة القلوب فاجمع إليه الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله. هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والوصي الوفي والصدّيق الأكبر"[1]

وهذه المفردات تظهر في أدب معظم الوافدات على معاوية، فهذه سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية[2]، تعبر عن موقفها المتشيع لعلي، والتأكيد أنه الإمام الحق لدولة الإسلام، وهي تعبر في شعرها عن موقف قبيلتها عامة، حيث تقول مخاطبة أخاها[3]:

(الكامل)

شمِّر كفعل أبيك يا ابــن عمــارة يوم الــطعان وملــتقى الأقرانِ

وانصر علياً والحــسينَ ورهــطه واقصد لــهند وابــنها بــهوانِ

فهي تركز أيضا على أنّ الإمامة في آل البيت، وتخص عليًّا وأبناءه، وهذه من أهم مرتكزات مذهب الشيعة:

إنّ الإمام أخــو النبــي محــمد علم الهــدى ومنارة الإيمــانِ

والحق أن الارتباط المذهبي السياسي واضح جدا في أدب الفرق الإسلامية، سواء أدب المرأة أم أدب الرجل، ذلك أّن المبادئ العقدية التي التزمت بها تلك الفرق غدت مبادئ سياسية، ومتطلبات أساسية يتطلع المنتمون إليها إلى تحقيقها في النظام السياسي للدولة، لذلك كانت

---

[1] انظر الخطبة في ابن طيفور، بلاغات النساء، ص42.

[2] شاعرة من همدان شهدت معركة صفين مع علي بن أبي طالب.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء 1، ص344.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأحزاب السياسية الإسلامية كلها ذات نشأة دينية. ونرى مبدأ التوريث عند الشيعة، فالإمامة وريثة النبوة، ومرتبطة بالقرابة من النبي عليه الصلاة والسلام كما في قول سودة الهمدانية[1]:

(الكامل)

إنَّ الإمامَ أخو النبيِّ محـــمَّد علمُ الهدى ومنارةُ الإيمـــانِ

فَقُدِ الجيوشَ وسرْ أمامَ لوائهِ قُدماً بأبيضَ صارمٍ وســـنانِ

ومن الملاحظ أن الأدبيات الشيعية تركز على مبدأ يقوم على التوريث في النظام السياسي، المرتبط بالشرعية الدينية، فهذه أم الخير بنت الحريش البارقية تركز على هذه القضية في خطبتها:

فإلى أين تريدون ؟ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته، وأبي ابنيه، خلق من طينته...

وتعتمد في صحة ذلك المبدأ في إشارتها إلى الوصاية التي يرونها في حديث الغدير؛ وهو حديث صحيح يحتج به أهل السّنة والمتشيعون لآل البيت. والغدير هو غدير خم، موضع بين مكة والمدينة ، وكانت حادثة الغدير في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، وقد روى الإمام أحمد في مسنده أنّ "رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء 1، ص344.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئا يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة"[1]

فقد استغل هذا الحديث من المشيعين لعلي وآله رضي الله عنهم، إلا أن هذا الحديث لا يعني استخلاف علي رضي الله عنه، فالولاية الواردة تعبر عن علو منزلة علي رضي الله عنه وفضله. وكان ابن تيمية قد أشار إلى ذلك في كتابه منهاج السنة.

فلم يرد في نص الحديث على خلافة علي، إذ لم يرد به الخلافة أصلاً، و ليس في اللفظ ما يدل عليه، ولو كان المراد به الخلافة، لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً واضحا، لا لبس فيه.[2]

إلا أن أدب المناصرات لعلي يصر على توظيف هذ الحديث توظيفا سياسيا، ومع أن الحديث لا ينبئ عن استخلاف علي، إلا أن الشواعر يؤكدن ذلك الاستخلاف.

في الجانب الآخر، نجد أم سنان بنت خيثمة[3] ترثي عليًا، وتؤكد أنه الخلف(الخليفة) لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وتركز على سمة (الوصي)، وهي المفردة المتكررة في أدبيّات العلويات، فتقول[4]:

---

[1] أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني(ت241)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 2004،الحيدث رقم 18502،جزء4، ص281. وانظر صحيح ابن حبان الحديث رقم 6931، وانظر السنن الكبرى للنسائي، الحديث رقم 8419.

[2] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم(ت661هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، 1985، جزء 4، ص84-85.

[3] أم سنان بنت خيثمة: شاعرة أموية. كانت من نصيرات علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وفدت على معاوية تشكو إليه واليه على المدينة مروان بن الحكم، وقالت في ذلك شعراً.(تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، جزء1، ص895).

[4] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن(ت 571هـ)، تاريخ دمشق- تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، 1982، ص350. أم سنان: شاعرة أموية من آل مذحج، من أنصار الإمام علي كرم الله وجهه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الكامل)

قد كنتَ بعدَ محمدٍ خلفًا كـــما أوصـــى إليكَ بنـــا فكنتَ وفيّا

فاليومَ لا خـــلَفٌ يُؤمَّلُ بعـــدهُ هيهـــاتَ نأمـــل بعـــدهُ إنســـيَّا

لكن الغريب في كلام أم سنان أنها تبدو كمن لا يؤمن بأي إمام بعد الإمام علي رضي الله عنه، والحال أن الشيعة يؤمنون بالأئمة من نسل عليّ رضي الله عنه، فكيف هي لا تؤمّل بخلف بعده؟! ربما كان ولاؤها للإمام عليّ فقط، وليست ممن يؤمن باستمرار الإمامة.

وهذه أم البراء بنت صفوان[1]، وكانت ممن عارض معاوية بشدة حتى آخر عمرها، فلم تقبل أبدًا استعطافه حين وفدت عليه، ولم تغير موقفها أو تلين كما فعل بعضهن، كأم سنان مثلًا، إذ قالت الأخيرة لمعاوية عندما ردد شعرها في وفادته لها، "قد كان ذلك يا أمير المؤمنين"[2] وكانت أم البراء من مؤازرات علي في صفين، وقد رثته بشعر شهد له معاوية بالجودة، إذ رأى أن حسان بن ثابت يعجز عنه[3].

(الكامل)

يا للـــرجالِ لِعِـــظْمِ لِهولِ مصـــيبةٍ فُدِحَـــتْ فليسَ مصابُهـــا بالهازلِ

الشـــمسُ كـــاسفةٌ لِفَـــقْدِ إمـــامِنـــا خيرِ الخـــلائق والإمـــامِ العادلِ

يا خيرَ من ركبَ المطيَّ ومن مشى فـــوق الترابِ لمُحتَـــفٍ أو ناعلِ

حاشـــا النبيَّ لـــقد هَـــدَدْتَ قِواعَنـــا فالـــحقُّ أصبحَ خاضـــعًا للباطلِ

---

[1] أم البراء بنت صفوان بن هلال: شاعرة إسلامية. من نصيرات علي بن أبي طالب، لها شعر في مؤازرته في جهاده والسير تحت لوائه، والحث على ذلك. كما أن لها أبياتاً في رثائه.(تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، جزء1، ص895)

[2] انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص530.

[3] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص79.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الجليّ أن القصيدة من الإجادة بمكان، برعت فيها صاحبتها في إظهار هول المصيبة؛ فهي عظيمة لن تهزل ولن تخمد، وهي مما تُكسف الشمس له، ذلك أنّ الفقيد هو خير الخلائق بعد الرسول ﷺ، وذلك بحسب عقيدة الشاعرة. ونجدها خصّت العدل بالذكر من بين صفات الإمام علي الكثيرة، وذلك ربما للتعريض بالظلم الذي نشره الحكام من غير آل البيت.

وكانت قالت شعرًا في صفين تدعو فيه إلى قتال معاوية والانتصار لعلي[1]:

(الكامل)

أجب الإمامَ وذُبَّ تحت لوائهِ وافرِ العــدوَّ بصارمٍ بتــَّارِ

يا ليتني أصبحتُ لستُ قعيدةٍ[2] فأذبَّ عنه عساكرَ الفــجَّارِ

فهي تستنهض الرجال للجهاد بين يدي الإمام علي ضد أعدائه، وتطلب منهم أن يبالغوا في طعان العدوّ بسيوف قاطعة، وتتمنّى أنها ليست بامرأة قاعد أي كبيرة في السن، فتخرج وتجاهد هؤلاء الأعداء الذين تصفهم بالفجّار. وبيتاها هذان قويّا الإيقاع ناسبا أجواء القتال واستنهاض الهمم، ومن مظاهر هذه القوة التضعيف في الألفاظ " ذبّ، بتّار، الفجّار". والبيتان ضمّا أسلوبي الأمر والتمنّي، وكلاهما خدم المعنى المراد، فالأمر خدم معنى الاستنهاض، والتمنّي خدم معنى الولاء والإخلاص للإمام إلى درجة الرغبة الأكيدة في القتال بين يديه.

وتطالب أمّ سنان المذحجية معاوية أثناء وفادته لها، بإصلاحات في سياسة عامله على المدينة مروان بن الحكم، مما يدل على وعي سياسي، فضلًا عن حس ثوري.

---

[1] القلقشندي، أحمد بن علي(ت)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف الطويل، دار الفكر، دمشق، 1987، جزء1، ص 308.

[2] قعيدة: من قَعَدَتِ المرأَةُ عن الحيض والولدِ، تَقْعُدُ قُعوداً وهي قاعد انقطع عنها والجمع قَواعِد. (لسان العرب. مادة قعد).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" إن مروان تبنَّك[1] بالمدينة تبنُّكَ من لا يريد البراح منها، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنّة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين"[2]

ذلك الحوار لأم سنان مع معاوية، هو في حقيقة الأمر نقد لسياسة ابن الحكم، وفيه مطالبة واضحة من الخليفة بإصلاح الأمر. ونراها أوجزت لكنها جمعت شؤون الدين والدنيا في تبيانها فساد سياسة مروان، فهو لا يحكم بما يقتضيه الدين من العدل والصلاح الذي تجسده السنّة النبوية، وهو يلاحق المسلمين ويراقبهم ويترصد لهم الأخطاء ليعاقبهم عليها، ويداهم بيوتهم ويكشف عوراتها وحرماتها، وهذا من شنيع التضييق والقمع.

وهذه سودة الهمدانية، فقد كانت من المشاركات في صفين، وأنشدت شعرًا في تلك الوقعة تشجيعًا للمقاتلين مع علي رضي الله عنه، وتدعو قومها إلى نصرته، وهي تعبّر عن حبه، وترثيه بشعر يجسد سمات الحاكم المسلم فيه، فالإيمان والحق قرينان له رضي الله عنه، فلا غرو أن تصمم على موقفها ذاك حتى بعد وفاته. وهي القائلة في مجلس معاوية[3]:

(البسيط)

صلى الإلهُ على جـــسمٍ تضـــمّنهُ قبرٌ فأصبحَ فيـــه العدلُ مدفـــونا

قد حالف الحقَّ لا يبغي به بـــدلاً فصار بالحقِّ والإيمانِ مقـــرونا

وكذلك تخصّ سودة العدل بالذكر من بين صفات الإمام الكثيرة، كما هو عند أم البراء بنت صفوان، للسبب نفسه الذي ذكرنا، وهو التعريض بظلم الأمويين، وتذكر الحقّ وأنه حليف

---

[1] . تبنّك: أقام وتمكّن.(لسان العرب. مادة بنك).

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص69.

[3] انظر ابن طيفور، بلاغات النساء، ص36.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للإمام ملازم له، متناصة في ذلك مع الحديث النبوي:"علي مع الحق، والحق مع عليّ، يدور حيثما دار" [1]

ومن الوافدات كذلك بكارة الهلالية، وهي لا تختلف في موقفها عن أم الخير والزرقاء، إلا أنها عبّرت عن ذلك الموقف السياسي شعرًا لا نثرًا، ومن شعرها[2]:

(الكامل)

أترى ابنَ هندٍ للخلافةِ مالــكاً هيــهاتَ ذاكَ وما أراد بــعيدُ

منَّتكَ نفسُكَ في الخَلاءِ ضلالةً أغراكَ عَمرو للشَّقا وسَــعيدُ

فارجِع بأنكدِ طائرٍ بنــحوسِها لاقَتْ علــيًّا أســعُدَ وسُــعودُ

فهي تتبنى موقفا سياسيا مناهضا لمعاوية رضي الله عنه كما يبدو جليّا في شعرها، فهي لا ترتضيه خليفة للمسلمين، وتومئ إلى أمه (هند بنت عتبة) وتعرّض به من خلالها، لاسيّما موقفها من حمزة رضي الله عنه وما صنعته بعد مقتله، و تشير كذلك إلى بعض مؤيدي الأمويّين الذين أشاروا على معاوية بالمطالبة بالخلافة، أمثال عمرو بن العاص وسعيد بن أبي العاص، وهي تستنكر وتسخر منهما، فهما- بنظرها- مستشارا السوء، لذا نجدها تدعو عليهم جميعًا بالنحس والنكد.

ومن الواضح أن بكارة قالت أبياتها هذه في حياة الإمام علي قبل تولّي معاوية للخلافة، فهي تستبعد عليه ذلك، بل تراه ضربًا من المستحيل، لأنها ترى أن المسلمين لن يقبلوا به خليفة أبدًا، لما في ذهنها من التصور حول مواقف آل أبي سفيان في مواجهة الإسلام والرسول ﷺ منذ بداية الدعوة وحتى فتح مكة، حيث كانوا من الطلقاء الذين عفا عنهم الرسول ﷺ بحكم تسامحه

[1] سنن الترمذي: 5\592 حديث رقم 3714 ، مستدرك الحاكم النيسابوري:3\134 حديث رقم 4629.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص40.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشديد وأصالة معدنه. وبعد ذلك مواقفهم من آل البيت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وهو من الأمويين، حيث اتهم معاوية عليًا بالتقصير في حماية عثمان رضي الله عنهم، وهنا بدأت الفتنة الكبرى التي راح ضحيتها عشرات آلاف المسلمين.

بكارة استبعدت أن يتولى معاوية الخلافة، لكن السنوات مرت وتولّى معاوية، وأسّس دولة الأمويين التي استمرت ما ينوف عن التسعين عامًا، وكان أن تطاول العمر ببكارة فشهدت ذلك، وكانت تتألّم لذلك شديد الألم والحسرة والقهر، لما تكنّه للأمويين من المقت الشديد، فكيف وقد سنّ الأمويون سنة السبّ لإمامها عليّ رضي الله عنه على المنابر، فكان ذلك مما زاد ألمها فتمنت لو أنها ماتت وقضت نحبها قبل أن تشهد هذه المصيبة. تقول بكارة[1]:

(الكامل)

قد كنتُ آملُ أن أمــوتَ ولا أرى ... فوقَ المنابرِ من أميَّة خاطــبا

فــاللهُ أخــرّ مُدتــي فتــطــاولَتْ ... حتّى رأيتُ من الزَّمانِ عجائبا

فــي كلِّ يــومٍ لا يزالُ خــطيبُهُمْ ... وسْط الجموعِ لآلِ أحمدَ عائباً

فقولها: " من أمية" أي بني أمية قاطبة، فهي لا تفرّق بينهم في المقت والرفض، وتقول إن الله أخّر مدتها، أي عمرها، حتى رأت العجب العجاب، وهو شتم عليّ رضي الله عنه وتنقيصه في كل يوم وسط الجموع، وهو من هو في الفضل والمكانة والقرب من الرسول ﷺ، وهو رابع الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المبشّرين، وأول الصبيان إسلامًا، والفادي لرسول الله النائم في فراشه في الهجرة، وبطل بدر وأحد وحنين، فكان الموت أمنية صادقة من بكارة حتى لا تشهد هذه المصيبة الجلل. واللافت أن بكارة ذكرت أن السب والتنقيص ليس لعلي وحسب، بل لآل أحمد عامة، وهي تعمّدت أن تقول آل أحمد، وليس آل البيت، لا لإقامة الوزن فحسب،

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص40.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بل لإبراز فظاعة وشناعة فعل الأمويين في سبّهم آل خاتم الأنبياء والمرسلين الذين أمر الله بودّهم ومحبتهم.

ومن الوافدات على معاوية المواليات لعلي الدارمية الحجونية[1]، وهي تضع أسباب تأييدها وولائها ومعارضتها لمعاوية ودولته في حوار أدبي جميل. وهي مسوغات تعبر عن وعي سياسي، وعن اعتقاد مذهبي. فترى عليا أحق بقيادة أمر المسلمين، لأنه صاحب الولاية، وفي ذلك إشارة إلى حديث غدير خم، الذي جعل الولاية لعلي رضي الله عنه، وأنّ الرسول ﷺ قد أعلنها في حشد ضخم من الصحابة ممن صحبوه في حجة الوداع، وتحتج الشيعة بذلك وترى أنه من غير المعقول أن الرسول ﷺ يحشد آلاف الصحابة ويقف بهم خطيبًا ليعلن أن عليّا حبيبه وناصره وله المكانة والاحترام فقط، فذلك شيء معروف مؤكّد منذ فجر الدعوة، إلا أني أرى – وهي عقيدة أهل السنة – أن تلك الولاية الواردة في الحديث لا يقصد بها الخلافة كما استغلتها الخطيبة الشيعية، لكن الفضل والمحبة. المهم أن الخطيبة أرادت أن تؤكّد أن صفات الإمام علي هي صفات الحاكم المثالية التي ينبغي توافرها في الحاكم المسلم، والتي تدعم فيها الخطيبة مسوغات ولائها السياسي لعلي رضي الله عنه.

فقد سألها معاوية: "علام أحببت عليا وأبغضتِني، وعلام والَيْتِه، وعاديتِني؟"

قالت: "... فإني أحببت عليًّا على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، ووالیت عليًّا، عليه السلام ، على ما عقد له

[1] الدارمية الحجونية: امرأة من قريش من بني كنانة.(ابن طيفور، بلاغات النساء، ص76).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية، وحب المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا". [1]

فالتركيز على العدل في المقام الأول من بين صفات علي، هو ما تشترك به هؤلاء النسوة الشيعيات كلهنّ، وللسبب نفسه يبدو، فهنّ يردن أن يقلن أنه وسط الظلم الشديد وعدم الإنصاف والمساواة فأول ما يُفتقد العدل الشديد، ويُفتقد الحاكم العادل، ويكون فقده مصيبة ما بعدها مصيبة. وهي تؤكّد قصة الولاية وغدير خمّ، لأن العقيدة الشيعية قائمة عليها ومنبثقة منها، فلا يفتأ الشيعي يذكر ذلك في ليله ونهاره، وفي حله وترحاله.

وها هي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، وهي ابنة عم الرسول ﷺ، تفد على معاوية، ولا غرو أن تبقى على موقفها، فهي قريبة آل البيت، وابنة عم علي رضي الله عنه أيضًا، وهي كسائر المتشيعات لعلي كنّ يؤمنّ بأحقيته في الخلافة، وذلك لمسوغات أبرزنها في أدبهن نثرًا أو شعرًا، فهو الأسبق إلى الإسلام، وهو الوصي، وهو المثالي في كل صفاته التي تخوله لهذا المنصب. وها هي أروى لا تبتعد عنهن في ذلك.

فهي تعبّر عن موقفها السياسي صراحة حتى أثناء وفادتها على معاوية، فهي تراه غير مؤهل لمنصب الخلافة، وقد أخذه بغير حق، فلم يكن رضي الله عنه وأهله من السباقين إلى الإسلام، وهي تذكّره بالمعارك الأولى بين الإسلام والشرك، وكأنها تريد أن تقول له: لا يحق لك ولاية أمر المسلمين، وإدارة شأن الإسلام الذي حاربه أهلك في بدايته، فأهل البيت هم أصحاب الأحقية في تلك الولاية، تقول أروى:

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص76.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"تسميتَ بغير اسمك، وأخذتَ غير حقك، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام؛ ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه. فأتعس الله الجدود، وصغر منكم الخدود، حتى رد الله الحق إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبينا محمد صلى الله عليه هو المنصور على من ناوأه ولو كره المشركون...فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً... " [1]

فأروى تعتمد على الحجاج التاريخي والمهارة الخطابية في جدال معاوية، وتفنيد حجته في استحقاقه للخلافة، فتستحضر تاريخ عائلته في مجابهة الإسلام، في قبال نضال عائلتها، بني هاشم، في نصرته وتوطيده. وهي تستنكر عليه أنه تسمّى بإمرة المؤمنين، واستولى على ما ليس له من قيادة الأمة، دون جهد منه ومن عائلته في نصرة الدين، بل إن جهدهم كان في عكس ذلك، وتذكر انتصار الرسول ﷺ عليهم في نهاية المطاف بعون من الله وفضل، وهم لذلك كارهون، ثمّ تبدأ بتعداد فضائل أهل البيت وجهودهم في سبيل الدين والحق.

الخطبة تشتمل على السجع في بعض أجزائها، لا كلّها، فلم تدع الخطيبة السجع يقيّدها، بل تحررت منه حين تطلّب المعنى ذلك، وهذا دال على الصدق. كذلك نلحظ تأثّرًا بالقرآن الكريم، مثلا في قولها: " وكانت كلمة الله هي العليا" و" ولو كره المشركون". ونلحظ نبرة الفخر والاعتزاز عند أروى بقومها في قولها: " فكنّا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظًا ونصيبًا وقدرًا .." وهي هنا تركّز على التميّز الديني لا الدنيوي، في قولها: "في الدين"، وهي التفاتة دقيقة منها، ومن جانب آخر نجدها في العبارة نفسها حشدت ثلاثة ألفاظ "حظا نصيبا قدرا" يُظنّ فيها الترادف للوهلة الأولى، لكني أظن أنّ كلًا منها يحمل معنى خاصًا ينطوي على فضيلة في الدين.

[1] ابن عبد ربه، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد(ت 463هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982، العقد الفريد، جزء1، ص352؛ وابن طيفور، بلاغات النساء، ص32.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثم ها هي تبرز وهن موقف معاوية ، لإبعاد أنصاره عنه، وشحذ همم فريقها عليه، حتى أنها رأت صفين بدرًا أخرى بين الحق والباطل، إذ تقول[1]:

"إنَّ معاوية دلف إليكم بعجم العرب، غلف القلوب، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه، فالله الله عباد الله في دين الله، وإياكم والتواكل، فإن ذلك ينقض عرى الإسلام، ويطفئ نور الحق، هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى..."

وها هي أم الخير البارقية تتابع دفاعها عن موقفها السياسي الداعم لعلي، فتضع الحجج القوية، فهي لا تتخذ موقفًا دون أسباب، فعليّ صاحب الأحقية لأنه لم يكن الولي والوصي وحسب، بل هو الرحم القريب، ومن السابقين إلى الإسلام، والمسهمين الأوائل في تثبيت دعائم دولته الفتية، فلا بد من الاستبسال في سبيل إحقاق الحق، وإعطائه لأصحابه.

"فإلى أين تريدونَ رحمكم اللهُ عن ابن عم رسول الله، وليّ الله، وزوج ابنته، وأبي ابنيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته... ها هو مفلق الهام ومكسر الأصنام. إذ صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد وفرّق جمع هوازن"[2].

وقد أشارت أم الخير في خطبتها إلى حديث الباب، فأرادت أن تحتج له رضي الله عنه بحديث الرسول ﷺ، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ". وقد صححه أبو الحاكم في مستدركه على الصحيحين[3].

---

[1] ابن عبد ربه،العقد الفريد،جزء1، 125.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص43.

[3] انظر الحاكم، أبو عبدالله (ت405هـ)، المستدرك على الصحيحين، الحديث رقم 4637، 2005.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلا أنه ليس في هذا الحديث أية إشارة إلى الخلافة، وإنما يدل على فضل علي رضي الله عنه ومنزلته العلمية.

ثم نلحظ أن أم الخير البارقية توجه الصراع السياسي في ذلك الوقت إلى وجهة قبلية جاهلية[1]:

" إنّها إحنٌ بدرية، وأحقادٌ جاهليّة، وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس". تقتبس من القرآن الكريم الآية: "فقاتلوا أئمة الكفر؛ إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون"[2]. ويتضح في كلام أمّ الخير هدف واضح، وهو رغبتها في القضاء على معاوية وأنصاره في الصراع الذي كان دائرا بين الفريقين.

وهي تشير إلى وقائع الصراع الذي شهدته الدولة الإسلامية مع قريش في بداية تشكلها كغزوتي بدر وأحد، وما نجم عنهما من تأجج الصراع بين معسكري الإسلام والشرك، وذلك في معرض حثها فريقها على الاستبسال في نصرة علي رضي الله عنه.

ويعلق أبو شقرا على أم الخير في أدبها لاسيّما خطبتها في صفين وحوارها مع معاوية، بأنها تعبر عن مكانة المرأة العربية المسلمة في الأدب والبلاغة والفصاحة، فقد تمتعت بالبراعة في التعبير، والرجاحة في التفكير، والقوة في الحجة والجرأة، تنادي بالحق أينما حلت دون مواربة أو تصنع، ففي ذلك الحوار مع معاوية وجهت له نقدا لاذعا أزعجه. وهي خطيبة بليغة كان ينتظر كلامها وخطبها الأدباء ورجال الفكر، ويحفظونه بأدق تفاصيله، ويرددونه بعدما ينسبونه إلى صاحبته، إمعانا في إضفاء مزيد من العمق والأهمية عليه.[3]

---

[1] سورة التوبة، الآية رقم 12.

[2] انظر ابن طيفور، بلاغات النساء، ص42.

[3] أبو شقرا، كلود، نساء عربيات، شركة المطبوعات ، 1995، بيروت، ص27، 28، 29.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولأم الهيثم بنت العريان النخعية قصيدة مؤثرة في رثاء علي رضي الله عنه، تقول فيها:[1]

(الوافر)

ألا يا عينُ ويــحكَ أسعدينــا	أَلا تــبكي أمــيرَ المؤمنــينَا
وتبــكي أم كــلثــوم عليــهِ	بعَبرتــها وقــد رأتِ اليــقينَا
ألا قلْ للخوارجِ حيثُ كــانوا	فلا قــرَّتْ عيــونُ الشامتينَا
أَفِي شهرِ الصِّيامِ فَجعــتمونَا	بخــيرِ النّاسِ طــرًّا أجمعينَا
قتلتم خيرَ من ركبَ المــطايَا	وذلَّلَــها ومن ركــبَ السفينَا
ومن لبسَ النِّعالَ ومن حَذَاها	ومــن قرَأ المثــانِيَ والمئِينا
فكل مناقب الخــيراتِ فــيهِ	وحِــبُّ رسولِ ربِّ العالمينَا
كأنَّ النــاسَ إذ فقــدوا عليًّا	نَعــامٌ حارَ فــى بلدٍ سنيــنَا
لقد علمت قريش حيــث كانت	بــأنك خــيرها حسباً وديــنا
وإذا استقبلت وجه أبي حسينٍ	رأيت البدر فــوق النــاظرينا
وكنــا قــبل مقــتله بــخيرٍ	نرى مولــى رســول الله فينا
فلا تَشمتْ معاويةَ بن صخرٍ	فــإنَّ بقيــةَ الــخلــفاءِ فينَا

والقصيدة تظهر ولاءها الخالص لعلي، وتقرّع فيها الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي وقتلوه، وتنذر معاوية رضي الله عنه بأن الخلافة ستؤول إلى أبناء علي رضي الله عنهم.

والقصيدة غنية بالكنايات مثل "شهر الصيام" " خير من ركب المطايا" "المثانِي والمئِينا"، والتصوير مثل " كأن الناس إذ فقدو عليّا نعام حار في بلد سنينا" ، والقصيدة قوية السبك، متينة

[1] ابن عبد البر، الاستيعاب، جزء 3، ص1132، وانظر النويري، نهاية الأرب، جزء 20، 132، وانظر المزي، يوسف أبو الحجاج(ت742هـ)، مؤسسة الرسالة بيروت، 1980، جزء20، ص489.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العبارة، تدلّ على شاعرة مجيدة، وهي ذات إيقاع حزين سريع، بنتها الشاعرة على بحر الوافر، وجاءت قافية النون مع الإطلاق لتشيع مزيدًا من التأوه والحزن، وكذلك الإباء والثورة.

ويظهر دور المرأة العلوية في التعبير عن موقفها السياسي المعادي للأمويين لاحقًا بعد مقتل الحسين سنة 61هـ في عهد يزيد بن معاوية. فهؤلاء نساء آل البيت ينتقدن سياسة يزيد علانية، ويعبّرن عن موقفهن دون خوف أو مواربة.

فتلقي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب خطبة في أهل الكوفة بعد معركة كربلاء ومقتل أخيها الحسين، وتحمّلهم فيها مسؤولية خذلانه والتخلي عنه في صراعه مع عبيدالله بن زياد مما أدى إلى مقتله وآل بيته الكرام:

"يا أهل الكوفة، يأهل الختر والخذل، فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنة، إنّما مثلكم كمثل "التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم"[1]. ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف[2]، وملق[3] الإماء، وغمز الأعداء؟ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة، وكقصّةٍ على ملحودةٍ[4]، "ألا ساء ما قدمت أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون"[5] أتبكون؟ إي

---

[1] سورة النحل، الآية رقم 92.

[2] الشنف: البغض والكره.

[3] ملق: من يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. لسان العرب مادة (ملق).

[4] قول أم كلثوم في وصف أهل الكوفة: "كقصةٍ على ملحودة"" والقصة تعني : الجَصّ، فقد شَبَّهت أم كلثوم أَجسامَ أهل الكوفة بالقبور المتخذة من الجَصّ، فهم كجِيَف الموتى التي تشتمل عليها القبورُ. (انظر لسان العرب، مادة قصص.

[5] سورة المائدة، الآية رقم 80.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والله فابكوا، وإنكم والله أحرياء بالبكاء "فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا"[1] فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها[2] بغسل بعدها أبدا".[3]

يبرز المنحى الاستدلالي بالقرآن الكريم في خطبة السيدة أم كلثوم، فقد استحضرت ثلاث آيات كريمة دعمت بها أفكارها، فجاءت منسجمة مع سياق الخطبة أيّما انسجام. واهتمت بالتشبيه لتوضيح المعاني، نحو قولها: " وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة، وكقصّةٍ على ملحودةٍ"، فهما تشبيهان ينطويان على قدر كبير من التوبيخ والذمّ، فهي تستنكر خذلانهم لسبط رسول الله ﷺ، ولأنّ أم كلثوم تستشعر فداحة المصاب وعظمته فقد أظهرت هذا المستوى من التوبيخ والذم لهم والحنق عليهم في صورة لم يعهدها الناس من أهل بيت النبوة.

وهذه أختها زينب بنت عليّ تلقي خطبة طويلة، تستنكر فيها سياسة يزيد، ومنها:

"أمن العدل، يا بن الطلقاء، تخديرك نساءك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله؟ قد هتكت ستورهنّ، وأصحلت صوتهنّ مكتئبات، تخدي بهن الأباعر، ويحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد. ...وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة[4]، بإهراقك دماء ذرية رسول الله، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولتَردنّ على الله وشيكا موردهم، ولتودنّ أنك عميت وبكمت، وأنك لم تقل: "فاستهلوا وأهلوا فرحا، اللهم خذ بحقنا، وانتقم لنا ممن ظلمنا"[5].

---

[1] تناص مع الآية الكريمة"فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا"، سورة التوبة، آية رقم 82.

[2] الرَّحْضُ: الغَسْلُ، رَحَضَ يَدَه والإِناء والثوب وغيرها يَرْحَضُها ويَرْحُضُها رَحْضاً غسلها.(لسان العرب، مادة رحض).

[3] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 28، وانظر الآبي، نثر الدر، ص 29.

[4] الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب. ويقال: استأصل الله شأفته، أي أذهبه الله كما تذهب تلك القرحة بالكيّ.

[5] صفوت، أحمد، زكي، جمهرة خطب العرب، جزء1، ص373.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فزينب كما يظهر، تقرّع يزيد وتشنع عليه ما فعله بحريم الحسين، وتعيّره بعفو الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم يوم فتح مكة بأنهم من الطلقاء، ليسوا بالمهاجرين ولا بالأنصار، وتنذره سوء عاقبة فعلته يوم القيامة. ثم تحمّل المسؤولية للرعية الذين خذلوا الحسين، وتقصد أهل الكوفة الذين خذلوا الحسين، فبخذلانهم له مكّنوا يزيد من الخلافة:

"وسيعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين. إذا كان الحكم لله، والخصم محمد، وجوارحك شاهدة عليك... فبئس للظالمين بدلا."[1]

فزينب، شأنها شأن أختها أم كلثوم، وريثة البلاغة العلوية السامقة، تدهش السامع لها برفيع بيانها، وتأخذ بلبّه، فلا يدري أبالمضمون هو أشد تأثّرًا أم بالأسلوب. فالخطبة محكمَة متينة، تتحادر إلى الأسماع والنفوس كتحادر الألحان المتوائمة، تُحدث أبلغ التأثير، وتشدّ السامع إليها شدًّا. وهذا لما فيها من الجزالة والقوة، وحضور الفكرة الواضحة، مشفوعة باللفظ الموافق المؤدّي لتمام المعنى، دون زيادة أو نقصان.

وهكذا رأينا كيف بدت المرأة العلوية ذات موقف سياسي من الدولة الأموية، فقد ناهضتها بشدة، وناصرت عليًا وآل البيت عامةً، متخذة من أدبها وسيلة للتعبير عن هذا الموقف.

ثانيا: المرأة والاتجاه الأموي

وفي مقابل المرأة العلوية نجد المرأة المؤيدة للأمويين والمدافعة عن سياستهم، الحريصة على نصرة الدولة الأموية وبقائها، سواء أكانت أموية النسب كنساء الخلفاء، اللواتي تمتعن بحظوة ومكانة سياسية، لما بدر منهن من وعي سياسي ورؤية ثاقبة، أمثال عاتكة بنت يزيد، وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، أم كانت أموية الولاء، كليلى الأخيلية التي برز دورها المساند

[1] صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، جزء1، ص373.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للأمويين منذ مقتل عثمان رضي الله عنه، فقد رثته، وبايعت معاوية ومدحته، ودافعت عن الحجاج، موجهة شعرها السياسي في هذا الشأن لدعم دولة بني أمية. ونجد كذلك توظيفا للمرأة الأموية في الشعر بقصد الهجاء السياسي، كما فعل عبدالله بن همام السلولي، والذي سنتناوله في فصل النماذج المختارة.

يظهر دور المرأة الأميرة في بلاط الخلفاء الأمويين المروانيّين بصفة خاصة، ولعل أبرزهن عاتكة بنت يزيد بن معاوية، زوج عبد الملك بن مروان، وأم البنين بنت عبد *العزيز* بن مروان، زوج الوليد بن عبد الملك.

ففي وصية تقدمها عاتكة إلى عبد الملك حين أراد التوجه إلى العراق بجيشه لمحاربة مصعب بن الزبير:

"يا أمير المؤمنين وجه الجنود، وأقم، فليس الرأي أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه".[1]

فهذه الوصية شاهدة على أن المرأة كانت تُستشار في شؤون السياسة والحرب في هذا العصر، وكان لها رأي ناهض يتسم بالحكمة والوعي، فقد أشارت عاتكة على ولي الأمر بما رأته خيرًا للصالح العام، لأن إصابة الخليفة تعني اضطراب الدولة وربما القضاء عليها، وعاتكة كما يبدو صاحبة حظوة ومكانة، وصوتها مسموع، ومشورتها منبثقة من وعي سياسي.

ويذهب عبد القادر حرفوش إلى أنّ عاتكة لم تكن مقتنعة بحرب عبد الملك لابن الزبير، لذا حاولت ثنيه عن ذلك الأمر، وهي ذات شخصية متماسكة، وعقل متزن.[2]

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، جزء19، ص130.

[2] حرفوش، عبد القادر، فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام، دار كنان، دار البشائر، دمشق، 1994، ص176.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد كانت أمّ البنين من ربات الفصاحة والبلاغة والبيان، شهد لها كبار عصرها خصوصًا عندما قارعت بأجوبتها حجة الحجاج بن يوسف، وأفحمته بكلام مبين.[1]

وكان للحجاج موقفً مع أم البنين حين أشار على الوليد بن عبد الملك بالامتناع عن مجاذبة النساء سياسة الملك وتدبير الحروب. فكان أن طلبت من الوليد أن يأتيها الحجاج لتناقش معه الأمر.

وكان لها معه الحوار التالي:

"إيه يا حجاج! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبدالله بن الزبير وابن الأشعث؟ أما والله لولا أنك من شرار خلقه، ما ابتلاك برمي الكعبة، وقتل ابن ذات النطاقين، أول مولود في الإسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء، وبلوغ أوطاره منهن، فإن كنّ ينفرجن عن مثلك، فما أحقه بالأخذ عنك، وإن كن ينفرجن عن مثله، فغير قابل لقولك. أما والله لقد نفض كساء أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهم. بعثك في أعطية أهل الشام، حتى كنت في أضيق من الفرق، قد أظلتك رماحهم، وأثخنتك صفاحهم، وحتى كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين إلا بحبهم إياه".[2]

ويدل حوار أمّ البنين مع الوليد ومع الحجاج على دورها السياسي في بلاط الخليفة، وصوتها المسموع، فإشارتها على الوليد بعدم الاطمئنان لمشورات الحجاج يظهر وعيها بما يحيط بالدولة من مخاطر واضطراب سياسي، يرتبط بامتعاض الرعية من سياسة الحجاج، فضلًا عن أن نصيحة الحجاج للخليفة بعدم مجاذبة المرأة في السياسة، دالٌّ على أن الخليفة كان يستشيرها ويأخذ برأيها، لما لها من عقل راجح ورأي وازن.

---

[1] أبو شقرا، كلود، نساء عربيات، ص19.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ، جزء2، ص 217، وانظر عبدالله عفيفي، المرأة في جاهليتها وإسلامها ، الجزء الثاني، ص47، ٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأمّا حوارها مع الحجاج الدال على بلاغتها العالية، فهو يدل على وعيها السياسي وثقافتها الواسعة، فقد أسكتت الحجاج، ولم تدع له فضلًا في تدبير سياسة الدولة، بل إنّها وجهته إلى بعض أخطاء سياسته، كقتل ابن الزبير رضي الله عنه، وعزت بعض مكاسبه السياسية إلى حب الرعية للخليفة لا لحكمة الحجاج أو سياسته.

ومن النساء المواليات لبني أمية الوافدات على خلفائهم، وذوات الاعتقاد السياسي، ليلى الأخيلية[1]، فقد رويت لها مواقف مؤيدة للأمويين، ولها أبيات في رثاء عثمان رضي الله عنه، وهي من مؤيدي معاوية ومناصريه، كما يظهر في شعرها الذي تمدحه فيه، ولها مواقف احتجاجية ضد بعض الأحزاب السياسية كالزبيريين مثلًا، ولها مواقف مشهورة مع الحجاج، وهي من مناصرات الحجاج بقوة وأشعارها فيه دليل على ذلك[2].

ويظهر تأييد ليلى للأمويين منذ مقتل عثمان، فقد سارعت إلى رثائه، متنبئة بالخطر المحدق بالأمة إثْر مقتله[3]:

(البسيط)

أبَعْدَ عثمانَ ترجو الخيرَ أمَّتُـــهُ ... قد كان أفضلَ من يمشي على ساقِ

خليفةُ اللهِ أعطـــاهم وخوَّلـــهم ... مـــا كـــانَ مـــن ذهبٍ جمٍّ وأوراقِ

في هذين البيتين تظهر الأخيلية ولاء شديدًا للخليفة المقتول، فهي تراه أفضل من يمشي على ساق، وفي قولها هذا كناية عن خيريته، أي خير الناس، وتركّز في ذكر فضائله على العطاء والجود، فتقول إنه بالغ في أعطياته لهم من الذهب والفضة، واستعملت كلمة قرآنية هي

---

[1] ليلى الأخيلية: ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، الأخيلية، من بني عامر بن صعصعة: شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير.

[2] انظر ليلى الأخيلية(ت 80هـ)، الديوان، جزء1، ص56.

[3] ليلى الأخيلية، الديوان، جزء1، ص35.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"جمّ" للدلالة على كثرة الذهب المعطى. كما أنها تنسب الأمة إليه، شأنه شأن الرسول ﷺ، وربما قصدت بذلك رعيته، أو المسلمين عامة من بعده، وتصفه بأنه خليفة الله، وفي هذا تبيان لمكانته من جهة، وفداحة مقتلة من جهة أخرى.

ثم نجدها في أبيات أخرى تطالب معاوية بالثأر من قاتلي عثمان، الذي تتحسر عليه، فهو الإمام، وموته كارثة على المسلمين، فقد ضاع أمرهم، مؤكدة تعرض الأمة لفتنة كبيرة بعده:

(مجزوء الكامل)

قُتــل ابــنُ عفّــانَ الإمــا ... مُ فضــاعَ أمرُ المــسلمينا

وتشتَّــتْ سُبــلُ الــرَّشــا ... دِ لصــادِرينــا وواردِيــنا

فانهــضْ معاويَ نهضــةً ... تَشــفي بها الــداءَ الدفيــنَا

أنتَ الــذي مَــن بَــعــْدَهُ ... نــدعو أمــيرَ المــؤمنينا[1]

وفي قولها: " تشفي بها الداء الدفينا" إلماح إلى الصراع القديم بين الأمويين وحلفائهم من جهة وخصومهم من جهة أخرى، وأنه لا بد من إشفاء الغليل بالثأر، وهي لا تعترف بغير معاوية أميرًا للمؤمنين، لأنها ترى أنه قد تشتّت سبل الرشاد للصادرين والواردين، وفي ذلك كناية عمن تراهم عابثين بأمر الدين.

وربما أن موقف ليلى السياسي تجاه الأمويين، ورثائها لعثمان، قد يكون عائدًا إلى موقف قبيلتها (بني عامر) السياسي، كما ترى مها مبيضين إذ كان هواهم عثمانيا، واتضح ذلك عندما مال القيسيون، ومنهم بنو عامر، إلى المطالبين بدم عثمان بعد مقتله.[2]

---

[1] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد البجاوي، ،جزء 3، 1922، ص 1051.

[2] مبيضين، مها، ليلى الأخيلية الوالهة الحرى شاعرة العصر الأموي، الأهلية للنشر والتوزيع،2011،ص62.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فدورها سياسي قبلي؛ وعبّرت عن جانب من موقف قبيلتها بني عامر في الصراع الدائر على الحكم.[1]

إذًا، مارست المرأة الأموية دورها السياسي بكل قوة وجرأة وعبرت عن رؤيتها السياسية، فتجادلت مع الخلفاء والولاة، وخالفتهم في بعض آرائهم السياسية متخذة فصاحتها وبلاغتها وسيلة في التعبير عن تلك الرؤية، كما رأينا في حوار عاتكة مع عبد الملك، وحوار أم البنين مع الحجاج. وكذلك كانت المرأة الشاعرة الموالية للأمويين تتخذ من شعرها وسيلة للتعبير عن دعمها لهم بمديحها ورثائها لزعمائهم، كما صنعت ليلى الأخيلية. كما وظفها بعض الشعراء في شعرهم تعبيرًا عن مواقفهم السياسي من الدولة الأموية.

ثالثا: المرأة والاتجاه الخارجي

ونجد في العصر الأموي المرأة الخارجية، التي شاركت بقوة في نصرة حزبها، الذي يعد من أوائل الأحزاب السياسية في العصر الأموي، إذ نشأ على خلفية رفض التحكيم في صفين. وقد صارعت المرأة الخارجية في سبيل نصرة حزبها، الذي آمنت برؤيته ومبادئه، صراعًا مريرًا، فكانت مقاتلة شرسة، وخطيبة مفلقة، وشاعرة محركة ومحفزة لذاتها وللخوارج على التفاني في سبيل معتقدهم الديني السياسي. ومنهن البلجاء، وعميرة زوج مجاشع البكري، وزوج نافع بن الأزرق وغيرهن كثير.

كانت المرأة الخارجية ذات دور واضح في نهضة حزبها، فقاتلت قتالا مستميتًا في سبيل نصرته ونشر مبادئه، وكانت ذات عزيمة قوية، حتى إذا فترت عزيمة الرجل الخارجي كانت له بالمرصاد تحثه وتدفعه إلى الانتصار لفكر فرقتها، أمثال امرأة نافع بن الأزرق، بل حتى الرجل

[1] ليلى الأخيلية الوالهة الحرى، ص ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخارجي نفسه كان يعدّها قدوة له، كالبلجاء التي كانت مثلًا للتفاني والتضحية عند الخوارج، بل إنّ المرأة الخارجية أغرت بعض الرجال وحرفتهم عن انتماءاتهم الدينية والسياسية، كما حصل مع عمران بن حطان، الذي تحوّل عن مذهب السنّة والجماعة إلى فكر جمرة الخارجية بتأثير منها. وقد كان للمرأة الخارجية شعر، جوهره وأساسه التضحية والتفاني في سبيل نصرة هذا الفكر وزيادة مريديه، فضلًا عن شعرها في رثاء بعض زعماء مذهبها، يتسم بالحزن والأسى عليهم، إلا أن الشواعر الخارجيات، مع إظهارهنّ الحزن على القتلى، كنّ دائما يجدّدن العزيمة ويلهبن مشاعر الرجال، للاستمرار في السير على نهج أولئك الزعماء.

ونجد المرأة الخارجية ضحّت بالاستقرار والأمان، والحياة الزوجية الهانئة في مقابل الانتصار لرأي الخوارج الذي آمنت به، فسعت إلى نصرته في ساحة المعركة وفي ميدان الأدب. فهذه عميرة زوج مجاشع البكري تكتب له شعرًا يعبّر عن إصرارها على موقفها في البقاء مع الخوارج ونصرتهم بعد أن حاول ثنيها عن ذلك، تقول:

(الكامل)

أبلغ مجاشعَ إن رجــعتُ فإنــني ... بين الأسنّةِ والــسيوفِ مَقيلي

أرجو السعادةَ لا أحدثُ ساعــةً ... نفسي –إذا نــاجيتُها– بقَفــولِ

ووهبتُ خِدري والفراشَ لكاعبٍ ... في الحيِّ ذاتِ دمالج وحجولِ[1]

ويظهر من الأبيات أن عميرة تربط رجوعها إلى مجاشع بموافقته على الطريق الذي سلكته نصرة لعقيدة الخوارج، فهي ترى في هذا السعادة والفلاح، وتقول إنّها وهبت خدرها وفراشها لبنت كاعب شابة ذات زينة وترف، وهذا كناية عن خروجها ونضالها لنصرة عقيدتها.

[1] معروف، نايف، ديوان الخوارج، دار المسيرة، بيروت، 198، ص150.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجميلةٌ كنايتها حين قالت: "بين الأسنة والسيوف مقيلي" أي في سوح المعارك والقتال. وبرعت الشاعرة حقًّا في بناء أبياتها لتعبّر عن مرادها بجمال وإبداع. نحو التقديم والتأخير في قولها: "لا أحدث ساعة نفسي – إذا ناجيتها – بقفول"، فقدمت ظرف الزمان (ساعة) على المفعول به (نفسي)، ووسّطت الجملة المعترضة (إذا ناجيتها) بين الجملة الفعلية وشبه الجملة المتعلقة بها (بقفول). وفي هذا الملمح التركيبي البلاغي دلالة على براعتها في السبك الشعري، ويبدو جليًّا إحكام النظم ومتانة العبارات في البيتين الآخرين.

وهذه البلجاء الخارجية وهي من المجتهدات في خارجيّتها، وهي امرأة من بني حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.[1] وقد صبرت صبرًا يعجز عنه الرجال، وكانت تنتقد الوالي عبيدالله بن زياد علانية، في حين كان يحثها زوجها مرداس بن أديّة، وهو من زعماء الخوارج، على الاستتار، فتأبى حتى أمر ابن زياد بقتلها، وكان قد قطع أوصالها، وسمل عينيها قبل قتلها، ولما همّ بذلك، قالت[2]:

"الحمد لله على السراء والضراء، وعلى العافية وعلى البلاء، كنت أؤمل في الله ما هو أكثر من هذا" ولما حمست بالنار، قالت: "حياة كريمة وميتة طيبة، لأني نلت ما أملت من جزيل ثواب الله. يا نفسي لقد نلت سرورًا دائما لا يضرك معه كدر عيش، ولا ملاحاة الرجال في الدار الفانية"

---

[1] انظر المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(ت285)،الكامل في اللغة والأدب، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، جزء 3، ص181.

[2] التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد(ت33هـ) ،المحن، تحقيق عمر العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1984،جزء1، ص280.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقالت أيضا: "هذا آخر يومي من الدنيا، وهو غير مأسوف عليه، وأرجو أن يكون أول أيامي من الآخرة، وهو اليوم المرغوب فيه. ثم قالت واللهِ إنَّ علمي بفنائها هو الذي زهدني في البقاء فيها، وسهّل عليّ جميع بلوائها. فما أحب تعجيل ما أخّر الله ولا تأخير ما عجّل الله"[1]

ونلحظ بلاغة عالية في مقالتها، وفكرًا رصينًا، ويقينًا راسخًا بعقيدتها وبالعاقبة السعيدة والفوز الكبير، ونجدها تقلل من قيمة تضحيتها في جنب الله وما ينبغي أن يقدمه العبد في سبيله، ونلحظ الثبات على المبدأ في أكثر المواطن شدّة، تحت العذاب وفي حضرة الموت. ونلحظ أسلوب المقابلة في مقالتها، في قولها: "هذا آخر يومي في الدنيا وهو غير مأسوف عليه" في مقابل " أول أيامي في الآخرة وهو اليوم المرغوب فيه". وفي قولها : " فما أحب تعجيل ما أخّر الله ولا تأخير ما عجّل الله". وهذه المقابلة أضفت جمالًا لافتًا على الكلام، وأسهمت في قوة التعبير عن المعنى المنشود، لأنّ الضدّ يظهر حسنه الضدّ.

ثمّ إنّ ابن زياد قتل زوجها مرداسًا وأخاه عروة، فرثته أم الجرّاح العدوية، متوعدة ابن زياد بالموت[2]: (الطويل)

وما بعد مرداسٍ وعــروةَ بيننَا ... وبينكم شيءٌ سوى عطرُ منشمِ[3]

فلستَ بناجٍ من يــد اللهِ بعدَ ما ... هرقتَ دماءَ المــسلمينَ بِلا دمِ

فهي تعلن الحرب على ابن زياد، وتتوعده بالأخذ بثأر مرداس وأخيه، وهما من أشهر زعماء الخوارج. وتستحضر المثل " أشأم من عطر منشم" دلالة على شدّة الحرب والمواجهة وكثرة القتل، وكأنها أرادت أن تقول لبني أمية إنكم لن تجدوا إلّا الدم منا ومنكم. وتتوعده بجزاء

---

[1] التميمي، المحن، جزء1، ص280.

[2] ديوان الخوارج، ص26. وانظر البلاذري، أنساب الأشرف، جزء 2، ص141.

[3] منْشِمُ امرأَةٌ كانت بمكة عطّارة وكانت خُزاعةُ وجُرْهُم إذا أَرادوا القتال تطيَّبوا من طيبها وكانوا إذا فعلوا ذلك كَثُرَ القَتْلى فيما بينهم فكان يقال أَشْأَمُ من عِطْرِ مَنْشِمِ فصار مثلاً.(لسان العرب، مادة نشم).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الله له في الآخرة، فيما لو نجا في الدنيا، لما سفكه من دماء المسلمين بغير وجه حق. ويطغى على البيتين أسلوب النفي الذي خدم المعاني المرادة، فهو وأسلوب الاستثناء في البيت الأول شكّلا أسلوب حصر دلّ على النفي التام لأية هدنة مع العدوّ، وفي البيت الثاني نفت فكرة النجاة من جزاء الله في الآخرة، مدعومًا بالباء الزائدة "بناج" المؤكدة، وقولها على نحو المجاز: "يد الله" دلالة على الهيمنة والقدرة الإلهية. وقولها "دماء المسلمين" على التغليب، ومن باب ذكر العام وإرادة الخاص، وبيان كثرة ما سَفك من الدم.

وهذه امرأة نافع بن الأزرق تؤمن أشد الإيمان بدعوى الخوارج، وتحث نافع لما رأت من تشككه في تلك الدعوى- كما روى الأصفهاني- على العودة إلى مبادئهم الأصيلة في دعوتهم الدينية السياسية، حتى أنها نعتته بالكفر لمّا استشعرت فتوره وتوانيه عن نصرة تلك المبادئ، قائلة له:

" إن كنت قد كفرت بعد إيمانك، وشككت فيه، فدع نحلتك ودعوتك. وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم، وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا." فما كان منه إلا أن استجاب لمطلبها، فقتل النساء والصبيان، قائلًا: "إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم".[1]

ونلحظ التطرّف الشديد في مقولتها التي تعكس عقيدتها، ويشبهه ما نراه في واقعنا الراهن من تطرّف لا يرحم الأطفال ولا النساء، فيقتلهم كما يقتل الرجال المقاتلين، والحال أنّ الإسلام السمح حرّم التعرّض للأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ ممن لا يحملون السلاح ولا يواجهون، لأنّ مقصد الإسلام وغايته الحقيقية ليست القتل وسفك الدماء وإرهاب الناس، بل

[1] انظر الأصفهاني، أبو الفرج(ت356هـ)، الأغاني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 2002،جزء 6، ص151، اقتبسه أحمد عيسى فهمي، المرأة في شعر الخوارج، ص60.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غايته الهداية والإرشاد والصلاح وإرجاع الناس بالتي هي أحسن إلى بارئهم يعبدونه ويشكرونه ويمتثلون أوامره، فإن لم يؤوبوا اضطر المسلمون أن يقاتلوا من يحمل السلاح من الكفار ممن أصرّوا على الصدّ عن سبيل الله، وذلك يكون بقدر الحاجة، دون إسراف بسفك الدم دون حساب. وهذا كله خاضع لما قرّره الفقهاء العالمون من فتاوى الجهاد التي تظهر وجه الإسلام السمح بعيدًا عن كل تطرّف ووحشية.

ونلحظ في مقولة زوج ابن الأزرق التأثر بالقرآن الكريم، في قولها: " قد خرجت من الكفر إلى الإيمان" و "فاقتل الكفار حيث لقيتهم" و "أثخن في .." ثم اقتبست قوله تعالى على لسان نوح: " لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا"[1]، فهي كلها عبارات قرآنية، استحضرتها لتدلل على اتجاهها الديني وتمسكها بالقرآن الكريم، والحال أن في ذلك تناقضًا عجيبًا، فالقرآن لا يدعو إلى قتل الأطفال والنساء وإلى سفك الدم الحرام، وهي بذلك تقدم أنموذجًا لمن يؤوّل آيات الكتاب المجيد بحسب أهوائه تأويلا سطحيًا، يسفك به الدماء البريئة بذريعة نصرة الدين. ونلحظ كذلك سرعة ما أخرجت زوجها من الإسلام إلى الكفر عند أول شعورها بتوانيه وتردده في أمر عقيدته، وهذا كان، وما زال، دأب الخوارج، فهم يسارعون إلى تكفير كل من يخالفهم في عقيدتهم أو يظهر التردد فيها، وكل كافر عندهم حلال الدم، بناء على تأويل سطحي فاسد لآيات القرآن كما ذكرنا.

ويهمّنا أن نلفت هنا إلى دور المرأة في تكريس العقيدة التي تؤمن بها، ونضالها في سبيلها إلى درجة التطرف، والدعوة إلى القتل الذريع، والتضحية بالزوج وتكفيره إذا خالف هذه

[1] سورة نوح، آية رقم 26.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العقيدة. أي أننا أمام حضور صارخ للمرأة في المشهد السياسي الصدامي، الذي لا يكتفي بالمناوأة الكلامية والجدل الفكري العقائدي، بل يمتد إلى المواجهة الدموية الشرسة.

وهذه امرأة خارجية من كنانة، تعبّر عن استيائها من دعوة عبدالله بن يحيى لنفسه بالخلافة وكان زعيما للإباضية في اليمن، وتدعوه إلى القدوم إلى مكة وإعلان دعوته هناك:

(الوافر)

أتملكُنا وأنــتَ بحضرمــوتَ طلبتَ الملكَ من بلدٍ بعيــدِ

أكندةَ لا أبــا لكَ أم قريــشَ بمكةَّ علموا سننَ الحــدودِ[1]

ويجدر أن نذكر أن من فكر الخوارج وعقيدتهم أنّ الخلافة حق لأي مسلم كفء دون النظر إلى قبيلته أو عرقه أو جنسه، قرشيا كان أم تميميا، عربيا كان أم أعجميا. فهي تطلب عبد الله أن يقدم على مكة، معقل قريش، ليدعو إلى نفسه بالخلافة وقيادة الأمة، لأن حضرموت بعيدة عن مركز القيادة الدينية المعتاد وهو الحجاز، فهي بذلك تعترف بالثِقل الحجازي، في الأقل من الناحية المكانية، في قيادة الأمة. وهذا عكس ما فعله الأمويون حين نقلوا مركز الخلافة إلى دمشق لأن أنصارهم هم أهل الشام، وكانوا قد استحوذوا على ولائهم، وهو ما لم يتحقق لهم في الحجاز.

وهذه مريم الجعيداء زوج أبي حمزة الخارجي، تقاتل هي وزوجها حتى الموت، فتُقتل معه على يد القائد الأموي عبد الملك بن عطية، إذ التقى الجيشان أسفل مكة على خلفية يوم قديد، فقتلت مريم وهي ترتجز[2]:

---

[1] معروف، نايف، ديوان الخوارج، ص223.

[2] الأصفهاني، الأغاني، جزء 23، ص260.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنـــا الجُعـــَيداَءُ وَبنـــتُ الأعـــلمْ

من سال عن اسمي فاسمي مَريمْ

بعـــتُ سِـــواريَّ بســـيفٍ مِخذَمْ[1]

وتفنى الجعيداء في سبيل نصرة عقيدة الخوارج، فهي تدافع عن مبادئها الدينية والسياسية، وتُقتل في ساحة المعركة مع زوجها، في المواجهة ضد الحكم الأموي، وهذا يؤكد دور المرأة الصارخ في المواجهات الدموية، إلى درجة أن تقايض المرأة سواريها بسيف قاطع تقتل به أعداء عقيدتها.

وهذه غزالة الحرورية[2] ينصِّبها الخوارج الشبيبيّة إمامًا عليهم بعد موت ابنها شبيب بن يزيد الخارجي.[3] والشبيبية هم أتباعه، ويقولون بجواز إمامة المرأة وخلافتها.[4]

وقد قاتلت غزالة قتالا مستميتًا، ولمّا طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق، قال أيمن بن خريم[5]:

(المتقارب)

رأيـــتُ غـــزالةَ إذ طَرَّحَـــت بمـــكةَ هَودَجـــها والغَبيـــطا[6]

سَمَـــتْ للعراقينِ في جـــمعِها فلاقى العراقان منها بطـــيطا[1]

---

[1] . سيف مخذم أي سيف قاطع.

[2] غزالة: امرأة شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الحروري: من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية. ولدت في الموصل، وخرجت مع زوجها على عبد الملك بن مروان سنة 76 هـ أيام ولاية الحجاج في العراق، فكانت تقاتل في الحروب قتال الابطال.(الزركلي، الأعلام، جزء5، ص118).

[3] انظر البغدادي، عبد القاهر(ت1037هـ)، الفرق بين الفرق،ط2 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977،جزء1، ص91.

[4] انظر المبرد، الكامل في اللغة والأدب، جزء6، ص 154، الزركلي، الأعلام، جزء 5، ص118.

[5] الأصفهاني، الأغاني،جزء20، ص327.و البلاذري،أنساب الأشراف، جزء 8، ص37.

[6] غَبيطٍ وهو الموضع الذي يُوطَأُ للمرأة على البعير كالهَوْدَج.(لسان العرب، مادة غبط).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالشاعر يعاتب أهل العراق الذين استسلموا لغزالة، ذلك أن استسلامهم إقرار بإمامة المرأة (غزالة):

ألاَ يستحي اللهَ أهــلُ العِــرا ق إن قَلَّدوا الغانيــات السُّمــوطا[2]

وخيلُ غــزالةَ تســبي النِّسا ءِ وتَحوي النَّهابَ وتحوي النبيطا[3]

وجليّ هنا حضور المرأة السياسي وأثرها من خلال هذه الأبيات، فهي قائدة وزعيمة تستسلم لها العراق، ولها جند يقاتلون، يقتلون الرجال ويسبون النساء، ويحتلون البقاع ويغنمون الغنائم.

ولا تخلو أبيات ابن خريم من السخرية المشوبة بالقهر والحسرة على حال أهل العراق الذين صارت تحكمهم امرأة ذات عقيدة متطرفة. ويتعجّب من خنوعهم أمامها وإقرارهم لحكمها وقيادتها فيقول: " ألاَ يستحي اللهَ أهلُ العِراق" لذلك، وبربطه الحياء بالله تعالى، ندرك أنّ المقصد ديني لا دنيوي. ونلحظ المجاز في قوله: "وخيل غزالة تسبي النساء" فذكر المركوب وأراد الراكب، وقد تفهم على الكناية، أي جيش غزالة. كذلك الكناية في قوله "قلّدوا الغانيات السموطا" فهي كناية عن إقرارهم بحكم غزالة، فهي المقصودة بالغانية، والسموط ربما تعبير يصف الجواهر التي يضعها الحكّام الرجال على صدورهم، أو كناية عن التاج والقلائد التي يتقلدها الملوك.

وكان عمران بن حطان أحد شعراء الخوارج قد عيّر الحجاج بهزيمة غزالة له في الكوفة، وذلك بعد أن لجّ الحجاج في طلب الشاعر الخارجيّ، فقال في ذلك[1]:

---

[1] البَطِيطُ: العَجب.(لسان العرب، مادة بطط).

[2] . السموط: صفوف الجواهر. جمع سمط ومن معانيه السير يعلق على السرج.

[3] النَّبِيطُ والنَبطُ كالحَبِيشِ والحَبَشِ: في جِيلٌ يَنْزِلُون السواد ، وقيل: سواد العراق، وهم الأَنْباطُ.(لسان العرب، مادة نبط)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الكامل)

أسَدٌ عليَّ وفي الحــروبِ نَعامــةٌ ... ربداءُ[2] تَجْفَلُ من صَفير الصافرِ

هلاّ بَرزتَ إلى غَــزالة في الوغَى ... بل كان قَلبُك في جَناحَيْ طَــائرِ

صدعَتْ غَــزالةُ قــلبه بفــوارسٍ ... تركــتْ مدابِرَهُ كأمْــس الــدَّابرِ[3]

فالحجاج يستضعف عمران ويتنمّر عليه لكنه يضعف أمام غزالة وجندها، فهناك يكون كأن قلبه في جناحي طائر، كناية عن الضعف والجبن، وقبلها ظهرت الكناية: " وفي الحروب نعامة" لتدل على المعنى ذاته. ذلك أن غزالة كانت لقنته دروسًا، وصدع فوارسها قلبه لشدة شجاعتهم وبطولاتهم، فصار يخشى مواجهتهم، وحُسم أمره معهم. وفي قوله: "صدعت غزالة قلبه" صورة، لكنها من الصور الشائعة في اللغة. وعبّر عن هزيمة الحجاج الحاسمة بقوله: " تركتْ مدابِرَهُ كأمْس الدَّابرِ"، وهو تعبير جزل موحٍ قوي البناء.

وها هو الشاعر عتبة بن وصيلة الشيباني ، يخاطب الخليفة عبد الملك بن مروان، مفتخرًا بأنَّ غزالة الخارجية من بني شيبان، ويؤكد دورها في تلك الحروب التي خاضها الخوارج ضد الدولة الأموية[4]:

(الطويل)

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، جزء18، ص122.

[2] ربداء:من رُبْدَةُ: الغُبرة، وقيل: الرُّبْدَةُ والرُّبْدُ في النعام: سواد مختلط، وقيل: هو أَن يكون لونها كله سواداً ، ويقال: ظليم أَرْبَدُ ونعامة ربداءُ.

[3] أمس الدابر: هو الماضي لا يرجع أبداً، قالوا مضى أَمْسِ الدَّابِرُ وأَمْسِ الْمُدْبِرُ وهذا من التطوّع المُشامِّ للتأْكيد لأَن اليوم إِذا قيل فيه أَمْسِ فمعلوم أَنه دَبَرَ لكنه أَكده بقوله الدابر.(لسان العرب، مادة دبر). وهو ذم للحجاج بقضاء غزالة عليه.

[4] عباس، إحسان، شعر الخوارج، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1974.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غزالةُ ذاتُ النذرِ منَّا حميدةٌ لها في سهام المسلمينَ نصيبُ

وتبرز جمرة الخارجية التي تقوم بالدعوة إلى مذهبها واجتذاب الأنصار، وتثبت الخوارج في صراعهم مع أعدائهم. ونجدها عرضت نفسها على عمران بن حطان وكان سنيا ولا يميل إلى حزب سياسي، لكنها حوّلته إلى عقيدة الخوارج.[1] وهذا دليل على تأثير المرأة في الرجل من الناحية العقدية، فعمران بن حطان فقيه كبير، استطاعت جمرة تحويل عقيدته إلى عقيدة عُرف عنها التطرّف الشديد، وعدم المهادنة أبدًا.[2]

وممّا تقدّم يتضح دور المرأة الخارجية في الحياة السياسية في العصر موظفةً في ذلك وعيها السياسي وأدبها شعره ونثره، وجاعلة اعتقادها السياسي المحرك الرئيسي لحياتها الخاصة والعامة على حد سواء، فعافت أحياناً الاستقرار الأسري في سبيل رؤيتها كما فعلت عميرة، ورضيت أن تكون إماما لمريديها في سبيل تحقيق رؤيتها كما حصل مع غزالة، ونهجت سبيل الدعوى إلى فكر حزبها فحولت بعضهم عن اتجاهاتهم الدينية والسياسية كما فعلت جمرة، موظفة في ذلك كلها أدبها الشاهد على هذا الدور البارز لها.

اتضح لنا في ما سبق دور المرأة السياسي الأدبي في العصر الأموي، وكيف أنها امتلكت رؤية سياسية، وآمنت بدعوى سياسية مرتبطة بدعوتها الدينية، وحاولت أن تظهرها في أدبها، فانتمت إلى الفرق والأحزاب بمختلف توجهاتها في هذا العصر، وأنتجت أدبًا معبّرًا عن تلك الرؤى السياسية لها. فكانت المرأة علويّة أو خارجية أو أموية تعبر عن انتمائها الديني السياسي. ويمكن القول إن تلك الانتماءات التي كشفها الأدب لأبرز دليل على توظيف الأدب

[1] فهمي، أحمد عيسى، المرأة في شعر الخوارج، ص67.

[2] فهمي، احمد عيسى، المرأة في شعر الخوارج، ص68.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

سياسيًا في هذا العصر، وعلى أهمية الأدب في كشف واستجلاء الأحداث المهمة في دولة العصر.

فقد كشف لنا الأدب عن مشاركة المرأة الفاعلة في الحياة السياسية، فأنتجت خطبا، وقالت شعرًا، وأبدعت وأقوالًا أدبية، مبرزة في كل ذلك مواقفها السياسية، ورأيناها أيدت أحزابًا وعارضت أخرى، فعارضت المرأة المتشيعة والمرأة الخارجية المؤسسة السياسية الرسمية الممثّلة بسلطة الخلافة الأموية، وانتقدت رأس الدولة وسياسته، وعبرت عن ولائها لمن تؤمن به قائدًا وحاكمًا للدولة. ومن أمثلة ذلك، المرأة العلوية الوافدة على معاوية، والتي كانت تعادي سلطة الدولة، وتناصر عليًا، أمثال الدارمية الحجونية، والزرقاء بنت عدي الهمدانية، وهناك المرأة العلوية النسب كنساء آل البيت اللواتي حضرن بعد فتنة مقتل الحسين، فوجدنا خطبًا بليغة لزينب وأم كلثوم، ابنتي علي بن أبي طالب، تنتقدان فيها سياسية يزيد بن معاوية.

وثمّة المرأة الخارجية، التي هي بحق تصدر عن نظرية سياسية تدافع عنها، فكانت على عداء كامل مع كل الأحزاب السياسية، وليس السلطة الرسمية وحسب، ذلك أنها تصدر عن فكر حزبها الذي يخالف فكر معظم الأحزاب، فلا يرى الخلافة حقًا وراثيا. وكانت البلجاء من النساء الخارجيات، صارعت في سبيل فكرها صراعًا مريرًا، وأبلت بلاءً يعجز عنه الرجال، ومنهن جمرة امرأة الشاعر عمران بن حطان، التي كانت السبب في انحرافه عن مذهب السنة والجماعة والانضمام الى حزبها، وعميرة زوجة مجاشع البكري التى عافت الاستقرار والهناء في سبيل نصرة حزبها.

أضف إلى ذلك ما مثلته المرأة الأموية ذات المكانة الرفيعة في البلاط الأموي، أو المحسوبة على الأمويين، من حضور سياسي قوي، فكانت ذات رؤى سياسية عميقة، بل يمكن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن نعدّها من أصحاب الحنكة السياسية أمثال أم البنين بنت عبد العزيز. ومنهن ليلى الأخيلية التي كانت بخلاف معظم الأديبات في هذا العصر، إذ عبّرت في شعرها عن موقفها السياسي الداعم للخلافة الأموية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

المرأة وتوظيفها السياسي في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي

(تحليل نماذج مختارة)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا يُقصر توظيف المرأة في الأدب الإسلامي والأموي على المستوى الواقعي، بل يتجاوز ذلك إلى توظيفها الرمزي في بعض مقدمات القصائد. فقد أشار شوقي ضيف[1] إلى أنَّ ابن قيس الرقيات لم يوظف أم البنين وحسب في قصائده، بل نظم قصائد ابتدأها بذكر نساء مختلفات منهن سعدى وأسماء ورقية، ليس لهن دور سياسي يذكر كأم البنين، وهن على الأغلب نسوة غير حقيقيات، إلا أنهن بَدوْن رموزا لها ارتباطات سياسية، وفق تحليل ضيف. ومن هذه القصائد قصيدة قالها ابن قيس الرقيات في مدح بشر بن مروان[2]:

قد أتانـــا من آل سُعْدَى رســـولُ حَبَّذا ما يقــول لي وأقــولُ

مِنْ فتـــاةٍ كأنـــها قَرْنُ شمـــسٍ ضاق عنها دَمَالـــجٌ وحُجُولُ

ويذهب شوقي ضيف إلى أنَّ سعدى، في تلك القصيدة التي مدح قيس فيها بشر بن مروان، رمز لكل ما في نفس ابن الرقيات، ولكل ما أصاب من تحقيق آماله بعد أن رضي عنه عبد الملك وعفا، فهي رمز لما آل إليه حال الرقيات في موقفه السياسي الذي تغير من بني مروان والأمويين عامة.[3]

وهذا يعني أن التوظيف السياسي للمرأة لا يقصر على التوظيف الحقيقي، فقد وظفت المرأة توظيفا رمزيا في الأدب الإسلامي والأموي شعره ونثره. ومن هنا سنتناول في هذا الفصل نماذج دالة على توظيف المرأة السياسي بمستوييه(الرمزي والحقيقي).كما سيتم تحليل بعض النماذج التي أنتجتها المرأة في هذا العصر.

[1] انظر ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ط2، دار المعارف، القاهرة،1967.

[2] ابن قيس الرقيات، الديوان، تحقيق عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1995، ص145.

[3] ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص302.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا وقد برز الشعراء الموالي في العصر الأموي، وقد بدت المرأة في بعض مقدمات قصائدهم رمزا سياسيا، لاسيّما أن العصر الأموي كان متعصبا للقومية للعربية، وكان هؤلاء الموالي من أصول أعجمية فلجأوا إلى المرأة رمزا في مقدماتهم يحمّلوه معاناتهم في ظل نظام سياسي لا يمنحهم حقهم من التقدير.

ويشير أحمد الشايب إلى أنّ الشعراء الموالي كانوا يكنون في شعرهم عن العرب بكلمات مثل: هند وجمل، وأمامة، ونحوها حين يفخرون عليهم، ويقصدون بذلك الجنس جميعه.[1]

ويذهب إبراهيم الخواجا إلى أن صوت الشعر الصادر عن هؤلاء الموالي لم يكن في هذا العصر من القوة فيردِ صريحًا؛ لما مارسه الأمويون من القمع والتضييق ضدّهم .[2]

فهذا الشاعر يزيد بن ضبة، وهو من الموالي، لجأ إلى الرمز بالكناية باسم (سلمى) التي رمز بها إلى الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، أو لحاله في هذه الحكومة الإسلامية[3] . وفيها فخر بعشيرته خاصة، وبالفرس عامة على الأمويين[4].

فقد دفعه حقده على العرب إلى استغلال الظروف للإيقاع بين الأمويين أنفسهم، إذ احتمى الشاعر بالوليد بن يزيد بن عبد الملك متحديا الخليفة هشام بن عبد الملك عم الوليد، وذلك على خلفية ازدراء الخليفة هشام بن عبد الملك للشاعر يزيد بن ضبة، وعدم السماح له بالإنشاد في مجلس الوفود التي جاءت تهنئه بالخلافة. وقد ذكر يزيد ما فعله هشام:[5]

(الوافر)

أرَى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا وغيرَ صدودِها كنّا أرَدْنا

---

[1] الشايب، تاريخ الشعر السياسي، ص228، مقتبس في الخواجة، ص102.

[2] الخواجا، إبراهيم، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، الكويت، 1984،ص 101–102.

[3] الشايب، تاريخ الشعر السياسي، ص231، مقتبس في الخواجا، ص102.

[4] الخواجا، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، ص102.

[5] انظر الأصفهاني، الأغاني، جزء7، ص109. مقتبس في الخواجا ص100-101.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقــد بــخِلتْ بنــائلها علــينا ولــو جادت بنائلها حَــمِدنا

وقد ضنّت بما وعدتْ وأمستْ تغــيِّر عهدَها عمّا عَهــِدنا

ولو علمتْ بما لاقيــتُ سلمى فتُخبرني وتعلم ما وجدنــا

تُلِمّ علــى تــنائي الدار مــنّا فيُسهرنا الخيالُ إذا رقَــدْنا[1]

وها هو يذكر الخليفة بامبراطوريته وأمجادها القديمة:

ألاَ من مُبلِــغٌ عنّي هشــاماً فما منّا البَــلاءُ ولا بَعُــدْنا

وما كنّا إلــى الخلفاء نُفْضِي ولا كنّا نــؤخَّر إن شَــهِدنا

ألم يك بالــبلاء لــنا جَــزاءٌ فنُجْزَى بالمحاسن أم حُسِدنا

وقد كان الملوك يــروْن حقًّا لوافِــدنا فنُــكْرَمُ إن وفَدْنَا

ولِينا الــناسَ أزمــاناً طِوالاً وسُســْناهم وسدناهم وقُدْنا[2]

فهو يكنّي هنا بسلمى عن الخليفة هشام الذي لم يقبله في مجلسه ولم يسمع منه مدحه، لما كان يكنّه الأمويون من الكره للفرس، على أساس العداء الذي كان بين العرب والفرس منذ أيام الجاهلية، ولم يخمد عند كثير منهم حتى بعد أن ضمّتهم جميعًا خيمة الإسلام.

ويشبّه الشاعر الرفض الأموي لقومه الفرس بصدود المرأة التي يطلب وصالها الرجل وهي تأبى. والشاعر حين كنّى عن هشام وقومه بالمرأة المجافية، فهذا كان أوّل الذم لهم، وكأنه أراد القول إنّ لهم طبائع النساء من الدلال والميوعة وقلة الحكمة وغلبة العاطفة والانفعال عليهم. وليس هذا فحسب، بل هي كذلك امرأة بخيلة، والشاعر هنا يقرب من التصريح فيقول: "بخلت بنائلها"، والمرأة عادة تبخل بوصالها، لكن الحاكم والرجل الذي يفد الناس عليه هو الذي يبخل

[1] انظر الأصفهاني، الأغاني، جزء7، ص109،

[2] انظر الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، جزء7، ص109.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بنائله، أي بأعطياته. كما أن الحمد والثناء بعد الأعطية لا يكون للمرأة الواصلة، بل يكون للرجل المعطي، لذلك يقول ابن ضبة: " ولو جادت بنائلها حمدنا". فهذا البيت يكاد ينطق أنه يقصد الخليفة هشامًا لا امرأة حقيقية اسمها سلمى. ثمّ إن الشاعر يرجع بعد هذا البيت فيبالغ في الكناية حتى ليظنّ القارئ أنه يقصد امرأة حقيقية صادّة، فيذكر ألم الجفاء والسهر والبعد، يقول:

تُلِمّ على تنائي الدار منّا فيُسهرنا الخيالُ إذا رقَدْنا

ثم انتقل إلى الخطاب غير المباشر للخليفة هشام بقوله: " ألا من مبلغ عنّي هشامًا"، وكأنّه خلع عنه رداء الرمز، وعمد إلى اللغة التقريرية، لأنّه رام أن يمتطي صهوة الفخر بقومه، ولا يصلح الرمز للفخر، كما يصلح للهجاء والنقد المبطن. فشرع ابن ضبة يفخر بقومه الفرس الذين ساسوا الناس دهورًا طويلة، إشارة منه إلى الإمبراطورية الفارسية الساسانية في عهد ازدهارها وامتدادها على بقاع شاسعة، ويقول إنهم ليسوا من المتكسبين الذين يقبعون على أبواب الخلفاء، لكنهم يفدون وافري القدر مصوني الكرامة، وسبق أن أكرمهم الملوك عند وفادتهم عليهم، لما عرفوه من أقدارهم.

وقد امتازت قصيدته بمتانة السبك، وسلاسة الكلمات، وبإيقاعها الجميل الخارجي، فقد عمد إلى بحر الوافر ذي النغمة الحزينة، مع الألف المطلقة في القافية وما فيها من نفث الآهات، لما يستبطنه من الأسى نظرًا لجفاء الخليفة معه ومع قومه. إلى جانب الإيقاع الداخلي الذي حقّقه الجناس بأنواعه : " تَصُدّ وما صدَدْنا.. وغيرَ صدودِها " " تغيِّر عهدَها عمّا عَهِدنا"، وتشابه الأبنية " وقد ضنّت بما وعدتْ وأمستْ".

على أن قصيدته تخلو من التصوير المباشر، وأرى أن الشاعر استعاض عنه بالزخم الكنائي والرمزي في الأبيات المتعلقة بسلمى، لكن كانت اللغة التقريرية المباشرة هي المسيطرة على أبيات الفخر كما رأينا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكن أن نربط بين المرأة في نسيب قصيدة حميد بن ثور الهلالي التي أنشأها بعد إسلامه في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وبين الواقع الديني السياسي.

فسليمى التي يشبب بها حميد بن ثور ليست مطلبًا له، فهو لا يقصد التغزل بها، ولا يتمناها، فقد أصبحت داءه ومرضه القاتل الذي يأباه ويتنصل منه، فلا يقصد به مرض الهيام والعشق الذي يسعى إليه العاشق ولا يرغب في الشفاء منه يقول:[1]

(الرجز)

أَصْبَحَ قَلْبِي مِنْ سُلَيْمَى مُقْصَدَا ... إِنْ خَطَأً مِنْــهَا وَإِنْ تَعَــمُّدَا[2]

مِنْ سَاعَةٍ لَمْ تَــكُ إِلا مَقْعَــدَا ... فَحَمَّلَ الْهَــمَّ كَــنَازًا جَلْعَــدَا[3]

تَــرَى الدُّلا فِــي عَلَيْهَا مُؤَكَّدَا ... دُمًى بِسَقْيِهَــا خِدَبٌّ مَا عَــدَا[4]

إِذَا الســرَّابُ بِالْفَلاةِ اطَّــرَدَا ... وَأَبْحَرَ الْمَــاءُ الَّذِي تَــورَّدَا [5]

تَوَرُّدَ السّــيدِ أَرَادَ الْمَــرْصَدَا ... مَا وَرَقٍ مُــصَدَّرٍ مِنْ أَوْرَدَا [6]

مَا يَشْتَفِي مِنْكُمْ طَبِــيبٌ أَبَــدًا ... الْجَــدُّ فِيمَا يَنْبَغِــي وَأَوْجَــدَا

حَتَّى أَتَيْتُ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدَا ... يَتْلُو مِــنَ اللَّهِ كِتَابًا مُرْشِــدَا

---

[1] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت360هـ)،المعجم الكبير، جزء4، ص47.

[2] والمُقْصَدُ الذي يَمْرَضُ ثم يموت، قصَدَتْ الرجلَ إذا طَعَنْتَه أَو رَمَيتَه بسهم.(لسان العرب. مادة قصد)

[3] كنازا: كبارا، الهِمُّ بالكسر الكبيرُ الفاني. جَلْعَدٌ غليظ، وناقة جَلْعَد قوية ظهيرة شديدة وبعير جُلاعِد كذلك وامرأَة جَلْعد مسنة كبيرة والجَلْعَد الصلب الشديد.(لسان العرب. مادة جلعد)

[4] خدّب: عظيمة

[5] اطّرد: زاد. أبحر الماء: صار ملِحًا.

[6] السِّيد: الذئب. المرصد: مكمن الذئب.. شبه تلونه بتلوّن الذئب إذا تلوّن الذئب إذا تلوّن يريد اقتناص الطريدة. الورق: الشجر أو، ما استدار من الدم على الأرض.(ديوان حميد بن ثور الهلالي، ص28)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقلب الشاعر كاره لسليمى التي سببت له مرض الموت والهلاك، بقصدٍ أو بغير قصد، وهو ربما قصد بسليمى ذلك العهد البائد المتمثل بالكفر والشرك، ويعزّز هذا الفهم أبياته التي تذكر الرسول ﷺ والقرآن والإسلام، والتي تعقب هذه الأبيات التي يتحدث بها عن سليمى.

وهو في قصيدته يشبّه حياة الجاهلية بالبئر التي تخذل وُرّادها، فالدلاء عليها مجرد صور ودمى لا تجدي، أي هي بئر معطّلة، في حين أن السراب يتزايد في الفلاة "إذا السراب بالفلاة اطّردا"، مع تحوّل الماء إلى الملوحة وتغيّر لونه إلى ما يشبه لون الذئب "وأبحر الماء الذي توّردا تورّد السِّيد ..."، واستحضاره للذئب هنا فيه دلالة الشرّ والغدر، كأنه يريد أن يقول أن الجاهلية وهمٌ يقود إلى المهالك. يعني هو في المحصّلة يرسم مشهدًا مليئًا بالخذلان والوهم والفشل وخيبة الأمل، ويقدّم امرأة لا عهد لها، وعودها كاذبة، تسبّب السقام والهلاك لمن يهواها ويطلب وصالها. ودلالة ذلك المشهد كله حياة الجاهلية والوهم والضلال الذي كان الناس منغمسين فيهما بلا رشد وهداية إلى أن جاء المرشد الأمين الرسول محمد ﷺ بالكتاب المنير.

ويوظف الكميت المرأة في مطلع هاشميته:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعبُ

ولم يلهنـــي دارٌ ولا رســمُ منــزلٍ ولم يتطربني بنـــان مخـــضبُ

ولا الســانـــحات البـــارحات عشـــيةً أمرَّ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعضبُ

ولكن إلى أهـــل الفـــضائل والنـــهى وخير بني حواء والخير يُطلبُ[1]

فالبيض هنا وصف للنساء، الذي ينفي طربه أو تعلقه بهن، وكأنه يلمّح من طرف خفي أن العبث والمجون والتعلّق بالنساء الحسناوات مثلب ومنقصة بالإنسان، تحول بينه وبين طلب

[1] هاشميات الكميت، ص33.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأمور الحميدة، والوصول إليها، فكيف إذا كان هذا الأمر خلافة المسلمين وتولي أمورهم، فهو يكنّ الطعن بالأمويين وخلافتهم.

كان الكميت بارعًا في استهلاله، إذ استحضر ما كان يشغل الشعراء من نساء حسناوات مختضبات ووقوف على الديار والأطلال، وخرافات التفاؤل والتشاؤم، يقول لم يلهني كلّ ذلك، فهو هراء وغير مجدٍ للمرء، لكن تعلّقتُ بأهل الفضائل والنهى وخير الناس، ويقصد أهل بيت النبوة رضوان الله عليهم. فكأنه يريد أن يقول أنّ على كل شاعر وكل امرئ أن يدع الأباطيل والتفاهات والملذات الآنية في حياته، ويتوجّه إلى المُثل العليا، يلازمها، ويقتدي بها، ويتغنّى بحبها دون غيرها.

وقد وظف الكميت في شعره الحواميم وهي السور القرآنية التي تبدأ بال حم، وهي مما يتكئ عليه محبو أهل البيت في دعواهم السياسية لهم، فهم أحق بالخلافة لأن الله أوصى بهم في كتابه العزيز، فهم قربى رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتلك القربى هي قربى نسوية لأن دعاة أهل البيت ينطلقون من أن أهل البيت الذين يستحقون الخلافة هم أبناء فاطمة رضي الله عنها لا غير، بأدلّة يسوقونها ليس هنا محلّها. يقول الكميت: [1]

بخاتمكم غصبًا تــجوز أمورهم ... فلــم أرَ غــصبا مــثلــه يُتغصبُ

وبُدّلت الأشرار بعــد خيارهــا ... وجــدّ بها من أمّــة وهي تلــعبُ

وجدنا لكــم في آل حامــيم آيةً ... تــأولــها منــا تــقــيّ ومعــربُ

وفي غيرها آيًا وآيــاً تتابــعت ... لكم نصَبٌ فيها لذي الشكِّ منصبُ

بحقــكمُ أمســتْ قريشٌ تقودُنا ... وبالــفذِّ منــها والرديفين نــُركَبُ[2]

---

[1] هاشميات الكميت، ص41.

[2] الفذ: الراكب منفردًا، الرديف: الراكب خلف الراكب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ردافـــىً عليـــنا لم يسيموا رعية وهمهم أن يمتروها فيحـــلبوا

لنا قائـــدٌ منهـــم عنيفٌ وســـائقٌ يقحّمنا تـــلك الجراثيم مـــتعبُ

وقـــالوا ورثـــناها أبـــانا وأمـــنا وما ورّثتهـــم ذاك أمٌّ ولا أبُ

يرون لهم فضلا على الناس واجبا سفاها، وحق الهاشميين أوجبُ

ويحتج أهل البيت أنفسهم بآيات آل حم التي وردت في القرآن الكريم، فقد روي أنه "لما جيء بعلي بن الحسين رضي اللّه تعالى عنهما أسيرا إلى دمشق قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد للّه الذي قتلكم واستأصلكم فقال له علي رضي اللّه تعالى عنه : أقرأت القرآن؟ قال : نعم قال : أقرأت آل حم؟ قال : نعم قال : ما قرأت : قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى قال : فإنكم لأنتم هم؟ قال : نعم".[1]

وفي هذا إشارة إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها، وهنا نلحظ توظيفًا سياسيًا للمرأة، هو عند أهل البيت وشيعتهم عقيدة، لكن بالتناول العلمي والتحليل سنعدّه توظيفا سياسيًا يستحضر القرابة بالرسول ﷺ من جهة ابنته فاطمة رضي الله عنها، وفي هذا قيل شعر كثير في مختلف العصور. منه ما قاله الكميت نفسه في قصيدة أخرى:

دعاني ابن النبي فلم أجبه ألهفي لهفَ للـــقلب الفَـــروق

حـــذار مـــنيّةٍ لا بـــدّ منها وهل دون المنية مـــن طريق[2]

وثمّة أبيات للكميت في مدح عبد الملك:[3]

---

[1] الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، جزء13، ص32.

[2] هاشميات الكميت، ص82.

[3] هاشميات الكميت، ص52.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الخفيف)

أورثته الحَصانُ أمُّ هشـــامِ حســبًا ثاقبًا ووجها نضيرا

وتعاطى به ابنُ عائشةَ البد رَ له رقيـبـــــا نظيــرا

وكساه أبو الخلائفِ مــروا نُ سناءَ المكارمِ المــأثورا

لم تجهّمْ له البطاحُ ولــكن وجدتُــها له مــعانًا ودورا

هذه الأبيات في مدح عبد الملك تناقض شعره الولائي في أهل البيت، وربما قالها تقية ليرد عن نفسه بطش بني أمية ونقمتهم، وليحظى ببعض العطاء الذي كان سيُحرم منه لو أصرّ على إظهار موقفه المناهض لهم. وربما أنه قاله في وقت لم يكن ولاؤه قد توطّد لآل البيت، في زمن من شبابه، كان يشقّ طريقه في عالم الشعر والتكسّب. ولا ريب أن الشيعة يلتمسون له العذر في ذلك، كما يلتمسون لغيره من شعرائهم الذين كانوا يضطرون في كثير من الأحيان إلى مداراة الحكام وأهل السلطة. أيًّا كان، فالكميت في أبياته هذه وظّف المرأة سياسيًا في مدح الحاكم الأموي، فذكر أم هشام وربما قصد بها أم عبدالملك، زوج مروان بن الحكم، وذكر عائشة، ولا أظنّ أنه قصد بها أم المؤمنين رضي الله عنها، لأنها لم تُرزق بولد، وهو يقول: "ابن عائشة".

نلحظ أنّ الكميت مدح عبدالملك بأمّه قبل مدحه بأبيه، وفي ذلك دلالة وإيحاء وربما كشف لما يخفيه الكميت من موقف تجاه مروان بن الحكم، فهو حين حديثه عن أم عبدالملك استخدم الفعل "أورثته" لكن مع مروان استخدم "كساه"، والفرق جليّ بين أورث وكسا، فالأولى تتعلق بالجوهر الداخلي، والأخرى تتعلق بالمظهر الخارجي. ويقول إن أم هشام أورثت ابنها الحسب والوجه الجميل، بينما كساه أبوه سناء المكارم المأثور.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويستطيع الشاعر المتمكن أن يستغل براعته اللغوية في إبطان الذم في ثنايا المدح الظاهر، ويمكن لذي نظر ثاقب وفهم عميق أن يستجلي ذلك بالتأمّل والتحليل.

نلحظ التصوير في قول الكميت: " لم تجهّم له البطاح .." وربما قصد بطاح مكة والحجاز، أو عموم البقاع الإسلامية، ودلالة ذلك أي لم يجابهه الناس كما جابهوا أسلافه، ربما لسياسته في كسب ود الناس لتوطيد حكمه.

وهذا الشاعر عبدالله بن عمر العبلي[1] الأموي يقدم على أبي العباس السفاح ليعطيه الأمان إبّان ملاحقة العباسيين للأمويين وقتلهم تحت كل حجر ومدر، فيستعطفه بقصيدة لعله يوظّف فيها المرأة رمزيًا، ويذكر خلالها أنه كان يميل إلى بني هاشم ويعادي قومه فيهم، فما كان من السفاح إلا أن أقرّ له بذلك وآمنه وأمر بردّ أمواله التي نُهبت إليه، وإطلاق سراح من أُسِر من أقربائه ممن لهم ذات سيرته. يقول في مطلع القصيدة:[2]

أَلاَ قُـــلْ للمــنَازلِ بالسِّتــَارِ ... سـُقِيتِ الغَيْـثَ من دِمَـــنٍ قِفَارِ

فهل لك بَعْـدَنا عِلــْمٌ بِسَلْمَى ... وأَتْــرَابٍ لــهــا شــبهِ الصِّــوار[3]

أوانِــسُ لا عَــوَابِسُ جافياتٌ ... عن الخُلُق الجــمِيلِ ولا عَــوَارِي[4]

وفيهنّ ابــنةُ القُصَــويِّ سَلْمَى ... كَهَــمِّ الــنَّفْــسِ مُفْعــمَةُ الإزَار[5]

---

[1] عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد منافٍ، ويكنى أبا عديٍ ، شاعر مجيد من شعراء قريش، ومن مخضرمي الدولتينويقال له العبلي، وليس هو من العبلات؛ الذين أمهم عبلة بنت عبيد بن حارك بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميمٍ.كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشمٍ ويذم بني أمية، ولم يكن منهم إليه صنع جميل، فسلم بذلك في أيام بني العباس، ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن.

[2] الأصفهاني، أبو الفرج،الأغاني، جزء11، ص297.

[3] جمع أَصْوِرَة، وهو القطيع من البقر.(لسان العرب. مادة صور)

[4] عواري جمع عارية، والمعنى هنا أي مفتقدة، فهن لسن مفتقدات للخلق الجميل.

[5] مفعم: ممتلئ. (لسان العرب. مادة فعم). ويقصد بمفعمة الإزار أي أنها ممتلئة مكتنزة الجسم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تلــوثُ خِمَارَها بِأحَمَّ جَعْــدٍ تُضِلُّ الفَــالِياتُ بــه المَدَارِي[1]

فدَعْ ذِكرَ الشبابِ وعهدَ سَلْمَى فمــا لَكَ منهما غــيرُ ادِّكــار[2]

وأَهْدِ لهاشمٍ غُرَرَ القَــوَافِي تَــنَخــلَّها بعــلمٍ واخْتِــيــَارِ

إلى أن يقول مظهرًا شكايته:

أيَا أهلَ الرسولِ وصِيدَ فِــهْرٍ وخيرَ الواقفين على الجــِمَارِ

أتُؤْخَذ نِسْوتي ويُحَازُ مالِــي وقد جاهرتُ لو أَغْنَى جِهَارِي

وأُذْعَرُ أن دُعِيتُ لعبد شَمْسٍ وقد أمسكتُ بالحَرَمِ الصَّوَارِي

بنُصْرَةِ هاشمٍ شَهــَّرتُ نفسي بــداري للــعِدَا وبغــير داري

فيبدو العبلي وكأنه يرمز إلى العهد الأموي البائد بسلمى، لا سيّما حين يقول: "فدع ذكر الشباب وذكر سلمى .. وأهدِ لهاشم غرر القوافي" والمقصود بهاشم هنا العباسيون، واختياره اسم سلمى ينطوي كذلك على رغبته في السلامة والأمان. على أنّ الشاعر ينساق مع رمزه إلى درجة التعاطي معه كحقيقة، فيأتي بتفاصيل وكأنه يتحدث عن فتاة حقيقية اسمها سلمى، فهي مكتنزة الجسم، ذات شعر أسود جعد، يضيع المِدرى فيه لطوله، وهي بين أوانس ذات خلق جميل وبشاشة. وربما ذكر هذه التفاصيل ليقول إنّ حاله مع قومه الأمويين كان كحاله مع سلمى المتخيَّلَة، فهي ذات حضور وجمال واكتناز بقدر ما كان في نفسه من همّ، لكنّها ولّت كما ولّى الشباب، ولم يبق منهما إلا الذكرى، وربما رمز بشعرها الأسود الجعد المتلبّد الصعب التسريح بما كانت عليه سياسة بني أمية من تعقيد وصعوبة ليرضي بذلك الخليفة العباسي. ثم يقول إنَّ ما يجدي بعد انقضاء ذلك العهد هو الالتجاء إلى ذوي الفضل والشرف والندى، وهم بنو العباس

[1] تلوث خمارها: أي تخلطه، أحمّ: أسود. جعد: غليظ مجتمع. المداري : جمع مِدرى، آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن المشط وأطول منه يُسرّح بها الشعر المتلبّد.(لسان العرب. مادة درى).

[2] ادّكر أصلها اذدكر، أي ذكره. يقول إنه ليس لك من عهد الشباب وعهد سلمى إلا الذكرى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذين عبّر عنهم الشاعر ببني هاشم تأكيدًا للرابط بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلماحًا إلى حقّهم في الخلافة كالعلويين، بل آكد منهم كما ظلوا يزعمون في خضمّ صراعهم الدامي مع أولاد عمومتهم.

ثم إن الشاعر يعرض شكايته، في أنّه بالرغم من ولائه للهاشميين فقد أُسرت نساؤه وسُلب ماله، ولم تشفع له مجاهرته بولائه القديم المشهور لبني هاشم في كل محفل. وكل ذنبه أن له نسبًا مع الأمويين.

هذا مضمون الأبيات، وما يهمّنا منها هو حضور المرأة فيها، وتوظيفها سياسيًا على المستوى الرمزي، فالنص يحتمل هذه القراءة، وهي جديرة بالقبول، بالنظر إلى الظرف الذي قيلت فيه القصيدة، وحال الشاعر، وموقفه السياسي المعروف.

من الناحية الفنية، فقد اهتمّ الشاعر بالتصوير، كقوله "وأتْرَابٍ لها شبهِ الصِّوار" وهو تشبيه النساء بقطيع البقر الوحشي، وهو مطروق مبتذل، لكن قوله:

وفيهنّ ابنةُ القُصَويِّ سَلْمَى كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمةُ الإزَارِ

فهو تشبيه غريب، غير مطروق، فليس من عادة الشعراء أن يشبّهوا اكتناز المرأة باللحم بكثرة الهمّ في النفس، ولعلّ الحال المضطربة التي كان عليها الشاعر قد أوحت إليه بهذا التشبيه الغريب.

والكناية عن طول الشعر وتلبده بأنّ المدرى تضيع فيه، كناية عمد إليها الشاعر لتجلية المعنى الذي أشرنا إليه آنفًا. ونجد كناية أخرى في قوله: " خيرَ الواقفين على الجِمَارِ" كناية عن الكرم وكثرة الإيقاد تحت القِرى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويوظف حسان بن ثابت المرأة سياسيًا في قصيدته التي يهجو فيها عيينة بن حصن[1]، فيدعو قوم عيينة بأولاد اللقيطة، للنيل منهم بسبب إغارتهم على لقاح الرسول صلى الله عليه وسلم، فغزاهم إثرها في ما سمي بغزوة ذي قرد.

(الكامل)

هلْ ســـرّ أولادَ اللقيطةِ أنـــنا سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ المِـــقْدَادِ[2]

كنا ثمـــانيةً، وكانوا جحـــفلاً لجبا، فشلوا بالرماحِ بـــدادِ[3]

لولا الذي لاقتْ ومسَّ نسورها بجنوب سايةَ أمسِ بالتقوادِ[4]

أفْنى دَوَابـــِرَها[5] وَلاحَ مُتُونَها، يومٌ تقـــادُ بهِ ويومُ طـــرادِ

---

[1] هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وهو الذي كان يسميه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأحمق المطاع لأنه كان يتبعه ألف قناة، أغار في خيل من غطفان على لقاح من رسول الله" اللقاح الإبل الحوامل ذوات الألبان" وفيها رجل من بني غفار وامرأة فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح، فركب في طلبه ناس من الأنصار فيهم أبو قتادة الأنصاري الحرث بن ربعي أخو بني سلمة والمقداد ابن عمرو، وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود حليف بني زهرة، فردوا السرح وقتل رجل من فزارة يقال له احكم بن أم قرفة جد عبدالله بن مسعدة.

[2] اللقيطة أم حصن بن حذيفة التقطها حذيفة في جوارٍ قد أضرت بهن السنة، فضمها إليه ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها؛ واللقيطة: المنبوذة .

وقوله فوارس المقداد، فالمقداد : هو المقداد بن الأسود قيل لما سمع سعد بن زيد الأنصاري وكان هو رئيس هذه السرية، قول حسان غداة فوارس المقداد عاتبه فاعتل حسان له بالقافية.

[3] اللجب: الكثير الصوت، وقوله فشكوا بالرماح: أي طعنوا بالرماح ، وقوله بداد فعال من التبدد التفرق.

[4] قوله لولا الذي لاقت يريد الخيل وأضمر، والنسور: جمع نسر وهو لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة.

ساية: واد بين المدينة ومكة، والتقواد: تفعال من قادة الرفس ونحوه.

[5] دوابرها من الدبر: وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة وقيل هو أن يقرح خف البعير فدبر ، وقوله ولاح متونها ، فالمتون : الظهور ولاح متونها: من قولهم لاحه العطش ولاحته الشمس، ولوحته غيرته، والطراد مطاردة الأقران والفرسان وهو أن يحمل بعضهم على بعض في الحرب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للقيــنكم يحــملنَ كلَّ مدجــجٍ حامي الحقيقَةِ مَاجِدِ الأجْدَادِ[1]

كُنّا مِنَ الــرَّسْلِ الّذين يَلونَكُمْ، إذْ تقذفونَ عنانَ كلّ جــوادِ[2]

كلا وربَّ الراقصاتِ إلى منىً وَالجَائِبِينَ مَخَــارِمَ الأطْوَادِ[3]

حتى نبيلَ الخيلَ في عرصاتكمْ، ونؤوبَ بالمــلكاتِ والأولادِ[4]

زَهْواً بِكُــلّ مُقلِّــصٍ وَطِمِرّةٍ ، في كلّ معتركٍ عطفنَ ووادِ[5]

كانــُوا بِــدَارِ نَاعِمِــينَ فبُدّلوا، أيّام ذي قَــرَدٍ[6]، وُجُوهَ عِبَادِ[7]

يتوعدهم حسان بالهزيمة والذل وذلك بسبي نسائهم وبول خيلهم في عرصاتهم، فنراه يوظّف المرأة هنا وسيلة لهجاء عيينة وقومه وإلحاق الذل بهم، فبعد أن أشار إلى سوء سيرة الأم، في مستهل قصيدته، يهددهم بسبي نسائهم في آخرها.

يعمد حسّان في أبياته إلى الكناية، فمثلًا في وصفه خيل المسلمين يقول إنها متعبة فهي في يوم تُقاد؛ أي في شؤون العيش والعمل، ويوم طراد؛ أي في الحرب، وهو يجعل ذلك علة

---

[1] قوله للقينكم جواب لولا، والمدجج: الكامل السلاح، وقوله حامي الحقيقة . فحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدفاع عنه وحمايته، والحقيقة الراية: والحقيقة الحرمة .

[2] قوله كنا من الرسل تقول رجل رسل أي فيه لين واسترسال، ويلونكم: أي يصادقونكم من الولاء.

[3] الراقصات هنا: الإبل والرقص ضرب من مشيها، والجائبين: من جاب المفازة، وجاب البلاد: قطعها سيرا، والمخارم: الطرق في الجبال وأفواه الفجاج. المخرم الطريق في الجبل أو الرمل وقيل منقطع أنف الجبل ولكن المراد هنا الطرق في الجبال، والأطواد : الجبال المرتفعة وقوله كلا ورب الراقصات يقصد لن نبقى على هذا الولاء ولا بد من أن نبيل الخيل في عرصاتكم، و"كلا" بمعنى لا ولكنها آكد في النفي والردع من "لا" لزيادة الكاف.

[4] قوله حتى نبيل الخيل هو من البول أي نجعلها تبول، والعرصات: جمع عرصة وسط الدار، ونؤب: نرجع، والملكات: النساء اللائي أملكن.

[5] قوله رهوا بالراء فالرهو: مشي في سكون وتقرأ زهوا بمعنى الكبر والتيه والعظمة، وفرس مقلص: مشرب مشمر، وطمرة: أي فرس وثابة سريعة، والمعترك: موضع العراك والقتال.

[6] . ذو قرد ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر وبه سميت سرية ذي قرد أو غزوة ذي قرد، وعباد: أي عبيد.

[7] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تصحيح عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، 1966، ص164.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لعدم النيل من بني فزارة كما ينبغي. ونجد الكناية في قوله "إذ تقذفون عنان كلّ جواد" وهذا كناية عن الفرار وترك ساحة الحرب. والكناية جلية في قوله "حتى نبيل الخيل في عرصاتكم" كناية عن إلحاق الهزيمة بهم والسيطرة على مرابعهم.

على أنّا نلحظ بعض الرواسب الجاهلية في أبيات حسان، فهو يتوعدّ بني فزارة بإذلالهم وسبي نسائهم وولدانهم، ولا يأتي بذكر على قصد هدايتهم وإخضاعهم للإسلام، وهذه هي غاية الدين، فالإسلام لا يتعامل مع الناس من منطلق الصراع القبلي والانتقام، بل من منطلق أنهم ضالون منحرفون عن الحق والهداية، ووظيفته أن يدلّهم على طريق الرشاد ترغيبًا، وترهيبًا إذا اقتضى الأمر. وربما نلتمس العذر لحسان هنا، بالنظر إلى ما فعله قوم عيينة من عمل دنيء خسيس بالإغارة على لقاح الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان حسان مُغضبًا جدًّا، لذلك ركّز في قصيدته على جزئية الإذلال والانتقام.

ونرى الشاعر عبّر عن شدّة رغبته في الثأر والانتقام وعن رفضه الشديد للصلح مستعملًا الكناية؛ فقوله " حتى تنحط الخيل بالقنا" أي حتى تُنهك الخيل فتصدرَ صوتًا يدلّ على شدّة إعيائها من كثرة القتال، أو بعد طعنها بالقنا، وفي الحالين فالدلالة هزيمة الأعداء والمبالغة في الثأر.

وقد تغزل بعض الشعراء ذوي الانتماءات السياسية في صدر الإسلام والعصر الأموي بالمرأة لأهداف سياسية، وهذا ما يمكن تسميته بقصيدة الغزل السياسي، الذي نظمه أصحابه بغرض الهجاء والانتقام من أصحاب السلطة، فنجد عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يشبب برملة بنت معاوية، إذ يقول:[1]

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، جزء6،تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، جزء5، ص26-27.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الخفيف)

طال ليلي وبــتُّ كالمحــزونِ ... ومللتُ الثــواءَ في جــيرونِ[1]

ولذاك اغتربتُ بالشــامِ حــتى ... ظنَّ أهلي مــرجَّماتِ الظنونِ

عن يساري إذا دخلتُ من البــا ... بِ،وإن كنتُ خارجاً عن يميني

تجعلُ النــدَّ والألــوَّةَ والــعو ... دَ صلاءً لــها على الكــانونِ[2]

وإذا ما نسـبتها لن تــجدَهــا ... في ســناءٍ من المكــارمِ دونِ

وقبابٍ قد أُشرِجتْ، وبــيوتٍ ... نطَّفوها بالآسِ والزرجــونِ[3]

ثم خاصرْتُها إلى القبَّةِ الخض ... راءِ نمشي في مرمرٍ مسنونِ[4]

قبةٍ من مــراجلٍ ضــربوها ... عندَ حدِّ الشتاءِ في قيــطونِ[5]

وإثْرَ هذه القصيدة شرع يزيد بن معاوية يبحث عن شاعر هَجّاء ليهجو الأنصار كلّهم بجريرة ما فعل عبدالرحمن تجاه أخته، فطلب ذلك إلى كعب بن جعيل التغلبي، وكان مسلمًا منعه

---

[1] جيرون: دمشق.

[2] النَّدُّ : ضَرْب من الطيب يُدَخَّن به.(لسان العرب. مادة ندد)اللُّوَّةُ العود الذي يُتبخَّر به لغة في الأَلُوَّة فارسي معرب كاللِّيَّة وفي صفة أَهل الجنة مَجامِرُهمالأَلوَّةُ أَي بَخُورهم العُود وهو اسم له مُرْتَجل وقيل هو ضرب من خيار العود.(لسان العرب. مادة لوى).

[3] أشرج: شَرَج عليها أَي بَنى عليها بِناء(لسان العرب. مادة شرج). الآس: شَجَرَةٌ معروفةٌ ، يكثر بأرضِ العربِ ، يَنْبُتُ في السَّهْل والجبل ، وخُضرَتُه دائمةٌ، ينمو حتى يكون شَجَرَاً عِظاماً الواحدةُ: آسَةٌ.(تاج العروس. مادة أوس).

الزَّرَجُون القضيب يغرس من قضبان الكَرْم، ومنبته: الشام، لأَنها أَكثر البلاد عنباً ، وقيل: الزَّرَجون الخمر، وقيل: الزرجون: فارسي معرّب تعني لون الذهب، لأَن زَرْ بالفارسية الذهب وجُون اللَّون وهم يعكسون المضاف والمضاف إليه.(لسان العرب. مادة زرجن).

[4] قصر الخضراء: دار الخلافة بدمشق إلى الجنوب من مسجد بني أمية.(البلاذري، أنساب، جزء5، ص27). المَسْنون المُمَلَّس.(لسان العرب، مادة سنن)

[5] قيطون:بلدة بإفريقية ، ولا وجه لها إلا إذا كان اسمًا دمشقيًا اندثر.(البلاذري، أنساب، ص26)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إسلامه من هجاء من نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن دلّه على الأخطل التغلبي النصراني، فوافق الأخطل على أن يمنعه يزيد منهم، فهجاهم بقصيدة أشهر أبياتها قوله:[1]

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالسَّمَاحَةِ والنَّدَى واللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنصارِ

فذَرُوا المَعالِيَ لَسْتُمُ من أَهْلَها وخُذُوا مَساحِيَكُمْ بَنى النَّجَّارِ[2]

وبالعودة إلى أبيات عبد الرحمن بن حسان، نلحظ أنه قصد أن ينال من عرض الخليفة الأموي وشرفه المتمثّل بابنته رملة، بسبب الخلاف القديم المتأصّل بين الأنصار والأمويين، والذي استمرّ وتفاقم حتى بلغ أفظع صوره في وقعة الحرّة الدامية (63هـ)أيام حكم يزيد بن معاوية. ولمّا لم يكن الأنصار خاصة، وأهل الحجاز عامة، قادرين على المواجهة العسكرية أيام معاوية رضي الله عنه، ولم يكن معاوية يمكنهم من ذلك، فقد عمد شعراؤهم إلى مواجهة من نوع آخر، هي الغزل الكيدي، لما للعِرض وللشأن النسوي من حساسية معروفة عند العرب، دفعتهم في الجاهلية إلى وأد بناتهم خشية العار جراء السبي وغيره مما قد يلحق بالمرأة نتيجة ظروف اجتماعية تُفرَض عليها.

وعبد الرحمن في أبياته يركّز على مشهد الترف والبذخ الذي يمتاز به القصر الأموي في الشام، وفي هذا تعريض مبطن، بالنظر إلى الثقافة الإسلامية السائدة في مجتمع المدينة خاصة حول ضرورة زهد الحاكم وميله إلى خشونة العيش، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، كي يكونوا أسوة لكل من يتولى أمور المسلمين. ففي الأبيات سرد واضح لتفاصيل الترف، من قباب ومرمر مسنون، وحدائق ملأى بالورود والأشجار دائمة الخضرة، وثياب مضمخةبالأطياب والعطور وغير ذلك.

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، ط2، 1977، ص491.

[2]. المساحي: جمع مسحاة، وهي آلة من حديد تقشر بها الأرض.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على أنّ وصف مشهد الترف الأموي لم يكن هو المقصد الأول لعبد الرحمن من أبياته، بل تكمن غايته الأولى في قوله " ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء ..."، فقد ورد أنّ معاوية لم يأبه لكل أبيات عبد الرحمن وقد أنشدها يزيد الذي كان مغضبًا جدًّا على مسمع أبيه، وجاء يحرّضه على الشاعر الأنصاري، لكنه توقّف عند قوله المذكور " خاصرتها" ورأى فيه الغمز من عرضه والطعن في شرفه[1] لأن معاوية عرف أن الشعر ينتشر بين العرب انتشار النار في الهشيم، لاسيّما ما كان فيه تشبيب ببنت الخليفة، وربما صدّق جلّ الناس قول عبد الرحمن وهو ابن صحابي مشهور كان شاعرًا للرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الناحية الفنية، فالقصيدة من البحر الخفيف الذي ناسب الدعة واللين والترف في حياة القصور، وناسب غرض الغزل، وإن كان غزلا سياسيًا بقصد الهجاء. وقد كانت عبارات الشاعر تدلّ على براعته في النظم، نجد ذلك جليًّا في قوله:

عن يساري إذا دخلتُ من البا ب، وإن كنتُ خارجاً عن يميني

فقد أظهر براعة في التقديم والتأخير، وسيطرة على توزيع المفردات على مساحة البيت الشعري بما يناسب الوزن دون إخلال بالمعنى المنشود، بل بتمامه وجماله. ونلحظ في هذا البيت تحديدًا أن الشاعر عمد إلى الطباق في قوله: "يميني، يساري"، "دخلت، خارجًا"، فزاده رونقًا، وأوضح به المعنى المراد. ، وفي قوله: "خاصرتها إلى القبّة الخضراء" يقدّم بنت الخليفة الأموي تمشي برفقة شاب يخاصرها، وهو لا يتورع عن تحديد وجهته مخاصرا لابنة الخليفة أي يلف ذراعه حولها واضعًا كفه على خصرها، في حركة مألوفة بين رجل وامرأة عاشقين، فيتجه برفقتها إلى القبة الخضراء، وهي قصر الخلافة بدمشق في حركة توحي بالتحدي.

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، جزء5، ص26.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يفوتنا، ونحن نطرق باب الغزل السياسي، أن نذكر غزل عبد الله بن قيس الرقيات بأم البنين زوج الوليد بن عبد الملك إذ يقول فيها:[1]

(مجزوء الوافر)

ألا هزِئت بنـــا قُرَشِيّـَةٌ ... يـــهـــتـــزُّ مـــــوكبـُـهـــا[2]

رأت بي شيْبَةً في الرأ ... سِ منّـــي مـــــا أُغَـيـبُهـــا[3]

فقـــالت: أبـــنُ قَيْسٍ ذا؟ ... وغـــيرُ الشـــــيبِ يُعجِـــــبها

رأتْني قد مضى منّـــي ... وغضَّـــاتٌ صـــواحـبُهـــــا[4]

ظَلِلتُ على نَـــمارِقِـــهـــا ... أُفَـــــدِيـــها وأَخـــــــلُبُهـــــا[5]

إلى أن يقول مظهرًا تشبيبه وغزله السياسي بجلاء، ومفصحًا عن هويّة المرأة القرشيّة:

إلـــى أمِّ البـــنيـــنَ متـــى ... يُـقـــــرِّبُـــها مقـــرِّبُـــهـــــا[6]

أتتـــني فـــي المـــنامِ فقلـــ ... ـــــــــــتُ هذا حين أعقَبُهَا

فلمـــّا أنْ فـــرحـــتُ بـــها ... ومالَ عـــليَّ أعْـذَبُـــهَـــــا[7]

شـــربـــتُ بريقـــِها حـــتى ... نَهِلْـــــتُ وبـــتُّ أُشْـــرِبُـــهـــا[8]

---

[1] ابن قيس الرقيات، الديوان، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1995، ص55.

[2] يهتز موكبها: يتحرك سريعا في جيئة وذهابا.

[3] ما أغيّبها: أي لا أحاول إخفاءها والضمير عائد على الشبيه.

[4] مضى مني: أي مضى شبابي وأكثر عمري. غضات: جمع غضّة، والمرأة الغضة: الشابّة الفتيّة. يقول متحسرًا ضاع عمري وشبابي بينما هي وصواحبها يتمتعن بغضاضة الشباب ورونقه.

[5] النمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة والمتكأ. أخلبها: أفتنها.

[6] حين أعقبها: أي حين تصير عقباها إليّ، والعقبى: العاقبة والمراد حين تصير إليّ.

[7] مال عليّ أعذبُها: فمها العذب.

[8] شربتُ بريقها: أي رويت ظمأي من رضاب ثغرها وريقها. نهلتُ: من النهل وهو الشرب الأول. أشربها: أسقيها بدوري.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبتُّ ضجيعَها جذلا نَ تُعـــجبـــنـــي وأعجـــبُـــهـــا[1]

فهو لا يتهم زوج الخليفة على وجه الحقيقة بمسايرته وتمكينه من نفسها، لكنه يتخذ من المنام وسيلة إلى ذلك، ويصوّر أم البنين امرأة تأتي مخادع الرجال وتصنع ما تصنع الفتاة اللعوب التي لا تصدّها عفة ولا نسب ولا دين. وهو يقصد النيل من عِرض الخليفة الأموي، نحو ما فعل عبد الرحمن بن حسان مع معاوية وابنه يزيد، لكنّ ابن قيس الرقيات أكثر جرأة وأشد هجومًا، ويعجب المرء من شاعر ينبري ليقول مثل هذا الشعر ثم يكون في ظنه أنه سيسلم من بطش الخليفة وعماله، ومهما يكن فالأبيات تظهر مدى العداء الذي كان بين الحجازيّين والأمويّين، وأن شعراء الحجاز، ما فتئوا يعمدون إلى الأسلوب نفسه في النيل من حكام بني أمية، وهو التشبيب بنسائهم، وتصويرهن في أحوال مشينة متهتكة، فبعد مواجهات دامية لأهل المدينة مع الأمويين في وقعة الحرة، وما جرى بعد ذلك في مكة أيام الزبيريين وانتهى بمقتل عبدالله بن الزبير وصلبه في مكة، فيبدو أنّ الحجازيين رجعوا إلى المواجهة الكلامية المتمثلة بأنماط من الأدب، منها الخطابة وهذا الغزل السياسي الهجائي وغيرهما.

والقصيدة من النوع الماجن المتهتك، وهذا غاية فيها، فلا بد أن تكون متهتكة لتؤدي غرضها في النيل من العِرض الأموي، وهو يذكّرنا بغزل عمر بن أبي ربيعة وصراحته الحسية الشديدة، لكن مع اختلاف الغرض، فنجد في أبيات ابن قيس الرقيات تفاصيل كثيرة للمجون يصوّر لنا أنه يتشاطرها مع زوج الخليفة، من قبيل "مالَ عليّ أعذُبها"، و " شربتُ بريقِها... وأشربُها "، و" بتّ ضجيعَها ... تعجبني وأعجبها" وهذا منتهى الطعن بالعِرض والشرف، والتمادي الشديد في التعرّض لحرم الخليفة، ونفي العفّة والحصانة عنها، بل خلع رداء الحياء عنها ونسبة التهتك إليها.

[1] الجذلان: الفرح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من الناحية الفنية، فالقصيدة بُنيت على وزن مجزوء الوافر، فكانت سريعة الإيقاع، وبدت مناسبة للتهكّم الذي تنطوي عليه، ومناسبة للمشهد الحميمي الحركي الذي صوّره الشاعر، وجعل بطلته زوج الخليفة. والقافية البائية الهائية مع المدّ وكأنها عزّزت هذا المشهد من الناحية اللفظية الإيقاعية.

وظهر التجنيس جليًا في الأبيات، وعمد إليه الشاعر ليضفي على القصيدة رونقًا وإيقاعًا داخليًا، وربما ليبث رسالة مفادها أنّ موقفهم الهجومي من بني أمية قائم على المعاملة بالمثل، فبنو أمية هتكوا عرض الحجازيين في وقعة الحَرّة، فيما تنقل كتب التاريخ. وكذلك أسهم التجنيس بقوة في المعنى الهجائي المنشود؛ فالجناس الناقص في كل من المواضع الآتية: "يقرِّبُها مقرِّبُها" و" شربتُ .. أُشْرِبُها" و"تعجبني وأعجبُها" ساعد في تشكيل معنى المسايرة من لدن زوج الخليفة وتمكينها من نفسها، وكان هذا أقصى غاية الشاعر في سعيه للنيل من العِرض الأموي.

ولا يفوتنا أن نلحظ الصورة في قوله "شربت بريقها"، فلعله أراد تشبيه ريقها بالخمر، فشرب وسكر من ريقها، أي قبّلها كثير تقبيل. وربما أراد كثرة التقبيل حدّ الارتواء، ومهما يكن فالصورة أسهمت في تجلية المعنى الذي قصد إليه الشاعر، وهو تمكّنه من هذه المرأة وارتوائه منها، وتمّم المعنى في مختتم البيت حين قال "وبتُّ أشربها"، للدلالة على تشاطر المتعة، والقصد من وراء ذلك إشباع حنقه وحقده على الأمويين، وبلوغ أقصى النيل من عِرضهم، وجعلهم مادة للسخرية والتهكم بين الرعية.

وامتازت القصيدة بأبياتها المدوّرة في أبيات عدة، مثل:

وبــتُّ ضــجــيعَها جــذلا نَ تُــعـــجبـني وأعــجبُــهــا

شــربــتُ بريــقِها حــتى نَهِلْـــتُ وبــتُّ أُشْــرِبُـــهــا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أتتنـــي في المـــنامِ فقـــلـــ ـــــــــــــتُ هذا حين أعقَبُهَا

وهو ملمح فنّي، يشير إلى سيطرة المعنى الذي يعتمل في نفس الشاعر عليه، وحضوره القوي في نفسه، فهو يريد إفراغ قريحته من حنقه الشعري والشعوري على الأمويين، ولا يعاود النظر في الصياغة الشعرية كي يتجنّب التدوير الذي ربما رآه بعض الشعراء والدارسين ضعفًا أو عيبًا إيقاعيا. لكن ربما دلّ التدوير على براعة الشاعر، وتمكّنه من الصياغة الشعرية بما يوافق تدفق المعاني في ذهنه.

وله فيها أيضا:[1]

(مجزوء الكامل)

أصحـــوتَ عـــن أمّ البنـــينَ وذكـــــرِهـــا وعنَائِـــهـــا[2]

وهجـــرتَـــها هجرَ امـــرئٍ لم يَقْلُ صـــفوَ صـــفـــائِهَا[3]

قُرشيّـــةٌ كالـــــشمس أشْـــ ـــرَقَ نـــورُها بـــبهائِهَـــا[4]

زادتْ عـــلى البِيض الحِـــسا نِ بحُـــسنها ونـــقائِهـــــا

لـــمـــا اسبـــكَرَّتْ للـــشـــبا بِ وقُنّعَتْ بردائِـــهـــــا[5]

لـــم تـــلتـــفت لِـــلـــداتِهـــا ومضـــتْ على غُـــلوائِـــهَا[6]

لـــولا هَـــوَى أمِّ الـــبنيـــنَ وحـــاجـــتي لِـــلـــقـــائِـــهَا

---

[1] ابن قيس الرقيات، الديوان، تحقيق عمر الطباع، ص35.

[2] العناء: النصب والتعب.

[3] لم يقل: لم يبغض، من قلا.

[4] قرشيّة: نسبة إلى قريش، يشبه أم البنين بالشمس بجامع البهاء والضياء.

[5] اسبكرّت: استقامت.

[6] اللدات: جمع اللدة وهي الترب(مثيلتها في العمر). الغلواء: الغلو.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قد قُرِّبَــت لـــي بــغلةٌ مــحبوسَةٌ لنَجائِـــــهـــــا[1]

فهو يمعن في وضع أم البنين موضع الشبهة، حتى ليصدّق المرء أنّ بينه وبينها علاقة حميمة، فهو في هذه الأبيات لا يركّز على المُعطى الحسّي في العلاقة المتخيَّلة المزعومة، نحو ما فعل في الأبيات السابقة، لكن يتناول المُعطى العاطفي والهجر والدلال، ويتطرّق إلى حسنها، ويختصر ذلك بقوله "زادت على البيض الحسان بحسنِها" فهي عبارة مختصرة، لكنها واسعة المعنى.

وما يجدر أن يُقال هنا إنّ الشاعر ابن الرقيات عنده مشروع هجائي ممنهج ضدّ الأمويين ممثّلًا بالخليفة الوليد بن عبد الملك، وحقيقة الأمر أنه مشروع الحجازيين كلّهم، ينفذه شعراؤهم، أو بعضهم، عبر هذا الغزل السياسي الهجائي، الذي تُوظَّف فيه المرأة على المستويين الحسّي المادي والعاطفي المعنوي، للنيل من بني أمية على الصعيد النفسي والاجتماعي، تعويضًا عن العجز العسكري والسياسي أمامهم.

وغيرَ ابن قيس الرقيات، نجد العرجي يشبب بجيداء أم والي مكة محمد بن هشام بن عبد الملك، وبزوجته جبرة، إذ يقول:[2]

(الكامل)

عــوجِي عليَّ وسلِّمي جَبْــرُ فيمَ الصدودُ؟ وأنتــمُ سَــفْـــرُ

فكفى به هَــجْرًا لَــنا ولَكُــم أنّــى، وذلــكَ فاعْلَــمِي الهَجْرُ؟

---

[1] النجاء: الخلاص.

[2] العرجي، عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان(ت 120هـ)، الديوان، تحقيق سجيع الجبيلي، دار صادر، بيروت، 1998، ص232-233.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا نلتقي إلاَّ ثــلاثَ مِــنَــىً حتّى يشَــتِّتَ بيننا النَّفْـــــرُ[1]

بالشَّهرِ بعــدَ الحولِ نُتْبــعُهُ ما الدَّهْــرُ إلا الحولُ والشَّــهرُ

لو كنتِ ماكثةً عــذرْتُكُـــمُ لِبعادنا، ولَكانَ لي صَــبْــرُ؟

عن حبّكُمْ ونــذَرتُ صَرْمَكُمُ حينًا، وهل لــمــتَيَّمٍ نـــذْرُ؟[2]

فالعرجي يصنع مع جبرة ذات صنيع ابن قيس الرقيات مع أم البنين، فهو يوهم الناس أنّ بينه وبينها علاقة، وموعد ولقاء، ومن ثمّ هجر وشوق وانتظار طويل ونفاد صبر، وهو ما يكون بين العشّاق عادة. وفي مستهل أبياته يطلب إليها المرور به والسلام قبل سفرها. ويمعن في نسبة التهتك إليها حين يتهمها أن لقاءه بها يكون في موسم الحج، وتحديدًا في أيام منى. والقصد من وراء ذلك جليّ، وهو النيل من شرف الوالي وعِرضه، وإيذاؤه نفسيًا واجتماعيًا، إذ لنا أن نتصوّر مدى سخرية الناس من الوالي حين شاعت هذه الأبيات بينهم.

فنحن أمام أسلوب حجازي متجدد مع كل عصر، وجدناه منذ معاوية مرورًا بيزيد وصولًا إلى الوليد بن عبد الملك ثمّ الوالي محمد بن هشام، أي نحن نتحدث عن حوالي نصف قرن من هذا الهجوم الغزلي الهجائي الذي يبدو كان فعّالًا ومؤلمًا للأمويين، لذلك دأب عليه شعراء الحجاز وطوّروه ونوّعوا أساليبه. ومع تباين تفصيلاته وأفكاره لكن العنصر المشترك في كل قصائده هو توظيف المرأة جسديًا ومعنويًا للنيل من الرجل الحاكم المرتبط بها، زوجًا أو أبًا أو أخًا أو ابنًا أو غير ذلك.

ما يلفت من الناحية الفنية في أبيات العرجي هو التكرار، لا سيّما في قوله:

بالشَّهرِ بعدَ الحولِ نُتْبِعُهُ ما الدَّهرُ إلا الحولُ والشهرُ

[1] ثلاث منى: اليوم الثالث حيث ينفر الحجيج، وهو النفر الثاني، أما النفر الأول فموعده في اليوم الثاني.

[2] الصرم: القطيعة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالتكرار جليّ في مفردتي "الشهر"و" الحول"، وفيه تعبير عن معنى الانتظار الطويل لرؤية المحبوبة زوج الوالي من الحول إلى الحول. وهذا التكرار حقّق كذلك وظيفة إيقاعية وجمالية، وجعل الأبيات مغرية للملحنين والمغنّين، وهذا في حد ذاته غاية قصد إليها هؤلاء الشعراء، فهم لا يكتفوون بنظم هذا الشعر وبثه بين الناس، بل بجعله قابلًا للغناء، وجذّابًا لأهل الطرب والألحان، وإذا غُنّي الشعر ازداد شيوعًا بين الناس كما هو معلوم.

وحين تولّى محمد بن هشام إمارة الحج، بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك، وهو ما لم يرُق للعرجي، فشبّب بأم الوالي واسمها جيداء، ومما قال[1]:

(الوافر)

إلـــى جَيـــْدَاء قد بعـــثوا رسولاً ... ليُخْبِرَها فلا صُـــحِبَ الرّسولُ

كأنَّ الـــعامَ ليـــس بـــعامِ حَـــجٍّ ... تَغيَّرتِ المـــواسمُ والشُّكُـــولُ[2]

وقال فيها:[3] (الكامل)

عُوجِي علينا رَبَّـــــةَ الـــــهَـــوْدَجِ ... إنَّكِ إن لا تفْعَلِي تَحـــْرُجِـــي[4]

أيْسَـــرُ ما نـــال مُـــحـــبٌّ لـــــدَى ... بَـــيْنِ حَبيـــبٍ قولُهُ:عَـــــرِّجِ[5]

تُقْضَ إليـــــــه حـــاجَـــةٌ أو يَـــقُلْ ... هلْ لِيَ مِمَّـــا بِيَ مـــن مَخْرَجِ[6]

إنّـــــي أُتيـــحتْ لـــي يـــــمانيّـــةٌ ... إحْدى بني الحارث من مَذْحِج

---

[1] العرجي، الديوان، ص301. الأصفهاني، الأغاني، جزء1، ص391. جيداء: أم محمد بن هشام(الوالي) وهي من بني الحارث بن كعب. وكانت بين الوالي والعرجي عداوة.

[2] الشكول: جمع شكل أي الأشكال.

[3] ديوان العرجي، ص191،189. الأصفهاني، الأغاني، جزء1، ص393.

[4] عوجي: ميلي. الهودج: محمل النساء على ظهر البعير.(الديوان، ص189)

[5] عَرَّجَ: مال. أمنية العاشق أن يدعو حبيبه إلى داره.(الديوان، ص189).

[6] المخرج: الملجأ والمفر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نَلْـبَثُ حولاً كاملاً كُـــلَّـــهُ لا نلتــقي إلا عــلى مــنَهَـــجِ

في الحَجِّ إن حَجَّتْ،وماذا منىً وأهْلـــــهُ إن هي لم تَـــحْـــجِجِ[1]

فنلحظ الإلحاح على استحضار موسم الحج في معرض الغزل السياسي، ويمكننا بالتأمل والتحليل أن نعزو ذلك إلى أسباب عدة، منها أن موسم الحج عند الحجازيين كان فرصة لرؤية النساء الوافدات من الشام وغيرها من بقاع العالم الإسلامي، حيث بقعتهم، باحتضانها لكعبة الإسلام، هي مهوى الأرواح والقلوب والأبدان من لدن جميع المسلمين والمسلمات. حتى وإن كن أيضا يقطنَّ الحجاز، وممّا يزيد حدة الهجاء السياسي للوالي هو إلصاق تهمة عدم العفة بهؤلاء النسوة في خضمّ موسم الحج، حيث يُتوقّع مزيد التقوى والورع والترفّع عن الدنايا في محضر الإحرام والتلبية والإقبال على الله سبحانه، ففيه مزيد طعن ونيل من شرف الوالي، ومن ثم النجاح في تحقيق المسعى المنشود في نفوس هؤلاء الشعراء الذين يعبّرون عن مآرب سياسية، فالعرجي وإن كان أموي النسب، إلا أنه لم يغادر الحجاز ولم يشغل منصبا سياسيا يتناسب مع مكانته الاجتماعية والسياسية على حد سواء، خاصة وأنه حفيد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والذي كان مقتله رضي الله عنه سببا مباشرا في نشأة الدولة الأموية.

وبالتأمّل في مضمون الأبيات نجد أنّ النصل المسموم كان في قول العرجي: " نَقْض إليكم حاجةً" أي يقصد أن يخلو بجيداء ويقضي منها وطره، وفي ذلك ضربة موجعة، واتهام قاس، وأسلوب فعّال في الإيذاء أتقنه العرجي وغيره من الشعراء الحجازيين الذين خاضوا غمار الغزل السياسي.

[1] منى: من مناسك الحج. أراد أن الفائدة من الحج هي لقاؤها بين الحجيج.(الديوان، ص191).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والشاعر بنى أبياته من أولها إلى آخرها، لتكون مادة مكتنزة لإيذاء خصومه الأمويين، ففي قوله " إنّي أُتيحتْ لي يمانيةٌ" ويقصد بها أم الوالي، استخفاف شديد بمقام الخلافة، واستهتار كبير بالقيم الأخلاقية وصيانة الشرف. لكن يمكننا أن نفهم هذا التمادي، اللاأخلاقي في ظاهره، بالنظر إليه أنه حرب محتدمة وصراع مرير بين فئة بيدها السلطة وفئة أخرى سُلبت منها السلطة وأسباب القوة، ولم يبق لها إلا الشعر والكلام.

وأكبر الظن أن هذا الشعر قد غُنّي لما فيه من الإيقاع والجاذبية الغنائية، ولما فيه من الإبداع الشعري والبلاغة اللافتة، ولنا أن نتأمّل في جمال قوله:

في الحَجِّ إن حَجَّتْ،وماذا منىً وأهْلُــهُ إن هي لم تَــحْــجِــــجِ

فهو يراها تعطي المكان الذي تنزل فيه وأهله القيمة لا العكس، حتى لو كان مشعرًا من مشاعر الحج، وسؤاله "وماذا منى وأهله ..." غرضه النفي، أي ليس منى وأهله بذي قيمة وجمال عنده إن هي لم تشهد موسم الحج ولم تنزل في منى.

فنحن أمام شاعر يبدع في شعره الغزلي السياسي الهجائي ليشيع بين الناس وليُغنّى فيشيع أكثر، وبذلك يتحقّق هدفه في النيل الشديد من الأمويين.

وكان الشاعر زفر بن الحارث الكلابي[1]زعيما للقيسية الذين حاربوا قبيلة كلب الموالية لعبد الملك بن مروان في معركة مرج راهط، وهُزم القيسيون فيها وأصيب يومها ثلاثة بنين لزفر، وكان مما قال في أعقاب المعركة:[2]

[1] زفر بن الحارث بن عمرو بن معاذ الكلابي، أبو الهذيل.أمير، من التابعين، من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 75هـ.(الزركلي، الأعلام، جزء1، ص 1323.)

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جزء3، ص385.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لعمــري لــقــد أبــقتْ وقيعةُ راهــطٍ لِمروانَ صدْعاً بيــننا متــنائيا

عـــشيَّةَ أعدو بالقـــرانِ فـــلا أرى من النّاسِ إلاّ مَن عَليَّ ولا لِيَا

أَيـــــذهــبُ يــومٌ واحــدٌ إنْ أســأْتُهُ بصالحِ أيّامي وحُسنِ بَــلائِيَــا

فلا صلحَ حــتى تتــحطَ الخيــلُ بالــقَنا وتثأرَ من نسوانَ كلبٍ نســائيا[1]

ففي البيت الأخير يرى زفر أنَّ للنساء نصيبًا من الثأر شأنهن شأن الرجال، ولعله أراد بذلك الإمعان في الثأر، ولم يرده على وجه الحقيقة، ومهما يكن فهو حضور للمرأة في صراع قبلي سياسي مرتبط بالحكم الأموي والموقف منه موالاةً ومناوءَة.

ويستغل معاوية المرأة في توطيد ملكه فيتزوج من ميسون بنت بحدل الكلبية، ابنة أكبر زعيم قبيلة في الشام. فقد عرف معاوية أهمية القبائل اليمنية في دمشق والشام، فضمن بذلك الزواج ولاءهم له ولأبنائه من بعده، لأن الخؤولة من أبرز ما تتحزب له القبائل العربية، هذا فضلا عن أن التصاهر عند العرب بمثابة التحالف السياسي.[2]

وفي أجواء هذا الزواج السياسي قالت ميسون شعرًا بعد زواجها من معاوية تظهر فيه تعاليها عليه، وتفضيلها حياة البداوة على أجواء قصوره على ما فيها من النعيم والترف، فما كان منه إلّا أن سرّحها إلى قومها. تقول: [3]

لَبَيْــتٌ تَخــفِقُ الأَرْيــاحُ فِيهِ أَحَبُّ إليَّ من قَصْرٍ مُنِيفِ

وأَصْواتُ الرِّيــاحِ بكُلِّ فَــجٍّ أَحب إلي من نقر الدُّفُوفِ[4]

---

[1] النحط: صوت الخيل من الإعياء، أو يقصد تصدر هذا الصوت بعد طعنها بالقنا، أي حين يهزمون أعداءهم.

[2] الدولة الإسلامية في العصر العباسي، ص42.

[3] البصري،صدر الدين علي بن أبي الفرج(ت656هـ)، الحماسة البصرية، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1999، جزء2، ص940.

[4] الفج: الطريق بين جبلين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكَلْبٌ يَتْبَعُ الأظْــعانَ صَعْبٌ أَحَبُّ إليّ مِن هِــرٍّ أَلِــيفِ

ولُبْسُ عَبــاءَةٍ وتَقــرَّ عَيْنِــي أَحَبُّ إليَّ مِن لُبْسِ الشُّفُوفِ

وخِــرْقٌ مِن بَنِي عَمِّي نَجِيبٌ أَحَبُّ إليَّ مِن عِلْجٍ عَلِيفِ[1]

فنجدها هنا عقدت موازنات عدّة لتوطّد فكرة تفضيل حياة البداوة على حياة القصور، فاستحضرت جملة من تفاصيل الحياة البدوية؛ كبيت الشعر المشرَع على الأفق والريح، والكلب الوفي الذي لا يفارق الظعن ويخلص لأصحابه، وفي ذلك تعريض خفي بما في حياة المدن من قلة الوفاء وتغليب المصالح الشخصية، والعباءة البدوية، والجمل البدوي الأصيل. وفي مقابل ذلك ذكرت القصر، والهر الأليف، وثوب الشفوف، والعلج العليف؛ أي الجمل غير العربي الذي يُعلف في مكانه ولا يرعى في الصحراء كالجمل العربي. وهذا أيضًا سيتبطن ذم أهل الحضر، وهي تقصد بذلك زوجها تحديدا، وتفضل عليه قريبها(الخرق الظريف).

ونجدها في ذكرها لتلك الموازنة جاءت على ذكر المسكن والملبس والحيوان المصاحب والركوب، لكنّها لم تذكر المأكل، لأنّ في ذكر المأكل منقصة، إذ ليس من عادة العربي أن يذكر مأكله حتى لا يُظنّ أنه صاحب بطنة ونهم. وأثر عن العرب أنهم كانوا يطلبون الماء إذا عطشوا ولا يجدون ذلك نقصًا لمروءتهم، لكن لا يطلبون الطعام مهما بلغ بهم الجوع، لما يرونه من نقص المروءة في ذلك.

وكانت سكينة بنت الحسين قد رثت زوجها مصعب بن الزبير بعد مقتله في معركة مسكن (71هـ) في قتاله ضد الأمويين بقيادة عبد الملك بن مروان، فقالت:[2]

---

[1] العلج: الرجل الغليظ الشديد(لسان العرب. مادة عَلَج). والخِرْقُ من الفِتْيان الظريف في سَماحة ونَجْدة.(لسان العرب. مادة خَرَق).

[2] العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، جزء3، ص135.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الطويل)

فَإن تقتلوه تقتُلُوا الماجِدَ الذي يرى المــوتَ إلا بالسيُوفـِ حَرَامَا

وقبلك ما خَاضَ الحُسَين مَنِيَّة إلى السيــفـِ حتى أوردُوهُ حِمَامَا

ففي هذين البيتين للسيدة سكينة، نجد حضورًا جليًا للسياسة، مع أنهما قيلا في رثاء الزوج، وليس هذا بمستغرب، فالسيدة سكينة كانت جزءًا من أحداث سياسية محتدمة، إذ كانت إحدى سبايا بيت النبوة في وقعة كربلاء، وشهدت هذه المأساة من أولها إلى آخرها، وعاشت الصراع المرير بين قومها العلويّين وبين بني أميّة، وهي هنا تستحضر مأساة أبيها الحسين رضي الله عنه، وتربط شجاعة زوجها وإبائه ورفضه الخنوع بإباء أبيها وشجاعته. وفي البيتين إلماح قوي إلى ظلم الأمويين، ومسعاهم إلى إذلال سادة العرب وزعمائهم، فمن هؤلاء الزعماء من رضخ وخنع وانقاد بالترغيب والترهيب، ومنهم من أبى وواجه وقاوم حتى لقي حتفه.

ونلحظ كيف عمدت السيدة سكينة إلى الكناية للتعبير عن فكرة الإباء والشجاعة، ففي قولها: "الماجِدَ الذي يرى الموتَ إلا بالسيُوفـِ حَرَامَا" كناية عن هذا المعنى، ذلك إن الموت في ساحة المعركة بطعن السيوف دال دلالة واضحة على الإقدام والشجاعة والمواجهة والإباء.

ونجد الصورة في قولها عن أبيها الحسين رضي الله عنه:

وقبلك ما خَاضَ الحُسَين مَنِيَّةً إلى السيفـِ حتى أوردُوهُ حِمَامَا

فالاستعارة في " خاض منية"، وهدفت منها إلى إظهار مدى إقدام الحسين رضي الله عنه، دون أي تردّد، دفاعًا عن مبادئه، ورفضًا للذِلّة، حتى أنّه خاض في بحر المنية خوضًا. وقولها "حتى أوردوه حماما" استعارة أيضًا، حيث صورت الحِمام، وهو الموت، موردًا يُورد الناسُ بعضُهم بعضًا إليه بالقتل. فعبّرت بذلك عن قصد قتل الحسين والعزم عليه من بني أمية، فهي تريد القول إنهم قصدوا ذلك، وليست الأحداث هي التي أفضت إلى ذلك رغمًا عنهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كذلك عمدت السيدة سكينة إلى التجنيس في "تقتلوه" و "تقتلوا"، وفي " السيوف" و"السيف" للتعبير عن جو المواجهة والقتل والصراع المرير بين العلويّين والأمويّين من جهة، والزبيريّين والأمويّين من جهة أخرى. والتجنيس صورة من صور التكرار، والتكرار حشد لمتشابهات، فحين نجد هذا الحشد الواضح لألفاظ لها دلالة الصراع والقتل والدماء ندرك ما كان يعتمل في نفس وذهن السيدة سكينة من المشاهد الدمويةالتي رافقتها منذ كربلاء، وظلت تتراكم في نفسها، وظهرت جلية في كثير من شعرها وكلماتها.

وهذه هند بنت زيد الأنصارية ترثي حجر بن عدي المناصر القوي والصاحب الملازم لعلي بن أبي طالب في صراعه مع معاوية رضي الله عنهما قائلةً:[1]

(الوافر)

ترَفَّعْ أَيُّهَا الْقَمَــرُ الْمُــنِيرُ ... تَرَفَّعْ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيــرُ

يَسِيرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ ... لِيــقْتُلَهُ كَــمَا زَعَمَ الْخَــــبِيرُ

تَجَبَّرَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجــرٍ ... وَطَابَ لَهَا الْخَوَرْنَقُ وَالسَّدِيرُ[2]

وَأَصْبَحَتِ الْبِلاَدُ لَهُ مُحُــولاً ... كَأَنْ لَمْ يُحْيِهَا يَــوْمًا مَطِــيرُ

أَلاَ يَا حُجْرُ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ ... تَلَقَّتْكَ السَّلاَمَــةُ وَالســُّرُورُ

فَإِنْ تَهْلِكْ فَــكُلُّ عَــمِيدِ قَوْمٍ ... إِلَى هُلْــكٍ مِنَ الدُّنْيَــا يَصِيرُ

وهند في شعرها السابق تعبر عن موقفها السياسي الداعم لعلي والمناهض بقوة لمعاوية، وتصف الخلفاء الأمويين بالجبابرة، ولا تخفي رغبتها في انهيار دولتهم، فكأنها كانت تعلق أملًا

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، جزء6، ص220.

[2] الخورنق قصر في الحيرة بناه النعمان بن امرئ القيس(الحموي، معجم البدان، باب الخاء والواو وما يليهما).السدير: موضع معروف بالحيرة ، وقيل: السدير: نهر، وقيل: قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم، وأصلها فارسي.(الحموي، معجم البلدان،باب السين والخاء).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في ذلك على حُجر قبل مقتله. وتشير هند إلى الملك الوراثي الذي كرّسه معاوية رضي الله عنه فتشير إلى الخورنق والسدير، إشارة إلى الأكاسرة وجبروتهم، ثم هي تجاهر بمعاداتها للخليفة الأموي:

أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرْدَى عَدِيًّا وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَئِيرُ

والأبيات تمتاز بالإيقاع الجميل الذي حقّقه بحر الوافر، والموسيقى الداخلية التي حقّقها انسجام الكلمات وتناغمها، وسلاستها. ولم تخل من الجانب التصويري، فنلحظ الكناية في "الخورنق والسدير" كناية عن المُلك والبذخ والتجبّر، وكذلك في قولها "وشيخًا في دمشق له زئير" فهي تكنّي عن أحد أصحاب الإمام عليّ المناوئين للخط الأموي، وربما قصدت أبا ذرّ أو غيره. كذلك نلحظ الاستعارة في خطابها للقمر، فالشاعرة تؤنسنه وتسأله أن يترفّع ليرى مسير حُجر، وربما كانت دلالة ذلك رفعة شأن حجر بن عدي، فليس كالقمر يبحث عنه ويتفقّد مكانه. حتى أنّه بموته تمحل الأرض كأن لم يسقها مطر قطّ، وهذه من المبالغات الشعرية التي يسوّغها صدق الشاعرة في حزنها على الفقيد المقتول ظلمًا بحسب عقيدتها.

وللحكمة نصيب في أبيات هند الأنصارية؛ فقد اختممت قصيدتها ببيت من الحكمة، تبيّن فيه أن الموت هو المصير المحتوم لكل مخلوق:

فَإِنْ تَهْلِكْ فَكُلُّ عَمِيدِ قَوْمٍ إِلَى هُلْكٍ مِنَ الدُّنْيَا يَصِيرُ

وإلى جانب تعزية النفس ومواساتها في فقد حجر، فالحكمة هنا تستبطن ترهيب قاتلي حجر، وأنّ الموت لاقيهم لا محالة. لذلك نجد الشاعرة وظّفت الحكمة في محلّها، وجعلتها مختتماً ناجحًا لقصيدتها الرثائية السياسية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتحفظ الشاعر السيد الحميري في شعره على خروج السيدة عائشة، مشيرا إلى قضية كلاب الحوأب، إذ يقول: [1]

ولقد حلفت وقلت قولا صـــادقا ... بـــالله لـــم آثَـــم ولـــم أتـــريـــبِ

لمعاشرٍ غـــلبَ الشـــقاءُ عليـــهمُ ... وهـــوى أمالَـــهُمُ لأمـــرٍ مُتـــعِبِ

من حمْيرٍ أهل السماحة والنـــدى ... وقريشٍ الـــغرِّ الكـــرامِ وتغـــــلبِ

أين التطرّبُ بالولاء وبالـــهـــوى ... أإلى الكواذب من بـــروق الخُـــلّبِ[2]

أإلى أمـــيّةَ أم إلـــى شـــيعِ التـــي ... جاءت على الجمل الخِدَبِّ الشّوقبِ[3]

تهوي من البلد الحـــرام فنبّهـــــت ... بعد الـــهدوِّ بـــها كلابَ الحـــوأبِ

يحدو الزبير بها و طلحةُ عـــسكرًا ... يا للرِّجـــال لـــرأيِ أمٍّ مـــشجَبِ[4]

أمٌّ تـــدبّ إلى ابنـــــها ووليّـــــها ... بالمـــؤذيـــات له دبـــيبَ العـــقربِ

أما الزبـــيرُ فحاص[5] حين بدتْ له ... جـــأواء تبرقُ في الحديـــد الأشهب

فالشاعر يؤكد ولاءه لعلي وأبناءه رضي الله عنهم، ويحمّل طلحة والزبير رضي الله عنهما مسؤولية خروج السيدة عائشة إلى وقعة الجمل، ويهاجمهما بقوة، ويذكر نهاية الزبير ومقتله عقب معركة الجمل على يد ابن جرموز، وكان غادرها نادمًا في ما يقال.

---

[1] السيد الحميري، الديوان ، شرح وضبط ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 1999.ص38، 39.

[2] الخلّب: جمع خالب أو خالبة وهو الفاتن.

[3] الخدّب: الكبير العظيم. الشوقب: الطويل.

[4] المشجب: خَشَبَةٌ دَائِرِيَّةٌ أَوْ مُسْتَطِيلَةٌ تُعَلَّقُ أَوْ تُنْشَرَ عَلَيْهَا الثِّيَابُ.

[5] حاص: وقع في ضيق وشدّة. جأواء: كدراء اللون في حمرة كالصدأ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القصيدة غنية بالكنايات، نحو قوله: " التي جاءت على الجمل" و" أم مشجب" كناية عن السيدة عائشة رضي الله عنها، و قوله: " يحدو الزبير بها و طلحةُ" أي أقنعاها بالمسير ودبّرا أمر خروجها وتابعاه إلى النهاية. وقوله: " تدبّ دبيبَ العقربِ " كناية عن الخفاء وعدم إظهار السوء رغم شدّته.

ونلحظ في القصيدة تنوّع الأساليب، فنجد الاستفهام نحو: " أين التطرّبُ بالولاء وبالهوى؟" و" أإلى أميّةَ أم إلى شيعِ التي جاءت على الجمل ..؟" والغرض منه الاستنكار والذم. وظهر أسلوب التعجب الذي جاء للغرض نفسه في قوله: " يا للرِّجال لرأيِ أمٍّ مشجَبِ!"، كذلك اشتملت الأبيات على التهكّم نحو قوله:

أمٌّ تدبّ إلى ابنها ووليّها بالمؤذيات له دبيبَ العقربِ

فهو يتهكّم من حقيقة أنّ السيدة عائشة أمّ للمؤمنين أي هي بمثابة الأم لمن قادتهم وقادوها إلى معركة الجمل، أي إلى الفتنة والقتل والأذى، بحسب قول الحميري. وفي هذا تهجّم واضح على أم المؤمنين وأنصارها ليس بمستغرب على شاعر شيعي عُرف بعدائه الشديد لمن عدّهم أعداء للإمام علي كرم الله وجهه وأولاده.

ويوظف السيد الحميري في قصيدته التي سميت المذهبة فاطمة رضي الله عنه ، إذ يؤكد ولاءه لأهل البيت، أبناء فاطمة وذلك في مدحه لابنها الحسين رضي الله عنهما:[1]

أعني ابن فاطمةَ الوصيَّ ومن يقــل في فضــله وفعالهِ لم يــكذبِ
صهر النــبيِّ وجــاره في مســجد طهر بطيبةَ للرسولِ مطــيّبِ[2]

[1] انظر الديوان، ص37.

[2] الديوان، ص42.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهو يستهل تسمية الإمام الحسين بابن فاطمة تأكيدًا لنسبه الشريف وقرابته القريبة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وحين يأتي إلى ذكر الإمام عليّ فأول ما يقول فيه أنه صهر النبيّ، أي زوج ابنته فاطمة، فيجعل الشاعر السيدة فاطمة محور الشرف والقداسة والفضل والأحقيّة في الحكم وقيادة الأمة، وهذا من التوظيف السياسي الذي هو عند الشيعة عقيدة وإيمان، كما ذكرنا آنفًا.

ونجد المرأة الأموية الحقيقية توظف في الشعر بغرض الهجاء السياسي كما وظف ابن قيس الرقيات أم البنين في مقدماته الغزلية المشهورة، ويأتي عبدالله بن همام السلولي منتقدًا البيعة ليزيد بن معاوية قائلا:[1]

(الوافر)

فـــإن تَـــاتوا بِـــرَمْلَةَ أو بـــهند نُبَايعـــها أمـــيرة مـــؤمـــنينا

إذا ما مات كسرى قام كـــسرى نَـــعدُ ثـــلاثـــة مُتَـــنَاسقـــينا

فيـــا لهـــفا لَـــوَ أنَّ لـــنا أنـــوفًا ولكـــن لا نـــعود كـــما بدينا

إذا لضـــرُبتـــمُ حَتـــى تـــعودوا بمكـــةَ تلـــعقون بها السَّخِينَا[2]

خشينا الغيظ حَتَى لـــو شَـــرِبْنَا دماء بـــني أميـــّة مـــا رَوِينَا

لقد ضـــاعت رَعِيّـــتَكُمْ وأنتـــم تَصـــيدُونَ الأرانب غـــافلينا

فالشاعر ينتقد تلك البيعة، بل وينتقد النظام الحاكم برمته، فكأنه يريد القول: إنه بذلك الإجراء الذي اتخذه الخليفة معاوية ما عاد للرعية قيمة أو رأي، فهم مجرد مطبلين ومزمرين

[1] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جزء3، ص37.

[2] السخين: طعام يتخذ من دقيق وسمن وقيل دقيق وتمر أَغلظ من الحَسَاء وأَرق من العصيدة وكانت قريش تكثر من أَكلها فعُيِّرَتْ بها حتى سُمُّوا سَخِينَة.(لسان العرب، مادة سخن).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لصاحب القرار السياسي (معاوية رضي الله عنه). فإن اختار الخليفة يزيد أو حتى إحدى أختيه، رملة أو هند ابنتي معاوية لبايعناهما خليفة علينا، فهو يهاجم الحكم الوراثي الأموي، ويصفه بالحكم الكسروي، ويقصد بذلك القمع والبطش والجبروت إلى جانب التوارث الجبري، ويبدو شديد الحنق على الأمويين، ولكنّه لا يعفي الرعية من المسؤولية، فخنوعها واستسلامها هو الذي مكّن الأمويين من رقابها وإذلالها. ويهمّنا في هذا المقام أنّ الشاعر اتخذ المرأة وسيلة من وسائل هجائه السياسي بذكره ابنتيّ معاوية هند ورملة.

أبيات السلولي قوية النظم، جزلة الألفاظ على الرغم من وضوحها، ورنانة الإيقاع، فبحرها الوافر، ورويّها النون مع ألف الإطلاق، امتازت بنبرة التهكّم والسخرية، مثل قوله:

فإن تَأتوا بِرَمْـلَةَ أو بـــهند نُبَايعــها أمــيرة مــؤمنينا

وقوله:

إذا لــضُربتُمُ حَتَى تعــودوا بمكةَ تلعقون بها السَّــخِينَا

ويمعن في السخرية الممزوجة بالقهر والحسرة على حال الأمة التي يقودها حكام لاهون مفرّطون بحقوقها، حين يقول:

لقد ضــاعت رَعِيَّتكُمْ وأنتم تَصِيدُونَ الأرانــب غافلينا

ولجأ إلى الكناية للدلالة على شدة حنقه على بني أمية في قوله: "لو أنّا شربنا دماء بني أميّة" كناية عن القتل وشدّة الانتقام منهم، ويقول حتى لو فعلنا ذلك لن نُروى، أي لن يشفي ذلك غليلنا منهم! ولجأ إلى الكناية كذلك لدلالة على خنوع الرعية، وذلك في قوله: " لو أنّ لنا أنوفًا" أي لو أنّ عندنا العزة والإباء والأنفة ورفض الذل والهوان. لكنه ينفي ذلك، وينفي أن يعود العرب إلى ما كانوا عليه من العزة والإباء بعد الإمعان في إذلالهم من حكام الجور والقمع، حتى نشأت أجيال لا تعرف إلا الخنوع والاستسلام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وظهر الحذف البلاغي والإيحاء، ففي قوله: " إذًا لضُربتم" قصد أي لحوربتم حربًا ضروسًا. فنجده عبّر عن ذلك بلفظة واحدة فقط، قد لا توحي بذلك للوهلة الأولى، حتى تمام البيت فيتضح مراد الشاعر.

ولا يُقصر توظيف المرأة السياسي في الأدب الإسلامي والأموي على الشعر، فقد وظفت كذلك في النثر. لذا سنتناول بعض النماذج النثرية في هذا الشأن.

يوظف علي رضي الله عنه المرأة في خطبة له ألقاها في النخيلة[1] بعد قتل عامله على الأنبار من قبل جنود معاوية رضي الله عنه:

أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل، وسِيم الخسف، وديث بالصغار. ..والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يُدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة، فتنتزع أحجالهما ورعثهما ثم انصرفوا موفورين لم يُكْلم منهم أحد كلْمًا. فلو أن امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان عندي به جديراً. ياعجباً كل العجب عجب يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الأحزان...[2]

فعلي رضي الله عنه يعاتب أهل العراق الذين لم ينهضوا للحفاظ على حرمة الوالي والرعية، ويعيب عليهم أنهم رغبوا عن الجهاد فلم ينصروا خليفة المسلمين، ولم يحموا واليه. ويستنكر ذلك الصَغار الذي بلغ بهم مبلغا كبيرًا، حتى أنهم لم يحفظوا نساءهم ولم يدافعوا عن حرماتهن التي انتُهكت. فكأنه يريد أن يقول لهم: إن لم تقوموا لدينكم وعاملكم وخليفته، كان حري بكم أن تقوموا لنسائكم، وتجاهدوا للحفاظ عليهن.

[1] النخيلة: موضع قرب الكوفة.

[2] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، جزء1، ص20.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما يلفت في كلام الإمام علي أنّه ذكر عواقب التخلّف عن الجهاد وتركه، ثمّ مثّل لبعض هذه العواقب سريعا؛ فقال إن من ترك الجهاد أصابه الذلّ والصغار، وذكر علامة على ذلك تقاعسهم عن الحفاظ على نسائهم وحرماتهم، لما أصابهم من الصغار والهوان فعلًا. ويلمّح في خطبته إلى أن القوم الذين كان يقصدهم في خطبته، وهم بعض أهل العراق، فقدوا أحاسسيهم ومروءتهم، وذلك أن ما جرى لو أنه جرى لإنسان عنده بعض المروءة لمات من فوره وما كان ملومًا، وفي هذا تعريض بليغ بهم. وعزّز تعريضه هذا بإلحاحه على لفظة العجب والتعجب من حالهم تلك وما يترتب على العجب من انشغال الفهم وموت القلب. وهذا التعريض هو أسلوب رائع في النقد غير المباشر لا يتأتى إلا لرجل بليغ حكيم مثل الإمام علي رضي الله عنه.

وقد وظف أبو حمزة الشاري المرأة في خطبة له في أهل المدينة ألقاها فيهم، حين بلغه أنهم يعيبون أصحابه، ووظفها في استعراضه خلفاء بني أمية المروانيّين بعد الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين السفيانيّين، حيث قال:

...ثم تداولها بنو مروان بعده، أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله وآله، وقوم من الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا التابعين بإحسان، فأكلوا مال الله أكلا، ولعبوا بدين الله لعبا، واتخذوا عباد الله عبيدا، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر، فيا لها أمة ما أضيعها وأضعفها، والحمد لله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من سيئ أعمالهم، واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه وراء ظهورهم، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون، وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله، ... ثم ولي يزيد بن عبد الملك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين لم يبلغ أشده ولم يؤنس رشده"[1] إلى أن يقول: " ثم يجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها، حتى إذا أخذت منه مأخذها وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق حلنيه، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير. نعم، فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه طر إلى حيث لا يردك الله..."

هذا من الهجاء السياسي الذي نجد أن منشئه أبا حمزة الشاري، ذا العقيدة الخارجية السياسيّة المنطلقة من أساس ديني بالدرجة الأولى، قد استغل اتخاذ يزيد بن عبدالملك للجاريتين المذكورتين للقدح في أخلاق الخليفة الأموي. وهنا تظهر المرأة بجانبها السلبي المخالف للعفة ذروة أخلاق الإسلام، فالمسلم حريٌّ بالابتعاد عن كل ما يخالف العفة من تهتك ومجون ولهو وغفلة وخفة، والشاري يريد أن يقول إنه لا ينبغي لحاكم مسلم أن يفعل هذا، ولا يسمح به، ومن هذا شأنه فليس خليقًا بالخلافة ولا أهلا لها، لا سيّما أنها تنطوي على ثقل روحي ديني مرتبط بالسماء. والتي ينبغي أن يتحلى بها القائد المسلم، فيزيد، بذلك، لا يحق له منصب الخليفة السياسي المرتبط بالمرجعية الدينية.

أظهر أبو حمزة الشاري في خطبته براعة في الخطابة، فجاءت كلماته جزلة، وعباراته متينة يعضد بعضها بعضًا، وأفكاره متتابعة؛ كلٌّ تفضي إلى الأخرى. وظهر تأثره اللافت بالقرآن الكريم في عبارات مثل : " لم يبلغ أشده، قد نبذوه وراء ظهورهم، لعنهم الله .." وهذا يؤكّد منطلقه الديني وثقافته القرآنية. وغلب على الخطبة الأسلوب الخبري، لكن كان الشاري يحلّيه ببعض الأساليب الإنشائية، مثل التعجب في قوله: " فيا لها أمة ما أضيعها وأضعفها !"،

[1] صفوت، جمهرة خطب العرب،جزء 2، ص467.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأمر الذي غرضه الذمّ والدعاء بالسوء، في قوله : " فطر إلى لعنة الله، وحريق ناره، وأليم عذابه، طر إلى حيث لا يردك الله".

وإجمالًا فالخطبة تعكس الصورة التي كانت عليها الخطابة في ذلك العصر من حضور البلاغة، ومتانة العبارة، والتأثر بالقرآن الكريم، والاستدلال العقلي والوجداني، وقوة الحجة. لكن ما تمتاز به خطبة الشاري، وخالف فيها جلّ معاصريه هو أنه لم يحفل بالتسجيع، فخلت خطبته منه، واستعاض عنه بمتانة عباراته وانسجام كلماته.

وكان معاوية عيّر زياد بن أبيه بأمه سمية، حين رفض البيعة له لخلاف نشب بينهما، فقد عيره بأمه، إذ كان نسبه مجهولا، وذلك قبل أن يلحقه معاوية بأبي سفيان، ويتخذه أخًا له، وكان زياد قبل ذلك يدعى بأمه، وهذه مثلبة كبيرة. ثمّ إنّ زيادًا ردّ على تعيير معاوية إياه بأمه سمية، موظفا المرأة أيضا في هجاء سياسي، يهدف إلى التجريح في الخليفة، والتشكيك بأحقيته لذلك المنصب الذي يتولاه، فقد طعن زياد معاويةَ بحمامة جدته من طريق أبي سفيان.ونص كتابه إليه: "أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك يا معاوية، وفهمت ما فيه، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج، فيتشبث بالطحلب، ويتملق بأرجل الضفادع طمعا في الحياة، إنما يكفر النعم، ويستدعي النقم من حاد الله ورسوله، وسعى في الأرض فسادا، فأما سبك لي فلولا حلم ينهاني عنك، وخوفي أن أُدعى سفيها لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء. وأما تعييرك لي بسمية، فإن كنت ابن سمية فأنت ابن حمامة. وأما زعمك أنك تختطفني بأضعف ريش وتتناولني بأهون سعي ، فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر؟ أم هل سمعت بذئب أكله خروف؟ فامض الآن لطيتك،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واجهد جهدك، فلست أنزل إلا حيث تكره، ولا أجتهد إلا فيما يسوؤك، وستعلم أيّنا الخاضع لصاحبه، الظالع إليه والسلام"[1].

وهذه الرسالة تدخل أيضًا في الهجاء السياسي، فقد عدّ زياد مثالب الخليفة مشككا في أحقيته لذلك المنصب، فهو يلمزه بجدته حمامة. وخطبة زياد ذات سبك متين كذلك، وبلاغة جلية، امتازت بالعبارات المتساوية، وبالإيقاع الداخلي اللافت، وبقوة الحجة، والقدرة على ردّ الذمّ بذمّ أكبر منه، والتهمة بتهمة أكبر منها. وتمتاز باستحضار الأمثلة لتعزيز الفكرة، كقوله: " فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر؟ " وظهر فيها التشبيه لتعزيز الفكرة كذلك وللإمعان في الذمّ، كقوله : " فوجدتك كالغريق يغطيه الموج، فيتشبث بالطحلب، ويتملق بأرجل الضفادع طمعا في الحياة ".

وربما تكون هذه النصوص مفتعلة، وظفت فيها المرأة بأسلوب سلبي للتشكيك بصحة خلافة الأمويين، أو للتشكيك بأنسابهم وتشويه صورهم انطلاقا من حجة عدم جدارتهم بالمناصب السياسية ذات الصبغة الدينية، بحجة أنّ أمهاتهم كن يفتقرن إلى حسن السيرة، لذا نرى نصًا آخر ينسب إلى عبد الله بن الزبير يوظف فيه المرأة بشكل واضح توظيفا سياسا لإثبات أحقيته في خلافة المسلمين على معاوية رضي الله عنهما:

"أسألكم بالله أتعلمون أنّ أبي حواريّ رسول الله، وأنّ أباه أبا سفيان حارب رسول الله، وأنّ أمّي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأمه هند آكلة الأكباد، وجدّي الصديق، وجده المشدوخ ببدر، ورأس الكفر، وعمتي خديجة، ذات الخطر والحسب، وعمته أم جميل، حمالة الحطب، وجدتي صفية، وجدته حمامة، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد، وزوج عمته شر ولد آدم أبو

[1] حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي مؤسسة الرسالة ، دار النفائس، بيروت، 1974،ص 155-156.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لهب، سيصلى نارا ذات لهب، وخالتي عائشة أم المؤمنين، وخالته أشقى الأشقين، وأنا عبد الله، وهو معاوية."[1]

فهنا عبدالله بن الزبير الذي كان خليفة للمسلمين لتسع سنوات، وظل محاربا للأمويين في خلافتهم، يوظّف المرأة سياسيًا للتقليل من مكانة معاوية السياسية انطلاقا من المكانة الدينية والاجتماعية.

وتقوم رسالة ابن الزبير على الموازنة بين أرحامه من النساء والرجال وأرحام معاوية منهن ومنهم، فيظهر محاسن هؤلاء ومساوئ أولئك، إيمانًا منه أن للمرأة نصيبًا مهمًا جدا في أمجاد الرجل أو سقطاته، وفي مناقبه أو مثالبه، مما يجعله مستحقًا لما هو عليه من المرتبة، أو غير مستحق لها. ونجده ركّز في موازنته على المرأة بأكثر مما ركّز على الرجل، فلم يترك رحمًا امرأة من المشهورات عنده وعند معاوية إلا وأتى على ذكرها، وموازنًا إياها بمن تقابلها عند الآخر، تأكيدًا لفكرة الذم والقدح وإظهار عدم الأهلية لمعاوية في قيادة الأمة، في مقابل مناقبه وأهليته للخلافة والحكم.

ونستمر في النماذج التي وُظّفت فيها المرأة في الهجاء السياسي، لإسقاط الخصم اجتماعيًا كمقدّمة للإسقاط السياسي. فقد روي أن عروة بن الزبير كنّى أخاه عند عبد الملك، فقال له الحجاج:" أتكني أخاك المنافق عند أمير المؤمنين لا أمّ لك، فقال عروة: إليّ تقول ذلك يا ابن المتمنية؟ وأنا ابن عجائز الجنة صفية وخديجة وأسماء وعائشة".[2] ذلك أنّ فريعة بنت الهمام الكنانية الذي قيل إنها جدة الحجاج بن يوسف والي بني أمية، تمنّت، إثر غياب زوجها في

[1] صفوت، جمهرة خطب العرب، جزء 2، ص161.

[2] العسكري، الأوائل، ص42.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحرب، قضاء ليلها مع نصر بن الحجاج بن علاط السلمي، وكان شابًا وضيئا افتتنت به النساء حينئذ، فقرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفيه إلى البصرة،[1] إذ قالت المتمنية:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج[2]

وقد روي أيضًا أنها قالت:

"رجلٌ وددت أنّه معي في ليلةٍ من ليالي الخريف في أطول ليلة من ليالي الشتاء وليس معنا أحد"[3]

وكان أن خشيت المرأة الخليفة فقالت: [4]

(البسيط)

قل للإمامِ الــذي تخشى بــوادرهُ مالي وللخمرِ أو نصرِ بن حجاجِ

إنّي غُنيت أبــا حفص بغــيرهما شربِ الحليبِ وطــرفٍ فاترٍ ساجِ

إنَّ الهوى زمَّه التقــوى فحبســه حتى أقــرَّ بألــجامِ وأســراجِ

أمنيــّةٌ لم أرد فــيها بضــائــرةٍ والــناسُ من هــالكٍ فيها ومن ناجِ

وقد ترتب على مقولة المرأة تغيير نظام الجيش، فجاء قرار الخليفة الإداري باصطحاب النساء مع الجيوش، فبدأت هجرة قبائل العربية المسلمة إلى البلدان المفتوحة، وأن لا يغيب الجيش أكثر من أربعة شهور[5]. وذلك حتى يحافظ الخليفة على النظام الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي. فكان أنْ أثّرت المرأة بأمنيتها ثم اعتذارها الشعري الجميل في واقع سياسي اجتماعي، وتسبّبت في إصدار قرارات غيّرت وجه العالم العربي والإسلامي ديموغرافيًا واجتماعيًا.

---

[1] انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص32، البغدادي، خزانة الأدب، جزء4، ص84، العسكري، الأوائل، ص42.

[2] السمعاني، الأنساب، سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ)، دار الجنان،جز1، ص 518.

[3] البغدادي، خزانة الأدب، جزء4، ص76.

[4] البغدادي، خزانة الأدب، جزء4، ص84.

[5] الشرقاوي، عبد الرحمن، الفاروق عمر بن الخطاب، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة،1987،ص 85.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتوظف المرأة في الأدب الهامشي لأغراض سياسية، فتحاول هند بنت النعمان الأنصارية في قصتها مع الحجاج الإنقاص من مكانته السياسية؛ فقد حكي أن هندًا ابنة النعمان بن بشير كانت زوجة للحجاج، معتزة بنسبها، متعالية على زوجها، فصيحة أديبة، فقالت في ذلك:

وما هند إلا مهــرة عربيــة سلــيلة أفــراس تجــلّلها بغلُ

فإن ولدتْ فحــلا فلــلّه درها وإنْ ولدتْ بغلاً فجاء به البغلُ

فأنفذ إليها الحجاج رجلا من رجاله يدعى عبد الله بن طاهر ليطلقها، وبعث لها معه مئتي ألف درهم هي مهرها، فقالت: "اعلم يا ابن طاهر أنا والله كنا فما حمدنا، وبِنّا فما ندمنا، وهذه المئتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف" [1]

ويبدو واضحا كيف وظفت المرأة في الحكاية السابقة بغرض الهجاء السياسي للحجاج بن يوسف، فهند كما ورد في شعرها ترى نفسها أعظم وأنبل من أن يتزوجها رجل مثل الحجاج، فهي الفرس الأصيلة التي لا يجوز أن يلقحها البغل، وإذا حصل ذلك فمن الوارد أن تنجب فحلا معرقا كعراقة نسب والدته، وأما إذا أنجبت بغلا فهذا حظه من أبيه.

وذلك المعنى تؤكده الحكاية، فهي تتمنى فراق الحجاج، لذلك نراها فرحة بقرار الطلاق، وغير نادمة على إفصاحها برغبتها تلك، فلا غرو أن تخبر رسول الحجاج أنها لم تكن حامدة يوما قربها من الحجاج، وليست نادمة اليوم على بينها عنه، ثم جعلت منه فيما بعد خادما لها في رحلتها إلى الخليفة، حين طلبها الأخير للزواج لما تتمتع به من جمال وأدب ونسب.

1 الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد(ت852هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مفيد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، جزء1، ص123.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا هو النعمان بن عدي بن نضلة والي المدائن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. يكتب شعرا لزوجته محاولا إغاظتها، وتحريك غيرتها بعد أن رفضت الرحيل معه إلى ولايته:[1]

(الطويل)

فمن مبلغ الحــسناءَ أنَّ حــليلها بميسانَ يُســقى في زجاج وحنتمِ [2]

إذا شئتُ غنّتني دهــاقينُ قــريةٍ وصنّاجةٌ تجذو على كــلّ مــنسمِ [3]

إذا كنت ندماني فبالأكبر اســقني ولا تســقني بــالأصــغر المثــلّمِ [4]

لــعلّ أمــير المــؤمنين يسوؤه تنادمــنا فــي الجــوسق المتهدمِ [5]

فبلغ عمر ذلك فعزله عن منصبه.[6]

فقد عزل الوالي عن منصبه بسبب تلك المراسلة الشعرية التي أراد بها إغاظة زوجته، إذْ صوّر نفسه في ذلك الشعر شاربا للخمر قد شغلته الجواري الجميلات برقصهن وغنائهن. ومن هذه الرواية نستشف بعض المشكلات الاجتماعية التي ظهرت إثر الفتوحات الإسلامية، نحو تباعد الأزواج الجنود والإداريين عن زوجاتهم، ورفضهن أحيانًا مرافقتهم إلى بلاد العجم، إذ يبدو أن النساء العربيات بطبعهن وأنفتهنّ لم يكنّ يرغبن في الإقامة في تلك البلاد الغريبة في ثقافتها وعاداتها، وبين أناس كان يراهم العرب أقل شأنًا، وهم الذين سمّوهم فيما بعد بالموالي.

---

[1] ابن القيم الجوزية، ،شمس الدين (ت 751هـ)، أخبار النساء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1985، ص114.

[2] حليلها: زوجها. حنتم: كل أسود أو أخضر، وربما قصد هنا الخزف الأسود أو الجرّة الخضراء.

[3] دهاقين: جمع دهقان بضم أو كسر الدال، أي رئيس القرية. صنّاجة : صاحب الصنج وهو آلة طرب. المنسم: الطريق.

[4] المثلّم: المكسور من حافته.

[5] الجوسق: القصر الصغير، أو الحصن.

6 البغدادي، محمد بن حبيب (ت245هـ)،المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، 1985، جزء1، ص396. وانظر ابن القيم الجوزية، ص115.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فنجد هذا الزوج الوالي يحتال على زوجته كي يستثير غيرتها من النساء الحسناوات، فيحملها على الالتحاق به، لكن يبدو أنها كانت أكثر فطنة منه، فأوصلت أبياته إلى الخليفة الذي عزله إثر ذلك الشعر الخليع، وإن كان غير صحيح المضمون بحسب القصة.

وقد باعدت الفتوح بين الأزواج، فقد غاب رجل عن زوجته بعد فتوح أذربيجان في عهد عمر بن الخطاب، وكان قد اقتنى جارية، فكتب إلى زوجته شعرا ليشعل الغيرة في قلبها قائلا: [1]

(الطويل)

ألا بــلغ أمّ البنــيــن بأنّــنا غُنــينا وأغنانا الغطــارفةُ الجردُ [2]

بعيدُ مناطِ المنكبين إذا جرى وبيــضاء كالتّــمثال زيّــنها العقدُ [3]

فهــذا لأيــّامِ الــغدوِّ وهذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجّندُ

فأجابته[4]:

إذا شئتَ غنّاني غلامٌ مرجــلٌ ونازعتهُ في ماءِ معتــصرِ الــوردِ [5]

وإن شاء منهم ناشىءٌ مدّ كفُّهُ إلى عكنٍ ملــساءَ أو كــفلٍ نهــدِ [6]

فما كنتمُ تقضون حاجةَ أهلِكــم شهوداً فتقضوها على النّأيِ والــبعدِ

فعجِّل علينــا بالســّراحِ فــإنّه مُــنانا ولا نــدعو لــك اللهَ بالــرّدِّ

ولا قفَلَ الجندُ الذي أنت فــيهم وزادُك ربُّ النّــاس بُعداً على بــعدِ

---

1 ابن القيم الجوزية، ص115.

[2] . الغطارفة: جمع غُطارف او غِطريف، وهو السيد الكريم. الجُرد: جمع أجرد، وهو الحصان قصير الشعر.

[3] . مَناط المنكبين: المسافة بين المنكبين.

[4] ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء، ص 115.

[5] مرجّل: مسرّح الشعر.

[6] عكن: جمع عكنة وهو ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمرأة كما يبدو قد اغتاظت من شعر زوجها، مما جعلها توهمه بعدم اكتراثها له، وتدعو بعدم عودته والجيش الذي يرافقه، وقد أثارت غيرة زوجها بالغلام الذي صورته منادما ومداعبا لها، فعاد زوجها إليها.

وليس هذا الشعر سياسيّا، لكنّه قيل في أجواء الفتوحات الإسلامية، وسياسة البقاع المفتوحة. وهنا نجد أن المرأة كانت أكثر معرفة بغيرة الرجل من معرفته هو بغيرتها، فقد عرفت كيف ترجعه إليها، بحسب الكتب التي نقلت القصة، فقد عاد إليها وأوهبها الجارية التي كان قد أغاظها بها.

وامتاز هذا الشعر من الزوج وزوجته بجزالة الألفاظ، ومتانة السبك، ودقة التعبير عن المعنى المراد، واحتفى شعرهما ببعض التفاصيل، فمن حصان قصير الشعر، إلى غلام مسرّح الشعر، إلى ماء مع عصارة الورد. وكان هذا أبلغ في إثارة الغيرة وإغاظة الشريك.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع

الظواهر الأسلوبية والفنيّة في خطب المرأة السياسيّة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رأينا كيف أنشدت المرأة الشعر، وألقت الخطب تعبيرًا عن موقفها السياسي. أمّا الشعر، فخدمته هذه الدراسة من الناحية الفنية في موضعه، في صورة إشارات فنية جزئية، على نحو الاختصار لا التفصيل، كان التركيز فيها على الفنيّات التي خدمت المنحى السياسي في الشعر. وكذلك خدمت الدراسة النصوص النثرية من الناحية الفنية، خطابةً ورسائل وأقوالا في مواقف معينة، لكن مع الخطب تحديدًا، فاللمحات الفنية الخاطفة لا تفيها حقّها، لأنها نصوص طويلة نسبيًا، وغنية باللغة الأدبية الراقية والخصب الفني البديع، ولأنه كان من الصعب تناولها فنيا في مكانها، لذا سينهض هذا الفصل بدراسة خطب المرأة السياسية في تلك المرحلة من الناحية الفنية والأسلوبية.

ويتناول هذا الفصل الخطابة عند المرأة في صدر الإسلام والعصر الأموي في دراسة فنية أسلوبية، تركز على أضرب الانحراف أو الانزياح من حيث التصوير والاستعارة والكناية وظواهر البديع كالمقابلة والسجع والجناس، والأساليب من حيث الإنشاء والخبر، مراعية في ذلك الارتباط الأسلوبي بالمضمون، إذ ستظهر أهم سماتها الأسلوبية، وتبرز قيمة الأساليب الجمالية التي اعتنت بها المرأة، ووظفتها في خطبها للتعبير عن موقفها السياسي من قضايا حاسمة في التاريخ الإسلامي.إذ بدت الظواهر الفنية والأساليب البلاغية في خطبها مراعية لطبيعة المضمون الدالة عليه.

والخطابة جنس مستقل من أجناس الأدب، أو فن خاص من فنونه. واستقلالها وخصوصيتها لا يحول دون التقائها في بعض الخصائص الفنية ببعض الفنون الأدبية.[1]

[1] طليمات، غازي، النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة،دار الفكر، بيروت، 2007، ص 295.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالخطبة كالقصيدة تشفع الفكرة بالعاطفة، وترمي إلى التأثير في الجماهير بأساليب متعددة؛ كتلوين الإنشاد والإلقاء بألوان المعاني، والحرص على الإفادة من إيقاع الصوت ورخامته ، واختيار الفاظ وجمل عاطفية تستدر الدموع أو تحرك النخوة، فيشارك السامع الخطيب مشاعره، وبث المشاعر في صورة مشخصة تهيمن على السامعين بخطوطها وظلالها وألوانها وحركاتها[1].

وقد عنيت خطب المرأة السياسية في تلك الحقبة بأساليب ذات وظيفة تعبيرية جمالية، فقد رأينا كيف كانت المرأة خطيبة متميزة، وخطبها تضج بالأساليب البلاغية التي استخدمتها لتوكيد الغرض الذي ترمي إليه.

وتبرز أهمية الجانب الدلالي في الدراسة الأسلوبية، إذ لا يجوز إغفاله. فقد أشار علماء الأسلوب إلى أنّ الدارس الأسلوبي لا تُقصر مهمته على تحديد ظواهر الزينة والزخرفة في العمل الأدبي، لأن ذلك يعني أن الأسلوب عبارة عن الزينة والزخرفة فقط، وهو غير ذلك، ولكن للإضافة وظيفة جمالية وتعبيرية ووجدانية ينبغي الالتفات إليها.[2]

فالأسلوب هو مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل عن طريقها إلى إقناع القارئ وإمتاعه وشد انتباهه[3] وهو يتجاوز ويعدل عن النمط التعبيري المألوف الذي يؤدي الوظيفة الإخبارية للكلام إلى التعبير الفني، الذي تتجه عناية البلاغيين والأسلوبيين إليه.[4]

---

[1] طليمات، غازي، النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ص305.

[2] ربابعة ، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط3 ، دار الكندي، إربد، 2002، ص26.

[3] المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس ، 1982، ص133.

[4] عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 198.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتأتي أهمية الدراسة الأسلوبية لأي نص لغوي لعلاقتها الوطيدة بالشعرية، ذلك أن الأخيرة تشتمل على الأولى، تلك التي تعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تحول الخطاب اللغوي عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثرية والجمالية، إذ تعنى بازدواجية الوظيفة والغاية للخطاب اللغوي، فترتفع الغاية المتمثلة بإبلاغ الرسالة الدلالية إلى التأثير الذي ينفعل للرسالة المبلغة انفعالا ما.[1]

وقد عنيت خطب المرأة السياسية بالتفصيلات، لذلك وجدنا المرأة تلجأ إلى الإطناب في خطبها لإقناع المتلقي، وتلح كثيرا على الدلالة المنشودة بلجوئها إلى تكرار الجمل المترادفة وتوظيف الأساليب البلاغية الخادمة للدلالة المنشودة. فهذه السيدة حفصة تلقي خطبة في الناس بعد مقتل الخليفة عمر رضي الله عنه، تكشف عن وعيها السياسي، ولغتها البليغة، ومنها واصفة سياسة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

"...له من الأفعال الغرر، ومن الآراء المصاص، ومن التقدم في طاعة الله عز وجل اللباب، إلى أن قبضه الله إليه، قاليا[2] لما خرج منه، شانئاً لما نزل من أمره، شنفاً[3] لما كنا فيه، صباً[4] إلى ما صار إليه، وائلاً[5] إلى ما دعي إليه، عاشقاً لما هو فيه. فلما صار إلى التي وصفت، وعاين ما ذكرت أومأ بها إلى أخيه في المعدلة، ونظيرة في السيرة، وشقيقه في الديانة، ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه، ولصيّرها في عقبه، ولم يخرجها من ذريته، فأخذها بحقها، وقام

---

[1] ناظم،، حسن، مفاهيم الشعرية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003 ،ص 37، نقلا عن عبد السلام المسدي ،الأسلوبية والأسلوب، ص36.

[2] قاليا: لسان العرب. مادة قلى: أبغض.

[3] الشَّنَفُ شِدّة البِغْضةِ لسان العرب، مادة شنف.

[4] صباً: لسان العرب، مادة صبا: مال.

[5] وَأَلَ يَئِلُ فهو وائِلٌ إذا التجأَ إِلى موضع ونَجا ومنه.(لسان العرب، مادة وأل).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيها بقسطها، لم يؤده ثقلها، ولم يبهظه حفظها، مشرداً للكفر عن موطنه ونافراً له عن وكره[1]، ومثيرًا له من مجثمه[2]، حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد، ونصر الله يقدمه، وملائكته تكنفه، وهو بالله معتصم، وعليه متوكل، حتى تأكدت عرا الحق عليكم عقداً، وانضمحلت عرا الباطل عنكم حلاً، نوره في الدجنات ساطع، وضوؤه في الظلمات لامع، قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عجمها، وشانئاً لها إذ سبرها[3]؛ تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلاً، ولا نبغي سواه نحلاً، أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها حبوراً[4]، وأدوم منها سروراً، وأبقى منها خلوداً، وأطول منها أياماً، وأغذق[5] منها أرضاً، ... فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت وبالرأي الجليد حتى انقادت، فأقام فيها دعائم الإسلام، وقواعد السنة الجارية، ورواسي الآثار الماضية وأعلام أخبار النبوة الظاهرة، وظل خميصاً من بهجتها، قالياً لأثاثها، لا يرغب في زبرجها ولا تطمح نفسه إلى جدتها حتى دعي فأجاب، ونودي فأطاع على تلك الحال؛ فاحتذى في الناس بأخيه فأخرجها من نسله، وصيرها شورى بين إخوته...[6]

وقد وظفت السيدة حفصة المقابلة البلاغية لخدمة الدلالة المتوخاة، والمقابلة تعني: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.[7]

ومن أمثلتها على جهة الموافقة:

---

[1] وكر: عش.(لسان العرب، مادة وكر).

[2] مجثم: مكانة إقامته.(لسان العرب،مادة جثم) .

[3] سبر:جرّب، لسان العرب، مادة سبر.

[4] الحبور: السرور، مادة حبر.

[5] أغذق: أخصب.

[6] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص21.

[7] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت395هـ)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص371.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قاليا لما خرج منه، شانئاً لما نزل من أمره، شنفاً لما كنّا فيه، صباً إلى ما صار إليه، وائلاً إلى ما دعي إليه، عاشقاً لما هو فيه.

والمقابلة واقعة لفظا ومعنى بين الشنآن والشنف للحال القديمة (حال الجاهلية) من جهة، وبين الصبا والعشق والميل للحال الجديدة المتمثلة بالإسلام.

فحفصة تعبّر عن بغض أبي بكر للجاهليّة وامتثاله لأوامر الله وإخلاصه للإسلام بأسلوب المقابلة تأكيدا للمعنى وتحقيقا.

والقارئ للخطبة يستشعر جوانب الحس السياسي ممزوجة بالحس الديني. وقد أشارت مي خليف[1] إلى أنّ امتزاج الجانب السياسي والديني سمة عامة للخطابة في صدر الإسلام.

فكان من الطبيعي للسيّدة حفصة أن تظهر إخلاص أبي بكر للدعوة، الذي ركزت عليه وحققته بأسلوب المقابلة البلاغي لعرض موقفها السياسي، أو لتشخيص الحالة السياسية حينئذ، خاصة بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لذلك كان مبتدأ موضوع الخطبة المقابلة الدلالية بين حالين، حال نبش الفتنة بعد وأدها، وتجديد الظلم بعد قدمه، وإظهاره بعد اختفائه، وسفك الدماء بعد حفظها، وانتهاك الحرمات بعد تقديسها. فتنتظم المقابلة الخطبة بأسرها لتعميق الفوارق بين حالين، حال الاستقرار المتحقق بالإخلاص للإسلام، وحال الفتنة الذي يعني تجديد الجاهلية.

كل ذلك عبّرت عنه حفصة رضي الله عنها بالمقابلة البلاغية التي استغلتها لتحقيق المقارنة بين تلكما الحالين، ولتأكيد أن الحال الأخيرة هي التي أزّمت وضع الدولة السياسي،

[1] انظر مي خليف، تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية، دار غريب، القاهرة، 1996، ص48.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعدم الإخلاص للدعوة هو الذي آل بالأمور إلى ذلك المآل، حتى أن حرمة الخليفة قد انتهكت، إذ ابتليت الدولة بأولئك المفتنين الذين نخروا عظمها وتآمروا على حرمتها، وهم ذاتهم الذين يقومون دائما بردة في كل زمان:

"فكل العجب من قومٍ زين الشيطان أفعالهم، وارعوى إلى صنيعهم، ودبَّ في الفتنة لهم، ونصب حبائله لختلهم، حتى همّ عدوا الله بإحياء البدعة، ونبش الفتنة، وتجديد الجور بعد دروسه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء، وإباحة الحمى، وانتهاك محارم الله عز وجل بعد تحصينها".[1]

وتتعرض السيدة عائشة إلى تلك المرحلة نفسها(مرحلة الردة)، التي ظهرت بعد موت الرسول ﷺ، فتصوِّر الكرب الذي حلّ بالأمة، ثمّ تتعرض للحال التي آلت إليها الأمور في ظل سياسة أبي بكر الحازمة مع أولئك المرتدين، معتمدة أسلوب التشخيص:

"فلما قبض الله نبيهُ، ضرب الشيطان رواقهُ، ومد طنبهُ[2]، ونصب حبائلهُ، وأجلب بخيله ورجلهِ... ومرج عهدهُ، وماج أهلهُ، وبغي الغوائلِ، وظنت رجال أن قد أكثبت أطماعهم نُهزَها[3]، ولاتَ حين الذين يرجون، وأنّى والصِّديق بين أظهرهم"[4].

وها هي عائشة تمدح سياسة عمر بن الخطاب مستخدمة أسلوب الكناية، ومعتمدة على السجع لتأكيد الدلالة المتمثلة بقوة الفاروق[5]:

---

[1] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص21.

[2] طنب: حَبْل الخِباءِ والسُّرادق ونحوهما.(لسان العرب، مادة طنب).

[3] نُهزة:الغنيمة والفُرْصَةُ.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء4، ص315.

[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء4، ص315.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"لله در أمّ حملت به، ودرّت عليه، لقد أوجدت به ففنخ[1] الكفرة ودبخها[2]... وبعج الأرض وبخعها"[3]. وتتناول حفصة إجراء انتقال الخلافة من أبي بكر إلى عمر معتمدة على الجمل المترادفة في المعنى. فقد بدا الإطناب واضحا في هذه الخطبة

وقد عُدَّ الإطناب ميزة في الأسلوب الخطابي، وهو ضروري في الخطابة السياسية .[4]

وقد خضع هذا الانتقال لمعايير دينية سياسية تراعي مصلحة الدولة، بعيدة عن مبدأ التوريث:

"فلمّا صار إلى التي وصفتُ، وعاين ما ذكرتُ، أومأ بها إلى أخيه في المعدلة، ونظيره في السيرة، وشقيقه في الديانة، ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه، ولصيّرها في عقبه، ولم يخرجها من ذريته"[5].

وقد تعرضت السيدة حفصة لأولئك المرتدين الأُول، لتقول إنّ تلك الردة الأولى التي أعقبت وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، تتجدد اليوم بمقتل الخليفة عمر، وانتهاك حرمة الخلافة، إذ يحاول أولئك المرتدون النيل من استقرار الدولة في كل زمان. وتشير حفصة في بعض خطبتها إلى دعم أبيها لأبي بكر في خلافته مستخدمة أسلوب التشبيه، فقد كان عمر أسبق الناس إلى مشايعته، وقد شبهته رضي الله عنه بالسبع الضاري لقوته في نصرة الإسلام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

1 فنخ الكفرة: أذلّها.

2 دبخ: دَبخَ الرجلُ تَدْبيخاً إذا قَبَّبَ ظهره وطأْطأَ رأْسه. وتقصد بذلك الأرض بأنه صغرها وقهرها.(لسان العرب، مادة دبخ).

3 بخع: بخَعَ نفْسَه يَبْخَعُها بَخْعاً وبُخوعاً قتلَها غيْظاً أَو غَمّاً.(لسان العرب، مادة بخع) بَعَجَ الأَرضَ وبَجَعَها: أَي شقَّها وأَذلَّها كَنَتْ به عن فتوحه.

4 الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر، القاهرة، 2003، ص 163–164.

5 الآبي، نثر الدر، جزء4، ص22.

وقد اعتمدت حفصة رضي الله عنها أسلوب التشخيص، إذ جعلت من المجردات والمعنويات أحياء، فبدا الشيطان صورة محسوسة، وغدا الكفر إنساناً مشردًا عن بيته في خلافة أبيها، فجعلت منه صورة محسوسة تظهر مدى إخلاص أبيها للدعوة وبذله في سبيلها.

"...فأضرى[1] وهاج، وتوغّر وثار غضباً لله، ونصرة لدين الله، فأخسأ الشيطان، ووقم[2] كيده، وكفف إرادته، وقدع محنته[3]، وأصعر خدّه[4] لسبقه إلى مشايعة أولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الماضي على سنته، المقتدي بدينه، المقتص لأثره، فلم يزل سراجه زاهراً[5]، وضوءه لامعاً، ونوره ساطعاً... مشرداً للكفر عن موطنه ونافراً له عن وكره، ومثيرًا له من مجثمه"[6].

وقد جاء استخدامها للسجع خادما للمعنى وإن كثر. والسجع: هو توافق الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد من النثر وهو الحرف الأخير والفواصل في النثر كالقوافي في الشعر والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى وتسمى كل واحدة من هاتين الجملتين قرينة لمقارنتها الأخرى كما تسمى فقرة.[7]

فها هي تشخص سياسة أبيها رضي الله عنهما، معتمدة في ذلك على العبارات المسجوعة، فقد أدى حق الخلافة، وفتح البلدان، وهو الحازم، صاحب السياسة الحكيمة:

---

[1] ما ضَرِيَ بالصَّيْدِ ولَهِجَ بالفَرائِس المعنى أَنه شُجْاع تَشْبيهاً بالسِّباعِ الضَّارية في شَجاعَتها والضِّرْوُ بالكَسْر الضَّاري.(لسان العرب، مادة ضرا).

[2] وقم: أذل وقهر.(لسان العرب، مادة وقم).
قدع: القَدْعُ الكَفُّ والمَنْعُ قَدَعَه يَقْدَعُه قَدْعاً وأَقْدَعَه فانْقَدَعَ وقَدِعَ إِذا كَفَّه عنه.(لسان العرب، مادة قدع).

[3] محنة: بدعة.(لسان العرب، مادة محن).

[4] صَعَّرَ خَدَّه وصاعَرَه أَمالهُ من الكِبْرِ.(لسان العرب، مادة صعر).

[5] الزاهر: النير او المنير.(لسان العرب، مادة زهر).

[6] انظر الخطبة في الآبي، نثر الدر، جزء4، ص315.

[7] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(ت1425هـ)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، ، دار القلم، ، دمشق، 1996، جزء1، ص841.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فأخذها بحقها، وقام فيها بقسطها، لم يؤده ثقلها، ولم يبهظه حفظها... فلم يزل سراجه زاهرًا، وضوءه لامعاً، ونوره ساطعاً...نوره في الدجنات ساطع، وضوؤه في الظلمات لامع، قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عجمها، وشانئاً لها إذ سبرها.

وقد أشار زكي مبارك، عارضًا نماذج خطب الخلفاء في صدر الاسلام والعصر الاموي مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز، إلى أنّ النثر في العصر الاسلامي لم يلتزم السجع، وإنما كان يقع السجع حين يقع بسيطًا مقبولًا لا تكلف فيه.[1]

والحقيقة أن بعض خطب المرأة قد حفلت بالسجع، إلا أنها، وإن كانت أسلوبا للمرأة في خطبها، فقد كانت ذات وظيفة تعبيرية أولا، وجمالية ثانيا، فقد قصدت بها تمتين وتقوية الدلالة.

بل إن الخطبة، التي مرّت في ثنايا الدراسة، لنائلة بنت الفرافصة زوجة الخليفة عثمان في الرعية، معبّرة عن الأثر النفسي الذي أحدثه مقتل عثمان في نفسها، ومدافعة عن سياسته، قام جلّها على أسلوب السجع، فلم يكن فيها السجع طارئًا أو عارضًا:

"معاشر المؤمنة، وأهل الملة، لا تستنكروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي. فإني حرّى عبرى، رزئت جليلاً، وتذوقت ثكلاً من عثمان بن عفان ثالث الأركان"[2]

"...لم يتقدمه متقدم، ولم يشك في فضله متأثم، ألقوا إليه الأزمة، وخلوه والأمة حين عرفوا له حقه، وحمدوا مذاهبه وصدقه. فكان واحدهم غير مدافع، وخيرتهم غير منازع...فقلدوه الأمور، إذ لم يكن فيهم له نظير، فسلك بهم سبيل الهدى، وبالنبي وصاحبيه اقتدى، مخسئاً

[1] مبارك، زكي(ت1371هـ)، النثر في القرن الرابع، الهيئة المصرية العامة،القاهرة، 2010، ص69.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص70.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للشيطان إلى مداحره، مقصياً للعدوان إلى مزاحره، تتقشع منه الطواغيت وتزايل عنه المصاليت"[1].

وها هي تنذر بالفتنة الكبرى، ذات العلاقة الوطيدة بمقتل عثمان، معتمدة على (السجع)، والتكرار إلا أنّ عنايتها بالجانب الدلالي قد اقتضت اعتمادها تلك الأساليب، إذ قصدت تأكيد المعنى لجمهورها، بتكرير الجمل المتقاربة ليس في وزنها وقافيتها وحسب، وإنما في دلالتها أيضا، فضلًا عن استخدامها أسلوب القسم بقصد توكيد العاقبة الشنيعة التي تنتظر المخاطبين، كما في قولها: "لتتعبدنّكم الشبهات، ولتفرقن بكم الطرقات، ولتذكرن بعدها عثمان ولا عثمان...".[2]

تلك الفواصل المتفقة (السجع) –رغم كثرتها– لم تلجأ اليها الخطيبة إلا لداع بلاغي معنوي لتأكيد الدلالة وتحقيقها، إلا إنها حققت المقتضيين المعنوي والجمالي. ذلك أن السجع يستخدم لداعٍ بلاغيّ معنوي أو جمالي في اللفظ.[3]

وها هي حفصة تتابع امتداح سياسة أبيها معتمدة على العبارات المسجوعة، فضلا عن أسلوب المقابلة:

"تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلاً، ولا نبغي سواه نحلاً...أخبرها أنّ التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها حبوراً، وأدوم منها سروراً، وأبقى منها خلوداً، وأطول منها أياماً، وأغذق منها أرضاً، ... فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت، وبالرأي الجليد حتى انقادت"[4].

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص70. مصاليت، مادة "صلت": صلب، ماض. ابن منظور، لسان، جزء2، ص53.

[2] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص71.

[3] الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، جزء1، ص277.

[4] انظر الخطبة الآبي، نثر الدر، جزء4، ص21–22.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويبدو التنويع الإيقاعي في الخطبة من خلال تقنيات التجانس الصوتي بين أصوات الألفاظ، وكذلك من خلال تقنيات التجانس اللفظي، والطباق، والترادف. ففي النص تجانس صوتي (أي كلمات متجانسة صوتيا) مثل(سرورا:حبورا)، (أنضر:أرغد)، (بعلا:نحلا)، إذ تتكرر الأصوات المتماثلة والمتقاربة. وفي النص بعض مظاهر التوازي مثل الترصيع والطباق، فالترصيع كقولها: "فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت، وبالرأي الجليد حتى انقادت".

والطباق كقولها: (تخطبه:يقلاها)،(تريده:يأباها). فجاء كل ذلك محققا إيقاعا تعبيريا، قادرا على نقل الدلالة المنشودة.

وقد زخرت القطعة السابقة بالتشخيص، وهو إلباس الجماد او المجرد من صفات الحي كالشعور والحركة، ونحوها من سمات الحياة الحيوانية أو الإنسانية.[1]

ذلك التشخيص أو ما يسمى استعارة مفيدة هو الذي أحدث شعرية ذلك النص الأدبي، فخطبة حفصة انحرفت عن القوانين المألوفة للتركيب اللغوي، فالانزياح أو الانحراف صورة من صور الشعرية، والتشخيص أداة لهذه الشعرية.

فالانحراف في أشكاله المتعددة عبارة عن إجراء أسلوبي يمتلك وظيفة ذات فاعلية أدبية وجمالية، لأن عملية الانحراف ما هي الا إجراء أسلوبي يقصد الكاتب منه أن يحدث أثرا في نفسية المتلقي.[2]

فالدنيا فتاة جميلة نضرة تعرض نفسها على الخليفة عمر، إذ لم ترتض غيره زوجا، إلا إنه يرفضها، ذلك أنه خبر غدرها فلم يغتر بجمالها، فخطب من هي أكثر نضارة، وأدوم سرورا، تلك هي الحياة الآخرة: "قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عجمها، وشانئاً لها إذ سبرها؛

---

[1] الحوسني، عبد الحي، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، المجمع الثقافي، 2004، ص173، ، نقلا عن الصورة الادبية الحلقة الثانية عبد الله الحامد، ص60.

[2] ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط3، دار الكندي، إربد، 2002، ص39.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلاً، ولا تبغي سواه نُحلاً...أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها حبوراً، وأدوم منها سروراً".

تلك المعاني عبّرت عنها حفصة بشعرية، جعلت نص الخطبة يبتعد عن أسلوب الحجاج والمنطق والتعليل الخطابي.

ويجمع فن الخطابة بين الإقناع والاستمالة، فهو أسلوب تمتزج فيه الأدلة التي تكفل الإقناع بالإثارة التي تحقق الاستمالة ، فيجمع بين تقرير الحقائق وإثارة العواطف.[1]

ومن المعروف أن اللغة الخطابية تعتمد البراهين والحِجاج المنطقي على حساب الشعرية وما تمتاز به من أساليب توظف فيها الخيال توظيفا كبيرا، وذلك لتكفل إقناع الجمهور.

وهذه السيدة عائشة في خطبة تصف فيها سياسة أبيها، تستخدم التشخيص لتصور خطر الفتنة التي وأدها أبوها–رضي الله عنهما– فتجسم الشيطان وتمنحه صفات إنسانية:

"ضرب الشيطان رواقه، ومد طنبه، ونصب حبائله، وأجلب بخيله، ورجله، واضطرب حبل الإسلام، ومرج عهده، وماج أهله".[2]

ويتحدث الجرجاني عن الاستعارة المفيدة: "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية... وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف

[1] الحوفي فن الخطابة، ص163.

[2] انظر الخطبة، الآبي، نثر الدر، ص55.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجثمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون" وهي ما يسمى التشخيص في اصطلاحنا العصري.[1]

وتظهر الاستعارة المفيدة أو التشخيص في خطبة أخرى مرّت معنا لعائشة رضي الله عنها ألقتها بعد مقتل عثمان، وتتعرض فيها لسياسة الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، ومنها في تشخيص سياسة أبيها:

"واضطرب حبل الدين ورتقَ لكم أثناءه ، وأغاض نبع الردة".[2]

فلقد شخّصت النفاق فجعلت منه شخصا يضربه أبو بكر ويجهز عليه.

وترسم في استعارات متعاقبة ، صورة للردة بما استعارت لها من مسلتزمات مشبهاتها:

فقد استعارت الحبل للدين، إذ كان مضطربا فرتقه وأصلحه أبو بكر، كما يرتق الثوب. واستعارت للردة النبع الذي أغاضه وأنقصه أبو بكر، فقضى على الردة وأعاد الاستقرار إلى جسم الدولة.

وهذه عائشة بنت عثمان رضي الله عنها في خطبتها، التي تناولناها سابقًا من الناحية الموضوعية، ترسم صورة الحياة الهانئة التي عاشتها الرعية في ظل عثمان رضي الله عنه بلغة فصيحة، مركزة على تحقيق الدلالة بتكرار الجمل المتقاربة في المعنى:

"حتى إذا عاد الأمر فيكم ولكم، في مونقة من العيش، عرقها وشيج، وفرعها عميم، وظلها ظليل، تتناولون من كثب ثمارها أنى شئتم رغداً، وحلبت عليكم عشار الأرض دراً، واستمرأتم أكلكم من فوقكم ومن تحت أرجلك".[3]

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر(ت471هـ)، أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص33، مقتبس في بكار، حفريات في تراثنا النقدي، ص87.

[2] الآبي، أبو منصور، نثر الدر، ص10.

[3] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص55.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذه نائلة ترسم صورة بالغة الدلالة تشخِّص فيها المجرَّدات كالشر والباطل وتمنحها صفات إنسانية، حتى تنقل تلك الصورة المأساوية لمستقبل الدولة؛ فها هو الشر إنسان فاغر فاه حتى يصل حلقومه، وهي تعبر في ذلك عن دهشتها لما تراه من عجائب ومصائب، وها هو الباطل إنسان عيونه متوسعة، منفتحة، ذلك أن موت عثمان سيفتح أبواب الفتنة على مصراعيه:

"فلهوات الشر فاغرة، وآيات السوء كاشرة، وعيون الباطل خزر، وأهله شزر. ولئن نكرتم أمر عثمان، وبشعتم الدعة لتنكرن غير ذلك من غيره، حين لا ينفعكم عقاب، ولا يسمع منكم استعتاب".[1]

ويعد التصوير من أهم خصائص التعبير الفني، فالعمل الأدبي فن إبداعي يعتمد على بنية التجاوز بالخيال، فالخيال أداة التصوير، وهو العنصر الذي يتيح للأديب أن يؤلف الصور الجديدة المجاوزة حدود المنظورات، وهذا كله يفضي الى تحقيق علامة من علامات تميز النص الأدبي من غيره.[2]

ويأتي التجانس طارئا كما في خطبة عائشة بنت عثمان:

"في خصب غدق، ووامق شرق".

وتستخدم أسلوب المقابلة وأسلوب السجع:

"ومقتم زبرجة الدنيا وحرجتها، واستحليتم غضارتها ونضرتها، ... فانتضيتم سيوفكم، وكسرتم جفونكم".

وتظهر المطابقة اللفظية والمعنوية في خطبة عائشة بنت عثمان التي بدت فيها موبخة للرعية على تقصيرهم في حق أبيها رضي الله عنهما:

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص71.

[2] الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الفكر، بيروت، 1999، ص566.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"حتى يفئ إلى الحق من شذ عنه، ...ولكن استوحش مما أنستم به، واستوخم ما استمرأتموه". "يا ...فراجع فلم تراجعوه، واستقال فلم تقيلوه".

ومن الواضح أنّ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما –في خطبها التي شخصت فيها سياسة أبيها– لم تعمد إلى المنهج التقليدي في الافتتاح بالتحميد وأداة الاستفتاح.

وكانت الخطبة مثل على فصاحة القول. ولعل أبرز ما عُنيت به الخطيبة عنايتها بعلم البيان كالكناية والاستعارة.

ومن أمثلة تلك الكناية، قولها:

"بعيد بين اللّابتين" إذ كنّت بها عن سعة صدره.

وقولها: "خِشَاشُ المَرْآة والمَخْبَرة": كناية عن صفاء الظاهر والباطن.

وقولها: "عُرَكَةٌ للأَذاة بجنبه": كناية عن الاحتمال.

وأما الاستعارة تظهر في قولها: [1]

"اضطرب حبلُ الدين، فأخذ أبي بطرفيه، ورتقَ لكم أثناءه فوقذَ النفاق، وأغاض نبع الردة"

فقد عبرت عن إصلاحه لحال الأمة المضطرب بالاستعارة المفيدة، فجعلت للدين حبلا قد فتق، وتقصد بذلك انشقاق وتصدع كلمة المسلمين، وفساد حال الأمة، فجعلتها كالحبل الواهن الذي كثرت شقوقه، فجاء أبو بكر رضي الله عنه، فأصلح ذلك الفساد ، راتقا ذلك الحبل، بإصلاحه شقوقه، أي قضاءه على عوامل الفتنة والفساد في تلك المرحلة، فوأد الفتنة في مهدها، بمواجهته المرتدين، فجفف ماء الردة، إذ جعلت الردة نبع ماء، عمل أبو بكر على إغاضته وتجفيفه.

ويلاحظ أن الخطيبة في صدر الإسلام أقصرت في جملها لتكون أوقع أثرًا في المتلقي.

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص15، ابن عبد ربه، العقد الفريد، جزء 4، ص314–315.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"الماضي على سنته، المقتدي بدينه، المقتص لأثره".

فقد اهتم الخطباء في العصر الاسلامي ببسط المعاني وتأكيدها بتكرير الجمل المتقاربة في مغزاها ومدلولها، وهو تكرير خفيف غير منكر يؤكد المعنى ولا يثقله.[1]

وها هي عائشة بنت عثمان رضي الله عنهما في خطبتها المذكورة عينها، التي تنعى فيها أباها رضي الله عنه، وتدفع عن سياسته محملة الشعب مسؤولية مقتله، وتنذرهم عاقبة فعلتهم، معبرة عن ذلك المعنى باستخدام أسلوب الإنشاء الطلبي، إذ استخدمت أسلوب النهي(المضارع المقرون ب لا الناهية الجازمة)، وقد خرج أسلوب النهي إلى معنى التيئيس. فقد قصدت إلحاق اليأس بهم في العيش الهانئ بعد موت أبيها، فظفرهم بأبيها رضي الله عنهما والدعة التي يتوقعون أنهم سيحيون بها، ما هي إلا وهم، فالفتنة عواقبها وخيمة، والله سبحانه سيجزيهم عاقبة فعلتهم. والأسلوب الإنشائي غلب على الخطب الناعية المستعجلة، فقد ابتدأت عائشة خطبتها بأسلوب النداء، وقد خرج أسلوب النداء إلى دلالة التحسر.

والتحسر من المعاني التي يخرج إليها أسلوب النداء[2]، وفضلا عن التحسر يبدو معنى التهديد واضحًا في ذلك الأسلوب كما يبدو في قولها:

"يا ثارات عثمان!"

وقد دمجت الخطيبة بين علمي البديع والمعاني في خطبتها، إذ وظفتهما لتحقيق تلك الدلالة المرتبطة بتيئيس المتلقيّن باستخدام العبارات المسجوعة:

---

[1] مبارك، زكي، النثر في القرن الرابع، ص70.

[2] انظر عتيق، عبد العزيز،علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، ص 127.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

"فلا يهنينكم الظفر، ولا يستوطنن بكم الحضر، فإن الله بالمرصاد، وإليه المعاد، والله ما يقوم الظليم إلا على رجلين، ولا ترن القوس إلا على سيتين"[1].

ويرى ابن الاثير أنّ السجع والجناس عنصران يسهمان في اعتدال فصول الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع.[2]

وتستخدم السيدة عائشة بنت أبي بكر–رضي الله عنهما– أسلوب السجع في تشخيص سياسة أبيها الحازمة:

"...أنجح والله إذ أكديتم، وسبق إذ ونيتم".

"يفك عانيها، يريش مملقها، ويرأب شعبَها ويلمُّ شعثها".

"فما فلّوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة".[3]

"حتى إذا ضرب الدين بجِرانه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا والصدّيق بين أظهرهم، فقام حاسرًا مشمِّرا، قد رفع حاشيتيه، وجمع قطريه، فرد رسنَ الإسلام على غربه، ولمّ شعثه بطبه".[4]

والظاهرة الأسلوبية المتمثلة في المستوى الصوتي لموضوع الجناس والسجع والترصيع[5] تقوم بدور موسيقي يضفي إيقاعا تتلذذ له أنفس المتلقين وأسماعهم. ومهما تنوعت ضروب هذه

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 71.

[2] ابن الأثير، ضياء الدين(ت 673هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، جزء1، ص197. اقتبسه أحمد بيكيس في الأدبية في النقد العربي القديم، ص117،

[3] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص4، ونثر الدر، الآبي، جزء4، ص11.

[4] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص5.

[5] الترصيع: مأخوذ من ترصيع العقد وذاك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر وكذلك نجعل هذا في الألفاظ المنثورة من الأسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية.(المثل السائر، جزء1، ص 258).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الموضوعات، فإنها لا تخرج عن القيمة الجمالية للظاهرة الأسلوبية، المتمثلة في التكرار النمطي وما يتضمنه من قيمة فنية وجمالية وموسيقية تتجسد في الأثر الجمالي للنص الأدبي.[1]

و كانت عائشة قد أشارت إلى بدايات الإسلام الأولى في صورة أبي بكر:

"وكان والله غزير الدمعة، وقيذ الجوانح، شجي النشيج، فانقضت إليه نسوان مكة وولدانهم يسخرون منه ويستهزئون به (الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالات من قريش، فحَنَتْ قسيّها، وفوّقت سهامها، وامتثلته غرضا".[2]

وترتبط قوة تراكيب خطبة عائشة في مدح سياسة أبيها رضي الله عنهما بقصر الجمل وغزارة الأفعال.

والأفعال في الخطب أحفل بالدلالات، وأقدر على نقل المعاني.[3] والملاحظ على خطبة عائشة احتفالها بالتراكيب الفعلية، فالسيدة تنسب إلى أبيها –رضي الله عنهما– جملة من الأفعال، أخرجت الأمة من مأزقها، وأرستها على بر الأمان في ظل تلك الردة، فعائشة رضي الله عنها لم تقصد من التركيز على النمط الفعلي إلا تلك الدلالة المرتبطة بحزم الخليفة وقوته وحكمته وما حققه بذلك –رضي الله عنه– من رد للإسلام على غربه بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام بتصديه للمرتدين، وسده ثلمة الفتنة أيضا باستخلافه عمر بن الخطاب لما أتت منيته:

"فقام حاسرا مشمِّرا، فجمع حاشيتيه، ورفع قطريه، فرد رسنَ الإسلام على غربه، ولم شعثه بطبه، وانتاش الدين، فنعشه فلما أراح الحق على أهله، وقرّر الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، أتته منيّته، فسد ثلمته بنظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة

---

[1] المري، عبدالله، الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية، ص94. نقلا عن محمود درابسة ، الظواهر الأسلوبية في كتاب جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي، ص193.

[2] انظر الخطبة في ابن طيفور، بلاغات النساء، ص4–5، ونثر الدر، الآبي، جزء4، ص11.

[3] طليمات، غازي، انظر النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ص311.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذاك ابن الخطاب، ..لقد أوجدت به ففنخ الكفرة ودبخها، وشرّد الشرك شذر مذر، وبعج الأرض وبخعها، فقاءت أكلَها، ولفظت خبأها ترأمه، ويصدف عنها وتصدى له ويأباها، ثم وزع فيها فيأها، وودّعها كما صحبها".[1]

ثم ها هي حفصة تستخدم أسلوب المقابلة على جهة المخالفة، لتدعم نصر أبيها للحق وإزهاقه للباطل:

"حتى تأكدت عرا الحق عليكم عقداً، واضمحلت عرا الباطل عنكم حلاً"

وتخطب أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة خطبتها بعد مقتل الحسين، محملة إياهم مسؤولية مقتل أخيها في أعقاب كربلاء، مستخدمة أسلوبي المقابلة والجناس، وقد استخدمت تلك الأساليب لإشعارهم بتقصيرهم تجاه الحسين، وللتأكيد أن حال النجاة التي آثرها أهل الكوفة على نصرة الحسين، ستورثهم الحزن والعار معا، لذا فقد ألحت الخطيبة على أسلوب المقابلة أو المطابقة، فالضحك يقابله بكاء، والكثرة تقابلها قلة. وتستغل أم كلثوم كذلك أسلوب الأمر:

"فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً"

ويذكر علم المعاني أن الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معاني كثيرة منها معنى التحسير.[2] فهي تلومهم وتقرعهم وتحاول أن تورثهم الحسرة على ما فعلوه بالحسين، فضلًا عن أنها استخدمت أسلوب السجع لإيراثهم شعور الخزي، فالسجع ليس مقصودا لذاته، وإنما الدلالة المتمثلة بالقبح والشناعة التي تعنيه كلمة الشنار، التي تتفق في وزنها وقافيتها مع كلمة (العار). فضلًا عن استخدامها أسلوب التورية، المتمثل بكلمة(فوزها) فهي لا تقصد المعنى المباشر وإنما قصدت معنى آخر وهو المعنى المقابل(الخسران). فقد دمجت الخطيبة – لتحقيق دلالة التقريع

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص5، والآبي، نثر الدر، ص11.

[2] انظر عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، ص89.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للمتلقي– في عبارة واحدة علوم البلاغة الثلاثة: البديع(السجع والمطابقة أو المقابلة) والبيان(التورية) والمعاني(أسلوب الأمر).

"فلقد فزتم بعارها وشنارها"[1]

وها هي أم الخير بنت الحريش البارقية إحدى المتشيعات لعلي رضي الله عنه توظف أسلوب المقابلة في خطبتها في صفين:

"باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة[2] ولات حين مناص إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطأوا مدة الآخرة فسعوا إليها".[3]

إذ قابلت بين حالين؛ حال فريقها(أنصار علي) وحال الخصوم، فجعلت الفريق الأول مقابلا للفريق الثاني، إذ باع الفريق الأول الدنيا واشترى الآخرة، وذلك يظهر من حال الفريق الثاني الذي اشترى الدنيا(الضلالة) وباع الآخرة(الهدى). وهذه مقابلة بلاغية في المعنى واللفظ، إذ قصدت الخطيبة تقوية الدلالة المقصودة فآثرت استخدام المقابلة على جهة المخالفة، لتؤكد للمتلقي(جمهورها) أنه لا ضرورة للتواني عن مقاتلة ذلك الخصم، فثمّة متقابلان، حق وباطل، ضلال وهدى، دنيا وآخرة، فضلا عن أنّ الخطيبة دعمت دلالتها ذات الحدين المتقابلين بالاقتباس القرآني.

أما المطابقة أو المقابلة اللفظية، فقد استخدمتها الخطيبة في قولها:

"ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستبطأوا مدة الآخرة فسعوا إليها".

فقد أرادت في هذه المقابلة اللفظية أن تترك الأمر لكياستهم، فعمر الدنيا قصير ويقابله الخلود في

---

[1] الشنار: العيب، الأمر المشهور بالقبح والشنعة.

[2] الإقالة: الصفح.(لسان العرب، مادة قيل).

[3] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص43.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحياة الآخرة، والكيس لا يستبدل بالطويل الدائم القصير الفاني، وهي بذلك تقنع المتلقي (فريقها) بضرورة القتال، بل التفاني في سبيل نصرة الحق.

وتعتمد عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما على الحجاج العقلي في خطبة لها مستنكرة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، فتعرض الأدلة والبراهين على سوء فعلة الثائرين الذي قتلوا عثمان رضي الله عنه، وتستخدم عائشة أسلوب القسم بصيغ متعددة(مثل والله، أيم الله) توكيدًا لرؤيتها، وتعمد كذلك إلى تكرار صيغ القسم في معظم مفاصل الخطبة بغرض توكيد الدلالة المستندة إلى أسلوب الحجاج العقلي الخطابي.

" ...أما والله لهدم النعمة أيسر من بنائها، وما الزيادة إليكم بالشكر بأسرع من زوال النعمة عنكم بالكفر..."[1]

فقد كررت صيغ القسم بهدف ترسيخ الدلالة المنشودة، وقد تحدث ابن الأثير عن الوظيفة التعبيرية للتكرار، بأنها كامنة في التوكيد.[2] ورغم توظيف الخطيبة أسلوب الحجاج العقلي، إلا أن الخطبة لم تقصِ العناصر الشعرية، إذ بدت اللغة زاخرة بالاستعارة المفيدة– التي أشار إليها الجرجاني– التي تبث الحياة في المجردات والجوامد.[3]

فقد عنيت عائشة بالتشخيص أو الاستعارة الحية، كما سمّاها الجرجاني:

"ولئن كان برك عليه الدهر بزَوْرِه[4]، وأناخ عليه بكلكله[5]، إنها النوائب تترى تلعب بأهلها

---

[1] الآبي، نثر الدر، جزء 4، ص16، انظر الخطبة ، ص15–16.

[2] المري، عبدالله، الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2012، ص107. نقلا عن أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين المدني،، جزء5، ص235.

[3] انظر الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص 33.

[4] الزَّوْرُ: الصَّدْرُ وقيل وسط الصدر وقيل أَعلى الصدر وقيل مُلْتَقَى أَطراف عظام الصدر.

[5] الكلكل: الكَلْكَل من الفرس ما بين مَحْزِمه إِلى ما مسَّ الأَرض منه إِذا ربَضَ. (لسان العرب، مادة كلل).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي جادّة، وتجذبهم وهي لاعبة" [1]

فقد رسمت صورة حية للدهر، فاستعارت له صورا من الفرس، فجعلت له زورًا وكلكلًا كالفرس، ربض به وبرك على عثمان رضي الله عنه، وأنّى لعثمان بقوة وكلكل الدهر. وهي بذلك ترسم صورة الغلبة والقوة في مقابل صورة الضعف التي غدا عليها الخليفة عثمان رضي الله عنه، ولا يعني ذلك تقصيره رضي الله عنه في حماية الدين، ولكنها نوائب الدهر، تلك المصائب التي ترسم لها صورة الإنسان المتقلب، وقد وظفت السيدة عائشة المقابلة على جهة الموافقة لتوضيح صورة التقلب غير المأمون، وقد وقعت المقابلة الموافقة بين كلمتين الأولى فعل والثانية اسم، وهما تلعب ولاعبة، فالكلمتان متوافقتان في جذرهما اللفظي، إلا أن الأولى عنت بها الإقصاء، والثانية عنت بها الجذب، لتوصل لنا الخطيبة صورة تقلب الدنيا، فهي غير مأمونة في كل حال.

ويظهر التضمين واضحًا في الصورة التي رسمتها عائشة رضي الله عنها للدهر، فهذه الصورة وردت في شعر امرئ القيس في وصفه الليل:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدولــه عليَّ بأنــواع الهــموم ليبتلي

فقلــت له لمــّا تمــطى بصــلبه وأردف أعــجازًا وناء بكلكلِ[2]

إذ جعل امرؤ القيس لليل كلكلا كالفرس يجثم به على صدر الشاعر، وذلك تعبيرًا عن الهموم والأحزان التي تتولج الشاعر حين يجيء الليل.

[1] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص 16، ابن طيفور، بلاغات النساء، ص15.

[2] انظر ديوان امرئ القيس، ص18.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا غرابة في إفادة السيدة عائشة رضي الله عنها من الشعر العربي، فقد كانت حافظة راوية للشعر[1].

وتستخدم الزرقاء بنت عدي الهمدانية في خطبة لها في صفين أسلوب المقابلة في نوع من الحجاج العقلي وذلك لإقناع أنصار(علي) بضرورة المواجهة المستميتة،لأن الانتصار– وفق رؤيتها–حتمي:

"أيها الناس؛ إن المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكواكب لا تقد في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، وإن الزِّف لا يوازن الحجر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد...ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء... [2]

ويشير إحسان النص، إلى أنّ كثيرًا من سمات الخطابة الجاهلية ظل بارزًا في الخطابة الإسلامية، رغم تطور الأداء الخطابي في العصر الإسلامي، ولعل أبرزها الجنوح إلى الأسلوب الإنشائي المعتمد على الاستفهام والتعجب والدعاء ونحو ذلك.[3]

ولعل خطبة السيدة فاطمة للأنصار أبرز مثال على ذلك الأسلوب الخطابي الذي تتعاقب فيه ضروب التعبير :

"يا معشر البقية، وأعضاد الملة، وحضنة الاسلام، ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي ، والغمزة في حقي، والسنة عن ظلامتي؟ ! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (المرء يحفظ في ولده)؟ ! سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ما أتيتم"[4].

---

[1] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، بيروت، 2001، جزء 17، ص279

[2] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص56.

[3] النص، إحسان، الخطابة العربية في عصرها الذهبي،دار المعارف، القاهرة، 1963، ص45.

[4] الآبي، نثر الدر، جزء 4، ص7.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذ تستخدم السيدة فاطمة العبارات القصيرة المسجوعة، والمترادفة في دلالتها، فالفترة في النصرة، والونية في الإعانة، والغمزة في الحق، تعني جميعها تباطؤ المخاطبين عن الوقوف إلى جانب السيدة فاطمة رضي الله عنها. وقد عمدت إلى ضرب الإنشاء في تعبيرها، فاستخدمت أساليبه، فابتدأت بالنداء، ثم انتقلت إلى أسلوب الاستفهام الذي شاع في خطبتها، وقد استخدمته لتستنكر موقف الأنصار السياسي المرتبط بتداعيات الأحداث بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد خرج أسلوب الاستفهام إلى العتاب والتعجب والإنكار في الوقت نفسه، وهي جميعها من الأغراض البلاغية للاستفهام.[1] وقد لجأت السيدة فاطمة رضي الله عنها إلى هذا الأسلوب لما يحققه من تعظيم وتكثيف للدلالة في نفس المخاطب؛ إذ لو ألقت الخبر مباشرة دون استفهام تعجبي لما أحدث أثره في التوبيخ والإنكار، ولما عظم وقعه في نفس السامع.

وهذه أم الخير بنت الحريش توظف أسلوب الاستفهام في خطبتها لتحقيق مأربها في تحفيز المسلمين وترغيبهم في نصرة علي رضي الله عنه في وقعة صفين. وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى الترغيب والتشويق.[2] فاستخدام الخطيبة لأسلوب الاستفهام متكرر وواع، لذا فقد استخدمته مرات عدة في ثنايا الخطبة:

"...فإلى أين تريدون رحمكم الله أفراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتداداً عن الحق؟"[3].

وقد بدت بلاغة الخطيبة في مرواحتها في استخدام أدوات أسلوب الاستفهام، وتزواجه مع أسلوب الدعاء لتحقيق الغاية من الخطبة المتمثلة في إقناع جمهورها بسلامة قضيتها، وضرورة

---

[1] الشيخ، غريد، المتقن في علوم البلاغة،دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000، ص24، ص26.

[2] الشيخ، غريد،المتقن في علوم البلاغة، ص27.

[3] انظر الآبي، نثر الدر، جزء4، ص56.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التفاني في سبيلها، فها هي تكرر أسلوب الاستفهام وأسلوب الدعاء(رحمكم الله)، وغني عن الإشارة الفائدة الدلالية للتكرار الكامنة في التوكيد.

"فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وليّ الله وزوج ابنته وأبي ابنيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وعلّم المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته، ويمضي على سنن استقامته، لا يعرج لراحة الدأب ... ها هو مفلق الهام ومكسر الأصنام. إذ صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد وفرق جمع هوازن"[1].

تلك المرواحة في استخدام أسلوب الاستفهام تظهر ذكاء الخطيبة البلاغي، فهي تخاطبهم باسطة أمامهم القضية، تاركة الخيار لهم، لذا فقد استخدمت "أمَا" في استفهامها المقترن بالتضمين القرآني(الاقتباس):

أمَا سمعتم الله عز وجل يقول: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم"[2]؟..."

أي أنّ الخطيبة امتنعت عن الطلب المباشر الحاد والصارم من المخاطب(المتلقي) المتمثل في الجهاد والقتال في صف علي رضي الله عنه، بل لجأت إلى أسلوب غير مباشر مع اختيار دقيق لطبيعة الأدوات الخاصة به. فقد أشار علم المعاني[3] إلى أن الاستهفام ب"أما" يخرج إلى معنى الطلب اللين الرفيق.

---

[1] انظر الآبي، نثر الدر، جزء4، ص57.

[2] سورة محمد، الآية 31. الآبي، نثر الدر، ص57.

[3] انظر الشيخ،غريد، المتقن في علوم البلاغة، ص28.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد بدت اللغة التي تستخدمها المرأة متأثرة جدا بالقرآن الكريم وتقليده، وهو ما يعرف بالتناص.

ويبدو الاقتباس المباشر سمة واضحة في خطب المتشيعات لعلي رضي الله عنه، إذ لم يوظف الاقتباس كثيرًا في خطب المرأة في المرحلة الأولى في صدر الإسلام كخطب حفصة وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعًا، إلا أننا نجده يوظف بغزارة في الصراع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كما بدا في خطب المتشيعات لعلي مثلا، ذلك أن الحق السياسي الذي أردن تأكيده لعلي–وفق نظريتهن– استند إلى شرعية دينية.

فهذه عكرشة بنت الأطرش التي تبدأ خطبتها بأسلوب النداء، تحاول أن تؤثر في رفاقها(أتباع علي) بالاقتباس القرآني؛ فحزب علي وفق قولها هم المهتدون، ومن واجبهم أن يحاربوا الضالين الذين سلبوا علي رضي الله عنه حقه الشرعي في قيادة الدولة:

"أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" [1].

وهذه أم الخير بنت الحريش تستعين بالاقتباس في كل مفاصل خطبتها في صفين لحث المقاتلين من أتباع علي على الاستماتة في الدفاع عن عقيدتهم الدينية والسياسية:

"أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم[2] إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ..."

"ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ...هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي والصديق الأكبر إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية .. قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " [1]

---

[1] ابن طيفور، بلاغات النساء، ص43.

[2] سورة الحج، الآية رقم 1.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويستخدم الأديب الاقتباس القرآني لتقوية كلامه ودعمه.[2]

ولقد ساعد التناص على تكوين صورة معبرة، تأكيدا وتحقيقا للدلالة التي رمت الخطيبة إليها.

وها هي تستخدم الاقتباس والتصوير القرآني استخداما مباشرا:

وقد لقيتم أهل الشأم كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض"

فقد ضمنت الخطيبة خطبتها الآية القرآنية الكريمة، مستخدمة التشبيه ذاته بغرض رفع معنويات فريقها، إذ شبهت أهل الشام(فريق معاوية) بالحمر التي تنفر ذعرا من الأسود، وذلك رغبة منها في شحذ همم أنصار علي رضي الله عنه في قتالهم، إذ جعلتهم فريق الحق، وجعلت خصماءهم شامسين عن الحق معرضين عنه.

والنفور كما يرى صاحب البحر المحيط من أوصاف الدواب الشديدة الشماس[3]

وجاء التناص منسجما مع السياق، فالخطيبة في تلك المرحلة تمتلك ثقافة دينية، وكذلك المتلقي، وقد أثرت المعنى في تناصها مع القرآن الكريم.

وهذه الزرقاء بنت عدي توظف أسلوب التوكيد لتحقيق غايتها في شحذ همم حزبها واستنفار مقدراتهم القتالية، فهي تؤكد مصيرهم المتمثل في الجنة، وتستخدم لذلك أداة (إنّ)، وهي لا تستخدمها لأن فريقها منكر لهذه الحقيقة، بل لتثبيت تلك الحقيقة وتوكيدها:

إنّ الجنة لا يرحل من أوطنها ...

---

[1] صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، 1973، جزء1، ص369.

[2] انظر عيسى، سحر، علم الأسلوبية والبلاغة العربية، دار البداية، عمان، 2011، ص 278.

[3] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، د.ت،جزء7، ص53.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي تستخدم (إنّ) لاحقا، لتلغي أي تردد عندهم حيال قتال معاوية، ففريقه ليسوا عربًا أصحاحًا، ... وهم، برأيها، فريق الدنيا، فلا غرو أن يقاتل أهل الآخرة أهل الدنيا حتى يستوطنوا الجنة.

"إنّ معاوية دلف إليكم بعجم العرب، غلف القلوب، لا يفقهون الإيمان، ولا يدرون الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه"[1]

ويبرز التوكيد ب (إنّ)، وتكرار صيغته، في خطبة للزرقاء بنت عدي بهدف تكثيف الوظيفة التوكيدية ل (إنّ)، وما له من أثر يتمثل بعلوقه في ذهن المتلقي:

"أيّها الناس؛ إنّ المصباح لا يضيء في الشمس، وإنّ الكواكب لا تقد في القمر، وإنّ البغل لا يسبق الفرس، وإنّ الزف لا يوازن الحجر".[2]

وتبدو عناية الخطيبة بالصور التي استدعتها من واقع الحياة لتضعها أمام المتلقي في نوع من الحجاج الذي يهدف إلى إقناع المتلقي، وهي أقرب ما تكون إلى التشبيه الضمني في الشعر، الذي يأتي في شطره الثاني دليلا أو برهانا على الشطر الأول، كقول الشاعر:

لا تنكري عطَل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

فقول الشاعر: فالسيل حرب للمكان العالي، صورة من الحياة الواقعية جاء الشاعر بها ليبرهن على خلو الكريم من المال، فالمال لا يقيس فضل صاحبه، فقد يخلو منه الكريم، كالمكان العالي الذي يخلو من الماء، فالسيل ينحدر من الأعالي ويستقر في المناطق المنخفضة. فقد استقت الخطيبة صورا لتضعها أمام المتلقي أدلة على سلامة قضيتها، فالمصباح يغيب ضوؤه أمام الشمس، وكذلك حال الكواكب مع القمر، والبغل لا يمكن أن يسبق الفرس، وصغار الريش

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد،جزء1، 125.

[2] الآبي، نثر الدر، جزء4، ص 55.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا تقوى على مواجهة الحجر. كل ذلك صور واقعية ساقتها الخطيبة في نوع من الحجاج العقلي، لتبرهن على أنّ الباطل (الخصم) لا يمكن أن يهزم الحق(فريقها)، وذلك لتحفيز المقاتلين في فريقها على الاستبسال في نصرة الحق الذي يمثلونه.

ويمتزج الحس الديني بالحس السياسي بوضوح في خطبتها، فهذه الزرقاء تستنفر همم المقاتلين للحفاظ على دين الله، وتعد نصر حزبها مكسبًا للدين. وتلجأ إلى تكرار لفظ الجلالة في خطبتها لتقرير ذلك المعنى.

"فالله الله عباد الله في دين الله، إياكم والتواكل فإن ذلك ينقض عرا الإسلام، ويطفئ نور الحق، هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى".[1]

ويعد تكرار بعض الكلمات، سواء أكانت أسماء أم أفعالا، في النص قوة وتكثيفا له، إذ يلح على جهة مهمة في العبارة الأدبية، ويسلط الضوء على نقطة حساسة فيها، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، فيمثّل دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية منشئه.[2]

وهكذا بدا توظيف المرأة للظواهر الأسلوبية من سجع وتكرار وتضمين واقتباس، وانزياح، وتشخيص في خطبها السياسية للتعبير عن موقفها من قضايا حاسمة في التاريخ الإسلامي. وقد حققت هذه الأساليب قيمة جمالية وبلاغية.

---

[1] صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، جزء1، ص368.

[2] الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر،ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص276، مقتبس في المري، الخطابة عند الفاروق،ص109.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

بدا دور المرأة واضحا في مشاركتها السياسية الفاعلة التي عكسها لنا أدبها، تلك المشاركة التي تتجاوز ماعُرف عن المرأة في هذا الشأن. فقد بدت محرضة ومقاتلة، وفاعلة في الحياة السياسية، إذ اتخذت موقفًا سياسيًا عبّر عن امتلاكها رؤية سياسية، وقد توصلت الدراسة إلى:

1. بدت المرأة في صدر الإسلام مستقلة فكريًا، فلم تعلق قراراتها السياسية وموقفها الديني على موقف الرجل من الإسلام، فكانت ذات مشاركة فاعلة بولائها وانتمائها للنظام السياسي في الدولة المتشكلة. وقد امتلكت رؤية سياسية آمنت بها، وسعت إلى تحقيقها، فكانت المرأة المسلمة ذات انتماء ومشاركة سياسية بأدبها، الأدب الذي غلب عليه اللون السياسي لارتباطه بإقامة دولة الإسلام، وإقصاء النظام القبلي السابق لها، وكانت المرأة المشركة كذلك.
2. وعت المرأة مسؤوليتها، فشاركت في الأحداث مشاركة فاعلة، واتخذت المرأة المسلمة الأدب وسيلة أساسية لنشر الاسلام، والحث على اعتناقه ومجابهة الشرك في تلك المرحلة، واتخذته المرأة المشركة وسيلةً لمناهضته. وكان لأدبها أثره في المواقف السياسية. وبرزت المرأة في الرثاء السياسي في تلك المرحلة.
3. حضرت المرأة حضورا متواضعا في أحداث السقيفة، وكانت السيدة فاطمة الشخصية النسائية الوحيدة في هذا الشأن، إذ نسبت إليها بعض الخطب وبعض الأشعار، التي تدل عن مواقف سياسية معارضة لسلطة الدولة.
4. غابت المرأة عن أحداث الردة فلم نلحظ دورا بارزا لها، واقتصر حضورها على سجاح التميمية والتي وظفها شعراء العصر في شعر الردة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

5. كان للمرأة أدب ارتبط بالفتنة الكبرى وعبّر عن مجرياتها وحيثياتها، وعبّرت فيه المرأة عن موقفها ورؤيتها السياسية، فقد ألقت الخطب، ونظمت الشعر، وكتبت الرسائل، عارضة في ذلك كله موقفها السياسي. وبدت المرأة عامة ذات رؤى سياسية عميقة، وثقافة دينية يُعتد بها، فاتخذت المواقف السياسية، وطالبت بإصلاحات سياسية، كما ظهر لنا في خطاب أم سلمة لعثمان رضي الله عنهما، وفي مطلب نائلة بنت الفرافصة من معاوية، وفي خطب عائشة في البصرة، وكانت ذات اتجاه سياسي واضح، كما بدا من رثاء زينب بنت العوام لعثمان وللزبير رضي الله عنهما. وبدا وعيها السياسي يفوق ما عُرف عنها من خمول فكري سياسي.
6. حضرت المرأة في العصر الأموي حضورًا سياسيًّا وأدبيًّا واضحًا، وهو امتداد لحضورها في عصر صدر الإسلام، إذ تشكلت في أواخر هذا العصر نواة الأحزاب السياسية، وربما يعود ظهورها القوي في هذا العصر إلى نضج النظرية السياسية؛ وظاهرة التحزب السياسي، فكانت المرأة حاضرة بفاعلية، وبدت ذات انتماء سياسي واضح، سواء أكانت منتمية إلى إحدى هذه الفرق والأحزاب خارجية كانت أم شيعية، أم ممثلة للحزب الحاكم(الأمويين).
7. وظفت المرأة في خطبها الأساليب والظواهر الفنية لدواعي دلالية وجمالية، وبدت المرأة في خطبها السياسية مراعية الارتباط الأسلوبي بالمضمون. ومن أمثلة ذلك خطب حفصة وعائشة رضي الله عنهما.
8. كان شعر المرأة السياسي في صدر الإسلام والعصر الأموي متفاوتًا في مستواه الفني، فبدا بعضه ركيكًا، لاسيّما ذلك الذي كان مزامنا لظهور الدعوة الإسلامية كما بدا في شعر سعدى بنت كريز، وبدا بعضه عالي الجودة خاصة في المراثي السياسية أثناء الفتنة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكبرى وما لحقها من تداعيات. ومن أمثلة ذلك شعر زينب بنت العوام وليلى الأخيلية في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه.

9. وظفت المرأة توظيفا سياسيًّا واضحًا في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي، وعكس الأدب الذي وُظفت فيه الدور البارز الذي لعبته في أدب السياسة في ذلك العصر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله(ت1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد(ت852هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق مفيد قميحة،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986

الآبي، أبو سعد منصور،(ت421هـ)، **نثر الدر**، تحقيق خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

ابن الأثير، نصرالله بن محمد أبي الفتح ضياء الدين (ت 637ه)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، (ت630ه). **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1983.

أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني(ت241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 2004.

الأخيلية، ليلى بنت عبدالله (ت 80هـ)، **الديوان**، تحقيق خليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1990.

الأسدي، سيف بن عمر الضبي(ت 200ه)، **الفتنة ووقعة الجمل**، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت،1970.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داوود(ت 297ه)، **الزهرة**، تحقيق ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، 1985 .

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد(ت 356هـ)، **الأغاني**، تحقيق إحسان عباس وآخرين، دار صادر ، بيروت، 2002

الأفغاني، سعيد. **عائشة والسياسة**. القاهرة: دار الفكر، 1946.

امرؤ القيس، **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1984.

البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن(ت656ه)،**الحماسة البصرية**، تحقيق عادل سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1999.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت 463هـ). **تاريخ بغداد**. تحقيق مصطفى عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.1997.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر(ت 1037)، **الفرق بين الفرق**، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1977.

البغدادي، محمد بن حبيب (ت245هـ)، **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، 1985.

بكار، يوسف، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث**، دار المناهل، بيروت، 2009.

بكار، يوسف، **حفريات من تراثنا النقدي**، دار المناهل، دار الرائد، بيروت، 2007.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البلاذري، أحمد بن يحيى(ت 279هـ). **أنساب الأشراف**. تحقيق إحسان عباس. فيسبادن: فرانتس شتاينر ، 1979.

البلاذري، **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996.

البهبيتي، **تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث حتى آخر القرن الثالث الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982.

بوفلاقة، سعد. **شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي**. بيروت: دار المناهل، 2007.

بيكيس، أحمد، **الأدبية في النقد العربي القديم من القرن الخامس حتى القرن الثامن للهجرة**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.

بيهم، محمد جميل، **المرأة في الإسلام والحضارة الغربية**، دار المعارف، القاهرة، 1963.

بيهم، محمد جميل، **المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة** ، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى(ت279هـ)، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي(ت231ه)، **ديوان الحماسة**، تحقيق عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان، إدارة الثقافة والنشر، الرياض، 1981.

التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد(ت33ه)، **المحن**، تحقيق عمر العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1984.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم(ت661هـ)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة. 1985.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجبيلي، سجيع، **البيت السفياني في الشعر الأموي**، المكتبة العصرية، بيروت، 1998.

الجرجاني، عبدالقاهر، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978.

جعيط، هشام. **الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**. ط4. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000.

ابن الجوزية، شمس الدين ابن القيم (ت 751هـ)، **أخبار النساء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1985.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(ت510ه). **الضعفاء والمتروكون**. تحقيق عبدالله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986.

الحاكم، أبو عبدالله محمد النيسابوري(ت405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، 1990.

ابن حِبّان، أبو حاتم محمد البستي ت(354ه). **الثقات**. تحقيق السيد شرف الدين أحمد. بيروت: دار الفكر،1975.

ابن حِبّان، **المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين**. ط2. تحقيق. محمود ابراهيم زايد. حلب: دار الوعي، 1982.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـــ). **لسان الميزان**. تحقيق عبد الفتاح أبي غدة. مكتبة المطبوعات الإسلامية، 2002.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني(ت852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة**، تحقيق البجاوي، دار الجيل، بيروت، 2001.

ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد المدائني(ت655ه)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

حرفوش، عبد القادر، **فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام**، دار كنان، دار البشائر، دمشق، 1994، ص176.

حسان بن ثابت الأنصاري (ت54هـ)، **الديوان**، تصحيح عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، 1966.

حسان بن ثابت الأنصاري، **الديوان**، تحقيق وليد عرفات، بيروت، دار صادر، 1970.

حسن، علي إبراهيم، **نساء لهن في التاريخ نصيب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950.

حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي**، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس، بيروت، 1974.

الحميري، السيد، **الديوان**، شرح وضبط ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 1999.

الحوسني، عبدالحي، **نثر المرأة من الجاهلية الى نهاية العصر الأموي**، المجمع الثقافي، 2004.

الحوفي ، أحمد، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ط5، دار نهضة مصر، القاهرة، 1979.

الحوفي، أحمد، **الغزل في العصر الجاهلي**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1973.

الحوفي، أحمد، **فن الخطابة**، نهضة مصر، القاهرة، 2003.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحيالي، ليلى. **جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي**. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2003.

الحيالي، ليلى، **معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام**، مكتبة لبنان، بيروت، 1999.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي(ت)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، 1996.

الحموي، ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين(ت 626ه)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979.

أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، دار الفكر، د.ت.

خريسات، محمد. **المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية**. عمان: الجامعة الأردنية، 1998.

خليف، مي يوسف، **تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية**، دار غريب، القاهرة، 1996.

خليف، مي يوسف، **الشعر النسائي في أدبنا القديم**، مكتبة غريب، القاهرة، 1991.

خميس، محمد عطية. **السيدة عائشة أم المؤمنين حبيبة حبيب الله**. ط2. حلب: دار الدعوة، 1976.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1994.

الخواجا، ابراهيم، **شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري**، الكويت، ١٩٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عُمَر(ت385ه). **المؤتَلِف والمختَلِف**. بيروت: دار العرب الإسلامي، 1986.

درابسة، محمود، **الظواهر الأسلوبية في كتاب جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي**، أبحاث اليرموك، الأردن، جامعة اليرموك، م 17، ع1.

الدروبي، محمد، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ت(748هـ). **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. تحقيق علي معوض عادل عبد الموجود عبد الفتاح أبو سنّة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.

ربابعة، موسى، **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها**. ط3، دار الكندي، إربد، 2002.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت **1205 هـ**)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

الزبيري، أبو عبدالله المصعب، **نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

الزركلي، خير الدين بن محمود (ت1396هـ). **الأعلام**. ط15. بيروت: دار العلم للملايين،2002.

الزنداني، عبد المجيد. **المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام**، مؤسسة الريان، بيروت، 2000.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن سعد ، أبوعبد الله محمد البصري الزهري(ت230هـ)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 .

السقاف، علوي عبد القادر، **عائشة أم المؤمنين**، الظهران: الدرر السنية، 2011.

السمعاني، **الأنساب**، سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ)، دار الجنان، د.ت.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد(ت 581ه)، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت، 1978.

الشاعر، عمرو. **العبقرية المفترى عليها**. الجيزة: مكتبة النافذة، 2010.

الشامي، محمد بن يوسف(ت942هـ)، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

الشايب، **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني**، ط5، دار القلم، بيروت، 1976.

أبو شقرا، كلود. **نساء عربيات**. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1995.

شلبي، محمود. **حياة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**. بيروت: دار الجيل، 1998.

الشوابكة، أحمد. **الأثر الثمين في نصرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**. عمان: دار الفاروق للنشر للتوزيع، 2012.

الشيخ، غريد، **المتقن في علوم البلاغة**، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000.

صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة**، المكتبة العلمية، بيروت، 1973.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضيف، شوقي، **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1967.

ضيف، شوقي، **العصر الإسلامي**، ط7، دار المعارف، القاهرة،1976.

الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ). **تاريخ الأمم والملوك**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

الطرماح، حبيب بن حاكم الطائي(ت 125هـ)، **الديوان**، ط2، تحقيق عزة حسن،دار الشرق العربي، ،1994.

طليمات، غازي، الأشقر، عرفان،. **النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة**، دار الفكر، بيروت، 2007.

طهماز، عبد الحميد. **السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام**. ط2. دمشق: دار القلم،1979.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت280هـ). **بلاغات النساء**. تصحيح وشرح أحمد الألفي. تونس: دار الكتب الوطنية، 1980، 1985.

عباس، إحسان، **شعر الخوارج**، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1974.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد(ت 463ه)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق محمد علي البجاوي، جزء ٤، ص ١٩٢٢.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد(ت 327هـ). **العقد الفريد**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1982.

عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عبيدالله بن قيس الرقيات، **الديوان**، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1970.

عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.

العرجي، عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان(ت 120هـ)، **الديوان**، تحقيق سجيع الجبيلي، دار صادر، بيروت، 1998.

عزت، هبة رؤوف، **المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1995.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت395هـ). **الأوائل**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

العصامي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك(ت 1111ه)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبعة السلفية، 1960.

ابن عدي الجرجاني، أبو أحمد عبد الله (ت365هـ). **الكامل في ضعفاء الرجال**. ط2. بيروت: دار الفكر، 1985.

ابن العربي، أبو بكر(ت 453ه)، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، ط2، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل، بيروت، 1987.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن(ت571ه)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، 1982.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت 395ه)، **كتاب الصناعتين**: الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،1981.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عفيفي، عبدالله، **المرأة في جاهليتها وإسلامها**، دار الرائد العربي، بيروت، 1982.

العقاد، عباس محمود، **فاطمة الزهراء والفاطميون**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر (ت 322هـ).**الضعفاء**. تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1984.

علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط4، دار الساقي، بيروت، 2001.

عيسى، أحمد فهمي، **المرأة في شعر الخوارج**، الأهرام، دمياط الجديدة، 2002.

عيسى، سحر، **علم الأسلوبية والبلاغة العربية**، دار البداية، عمان، 2011.

أبو فارس، محمد عبد القادر، **حقوق المرأة المدنية والسياسية في الإسلام**، مؤسسة الفجر، لندن، 1996.

الفقي، محمد، **المرأة من السياسة إلى الرئاسة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010..

ابن قتيبة، محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري(ت 276هـ)، **الإمامة والسياسة**، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول ، 2006.

ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد شاكر، ط2، 1977.

ابن قتيبة ، **الشعر والشعراء**، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 617هـ)، **تفسير القرطبي**، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قطاوي، نصار، **هاشميات الكميت**، دار المأمون، 2006.

القلقشندي، أحمد بن علي(ت821هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق يوسف الطويل، دار الفكر، دمشق، 1987.

ابن قيس الرقيات، **الديوان**، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٥.

الكتبي، محمد بن شاكر، **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1974.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت(774هـ). **البداية والنهاية**. تحقيق علي شيري. القاهرة: دار إحياء التراث العربي، 1988.

كعب بن مالك الأنصاري (ت51ه). **الديوان**. ط2. تحقيق سامي العاني. بيروت: عالم الكتب، 1997.

مبارك، زكي(ت1371ه)، **النثر الفني في القرن الرابع**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2010.

المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد(ت 285ه) ، **الكامل في اللغة والأدب**، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

مبيضين، مها، **الوالهة الحرى ليلى الأخيلية شاعرة العصر الأموي**، الأهلية للنشر والتوزيع، 2011.

أبو المجد، محمد، **مراثي النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق ودراسة**، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000.

المري، عبدالله علي جابر، **الخطابة عند الفاروق، دراسة أسلوبية**، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2012.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي (ت654ه). **تهذيب الكمال**. تحقيق بشار معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1980.

المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس ، 1982.

المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت 346 ه)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة بيروت 1982.

معروف، نايف محمود، **ديوان الخوارج**، دار المسيرة، بيروت، 1983.

المقبل، نبيلة. **شعر الوليد بن عقبة: جمع وتحقيق ودراسة**. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك. 2011.

المقدسي، محمد بن طاهر(ت507هـ). **البدء والتاريخ**. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1980.

المقريزي، تقي الدين أحمد(ت 845ه) **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع** ، تحقيق : محمد عبد الحميد النميسى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1983.

ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711هـ). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر، 1992.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق أحمد عرموش ومحمد العمرو، دار الفكر، دمشق، 1989.

الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة(ت 1425ه)، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها**، دمشق، دار القلم، 1996.

ناظم، حسن، **مفاهيم الشعرية: دراسات مقارنة في الأصول والمنهج**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النص، إحسان، **الخطابة العربية في عصرها الذهبي**، دار المعارف، القاهرة، 1963.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق بن مهران(ت 430ه)، **معرفة الصحابة**، تحقيق محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733ه)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت، 2004.

الهادي، صلاح الدين، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1986.

هاشم، سعيد ، **دور المرأة الرسالية في دولة النبوة**، مؤسسة الفجر، لندن، 1996.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد(ت213ه)، **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،دار الجيل، بيروت،1990.

الهلالي، حميد بن ثور(ت30هـ)، **الديوان**، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر – بيروت، القاهرة، 1995.

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر(ت207هـ)، **فتوح الشام**، جزء 2،دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

Abstract

Woman and politics in the literature of Early Islam and Umayyad period. Almoqbel. Nabeela Akef . Supervised by: Dr. Salem Alhadrusi. 2015

The title of the thesis is "Woman and politics in the literature of Islam and Umayyad period" the Thesis is intended to understand the woman political role in Islamic and Umayyad literature based on her contribution in this literature as a producer in that period. In addition to a literature that exploited a woman in the politics or it was related of politics. Also this study Reveal the woman identity that was created from her literature and the literature was applied in, during that period. Weather her active role in the early time at the beginning of creation of Islamic nation, or her presence later, so that the thesis intended to examine the literature ascribed to in relation to the political strife that culminated in the killing of the third caliph'Uthman and the following events. To achieve this the article employs historical as well as literary materials. In addition to clarifying some critical facts concerning the women's literature early in Islam the article emphasizes the importance of literary materials to obtain better understanding of historical events.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

After that we aim to study the literature that appears a specific political identity, by studying women's literature to understand her role, weather it was belong to Al umawiah, Al Alawiah, Al kharijiah.

The thesis is intended also to study the political theoretic of the woman in the Islamic and Umayyad period, so that we will talk about the stylistic phenomena in woman theoretic which related to the politics.

The researcher adopted the historical approach by linking the literary script with the historical events registered in the literature. At the same time, the study employed the literary script in understanding those political events related to the woman and literature in this period. Also the researcher adopted the descriptive approach of analysis to study the text either in objective side or artistically.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University